المـــرأة

فى اليهودية والمسيحية والإسلام

إعداد

زكى على السيد أبو غضة

دار الوفاء

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

المـرأة

في اليهودية والمسيحية والإسلام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ ج.م.ع ـ المنصورة

الإدارة: ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص.ب: ٢٣٠

ت: ٢٢٥٦٢٢٠/ ٢٢٥٦٢٣٠ ـ فاكس: ٢٢٦٠٩٧٤/ ٠٥٠

المكتبة: أمام كلية الطب ٢٢٤٩٥١٣ / ٠٥٠

E-Mail:DAR ELWAFA @ HOTMAIL . COM

٢١١/٤
غ ز م

المــرأة
فى اليهودية والمسيحية والإسلام

إعـداد
زكى على السيد أبو غضة

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى أمير الثقافة ومنارة الفكر الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور .

أسعدتنى وشدت من أزرى كلماتكم المشجعة عن كتابى الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ، فكانت هذه الكلمات هى المعين لى فى استكمال هذه الدراسة التى بدأتها منذ سنوات ، ثم غلبتنى المرأة فخشيت إكمالها ، وخفت من خوض غمارها .

وتذكرت كلماتكم منذ ثلث قرن تقريبًا : « المرأة ذلك اللغز المحير » ولم أعيها إلا بعد الزواج ، ولم أدرك مغزاها إلا بعد هذه الدراسة التى أدعو الله أن أكون قد وفقت فيها .

وأتمنى تقديمكم لها فى طبعات مقبلة ـ إن شاء الله ـ إن حازت رضاكم ، وكانت أهلا لهذا التقديم ؟

وشكرًا لسيادتكم .

المؤلف

مقدمة الكتاب

المرأة : ذلك المخلوق الذى احتار الفلاسفة فى فهمه وتعريفه ، فأسراره لا تنقضى، وعجائبه لا تنتهى ، وسبر أغواره محال ، فقد خلقها الله تعالى من الرجل الأول : « آدم عليه السلام » حتى تكون قوة الرجل وفخره واعتزازه ، فهى الأم والبنت والخالة والعمة ،وهى الزوجة ونقطة ضعفه وسبيل خزيه وطريق ضياعه إن فسد ، فلقد وصف علماء اليهود المرأة أنها « إبريق ملئ بالقاذورات وفمها ملئ بالدم ، ومع ذلك يجرى وراءها الجميع ، وكان من دعاء اليهود فى كتاب الصلوات الرسمى «بوركت يا إلهى يا من لم تجعلنى امرأة » (١) .

ولكنه فى جميع الأحوال الجمال ذاته ، فإذا نسب الجمال إلى مجهول لظن أن المقصود هو المرأة ، فلو قال شخص لآخر : « كانت جميلة جداً » لا اعتقد أنه يقصد المرأة ، وقد لا تكون مقصده ، وهو الكائن الوحيد فى العالم القوى فى ضعفه ، والرقيق فى شعوره ووجدانه ، المتجبر بدهائه ، والفياض فى حنانه، إذا أحَبّتْ مُلِكَت، وإذا أحَبت ملكت .

والمرأة في حياة الرجل أهم مخلوق ، فهى الزوجة أى السكن والمودة والرحمة ومحل اللذة وطريق الشهوة ، وهى المعين فى إدارة حياته وإن كان هو القائد ، وهى الأم الحنون الرؤوف التى لو اجتمع كل رجال العالم لما استطاعوا القيام بمهمتها كأم ، فرحمها مستودع الأبناء ، وصدرها منبع الغذاء ، وحضنها كنز الحنان ، فلا رعاية لنشء بدونها ولا تربية لأجيال إلا بها ، وهى الابنة الرقيقة التى ترى والديها كملوك وهى صغيرة ثم ترعاهم فى الكبر كأبناء ، وهى الأخت الحنون التى تربى إخوتها ـ فى صغيرها ـ كأولاد ، وتجلهم فى كبرها كدرع لها وحُماة .

ويمكن القول : إن نظرة أهل كل دين للمرأة من احترام وتبجيل وإعلاء قدر، وتشريف ومنح حقوق وفرض واجبات أو العكس يتوقف على ما جاء فى كتابه السماوى(٢) عن المرأة من إكرام أو مهانة .

---

(١) الموسوعة اليهودية ، فصل النظرة إلى المرأة .

(٢) نقصد التوراة الحالية والإنجيل الحالى ـ المحرفين حسب الاعتقاد الإسلامى ـ والقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من أمامه أو من خلفه .

وبالرغم من أن الإسلام هو الدين السماوى الوحيد الذى سما بالمرأة وأعلى قدرها ونظم ما يتعلق بها من أحكام ، إلا أن أعداء الإسلام الذين دأبوا على الطعن فى الشريعة الإسلامية (١) ؛ إما عن جهل ، وغالبًا عن ظلم ، وفى كل الأحوال عن تعمد؛ اتهموه بظلم المرأة فى شتى ما يتعلق بها من مفاهيم وأحكام .

والحق أن التوراة هى منبع الإساءة للمرأة واحتقارها ، حتى أن الإنجيل نهل من هذا النبع ، فاستمر فى إهانة المرأة وإن لم يصل لدرجة إهانتها فى التوراة ، وذلك لما كان للنساء من دور فى حياة المسيح عليه السلام قبل رفعه إلى السماء .

وعن ذلك يقول قاسم أمين (٢) :

« والغربى الذى يحب أن ينسب كل شىء حسن إلى دينه يعتقد أن المرأة الغربية ترقت؛ لأن دينها المسيحى ساعدها على نيل حريتها ، ولكن هذا الاعتقاد باطل ، فإن الدين المسيحى لم يتعرض لوضع نظام يكفل حرية المرأة ولم يبين حقوقها بأحكام خاصة أو عامة ، ولم يرسم للناس فى هذا الموضوع مبادئ يهتدون بها . . . بل تشكل نفسه بالشكل الذى أفادته إياه أخلاق الأمم وعاداتها ، ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد لكانت المرأة المسلمة اليوم فى مقدمة الأرض» (٣) .

وفى هذا الكتاب ـ بإذن الله ـ سنعرض أغلب ما جاء عن المرأة من قصص تمجدها أو تسىء إليها ، وما فرض لها أو عليها من أحكام فى الكتب السماوية الثلاثة ، ومن ثم الأديان الثلاثة ، حتى يتعرف القارئ أى الأديان أكرم المرأة أو أهانها ، وما هو الدين الذى أعطاها ما تستحق من حقوق فزاد فى الإحسان ، وما فرض عليها من واجبات فكان بها رؤوفًا رحيمًا .

وقد قصدت إظهار الحق فى حيدة تامة ، دون أن أتعمد الإساءة إلى كتاب سماوى أو دين ، فإن وفقت فأحمد الله على فضله ، وإن قصرت فأطلب من الله الرحمة والمغفرة ، وأدعوه تبارك وتعالى السداد والتوفيق . والحمد لله رب العالمين ؟

دمياط فى ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٢م

---

(١) سنترك هذه المطاعن والرد عليها للجزء الثانى من الدراسة « المرأة فى السياسات المعاصرة » .

(٢) مفكر حمل لواء تحرير المرأة فى العصر الحديث ، انظر الجزء الثانى من الدراسة «المرأة فى السياسات المعاصرة».

(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ٢٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م

خطة الكتاب

نظراً لأهمية هذه الدراسة ومحاولتنا الجادة لتحرى الدقة والصدق فيها ، كما أننا ـ كعادتنا ـ لم نلجأ إلى الاستشهاد بجزء يسير من فقرات التوراة أو الإنجيل أو آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية التى تفسر هذه الآيات ، فقد تجاوزت الدراسة الخمسمائة صفحة واقتربت من الستمائة، ولذلك فضلنا تقسيمها إلى قسمين الأول ـ وهو هذا الكتاب ـ بعنوان : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام والكتاب الثانى : المرأة فى السياسات المعاصرة .

وهذا الكتاب يتكون من مقدمة مختصرة ، وهذه الخطة التى تشرح باختصار أهم الأبواب والفصول والمباحث وما بها من أفكار ، بهدف إعطاء القارئ فكرة عامة عن محتويات الكتاب ، للغوص فى صفحاته ، والسباحة فى خضم أفكاره ومعلوماته ، التى مرجعها جميعا الكتب السماوية وآراء علمائها من مفسرين ومفكرين .

وقد قسمت الكتاب إلى بابين :

الباب الأول : بعنوان « نساء ذكرن فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم » ، واشتمل على فصلين :

الفصل الأول : نساء ذكرن فى التوراة ، واشتمل على تسعة مباحث :

المبحث الأول : صاحبة المعصية الأولى للبشرية حواء .

المبحث الثانى : نساء عبدن الأوثان .

المبحث الثالث : نساء زانيات .

المبحث الرابع : نساء المكر والخديعة .

المبحث الخامس : نساء ماتت قلوبهن .

المبحث السادس : نساء حاقدات .

المبحث السابع : نساء ظلمهن الرجال .

المبحث الثامن : نساء مخلصات .

المبحث التاسع : نساء حكيمات .

أما الفصل الثانى : فهو بعنوان : « نساء ذكرن فى الإنجيل » واشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول : نساء أهانهن الإنجيل .

المبحث الثانى : نساء خاطئات غفر لهن المسيح .

المبحث الثالث : نساء أجريت لهن أو لذويهن معجزات .

المبحث الرابع : نساء صالحات فى حياة المسيح .

المبحث الخامس : نساء في حياة بولس الرسول .

ونود الإشارة إلى أننا ـ في هذه الفصل ـ ذكرنا أهم ما جاء ذكرهن في الأناجيل من نسوة وليس كلهن ، ولكن ما تركناه قلة وليس لهن أهمية فى دراستنا هذه .

الفصل الثالث : نساء أنزل الله فيهن أو بسببهن قرآنا :

أما الباب الثانى : فهو بعنوان « بعض أحكام المرأة فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم :

وفى هذا الباب تعرضنا إلى الكثير من الأحكام التى توضح حقوق المرأة وواجباتها. تلك الأحكام القائمة على نظرة الكتاب ـ الدينى ـ لها ، ومن ثم اتصاف هذه الأحكام للمرأة أو ظلمها ، وما يترتب على ذلك من احترام أهل هذه الأديان للمرأة أو إهانتها.

وحيث إن الإسلام هو دائما المعرض للاتهام بظلم المرأة وعدم إنصافها ، وهو دائما محل الإساءة لمن أساؤوا للمرأة منذ بدء خلقها ، فقد تعرضنا لأهم مفتريات الغرب اليهودى والمسيحى والعلمانى ضد الإسلام ، وأوضحنا سمو وعظمة الإسلام فيما يختص بالمرأة من إكرام وإعلاء شأنها ، وحفظ حقها ، وصيانة عرضها كما بينا حقيقة إهانتهم للمرأة والنظر إليها : كإناء مملوء بالقاذورات ، وأثبتنا أن الإسلام سبق وسيسبق وسيظل متفوقا فى عدالة أحكامه عن أى دين سماوى سابق ، أو قوانين وضعية حالية أو لاحقة .

وهذا الباب يتكون من ثمانية فصول وخاتمة :

الفصل الأول : القوامة فى الكتب والأديان السماوية ، واشتمل على :

المبحث الأول : القوامة فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : القوامة فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : القوامة فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

وقد تكلمنا فى كل مبحث عن معنى القوامة وأصل هذا المعنى من واقع نصوص كل دين وتفسير علمائه لذلك .

المبحث الرابع : أكاذيب ومطاعن عن قوامة الرجل فى الإسلام .

وفى هذا المبحث الهام تم الرد على الادعاءات بأن الإسلام يهين المرأة بالأمر بضربها، كما يتهمها بنقصان العقل والدين ؛ مما ترتب على ذلك من اعتبار شهادتها نصف شهادة الرجل ، كما تحكم فى حريتها بمنع سفرها إلا بإذنه ومرافقته ، ويمنعها من العمل خاصة فى القضاء ورئاسة الدولة ، ورددنا على كل هذه الأوهام القائمة على سراب لا أساس له من حق أو حقيقة ، وأوضحنا الحكمة من كل فضيلة جُعلت مطعنا، والهدف الأخلاقى منها وكيف أعلت من شأن المرأة وحفظت شرفها وحقوقها.

المبحث الخامس : فضائل القوامة فى الإسلام ومخازى القوامة فى اليهودية والمسيحية

والقوامة في الإسلام هى عين تكريم المرأة ، فهى الرياسة والقيادة بعد التشاور وإبداء الرأى ، وما وضعه الإسلام من حقوق للقوامة فهى للحفاظ على كرامة وشرف المرأة ، أما القوامة فى اليهودية فهى حق القيادة بالتسخير والضغط والإكراه الناتج عن احتقار المرأة لمعصيتها الأولى ، وفى المسيحية القوامة تمنع المرأة من تعليم الرجل أو رئاسته كما تمنعها من السؤال عن دينها فى الكنيسة أو الدعوة العامة للدين ، فقوامة الإسلام أرقى قوامة .

الفصل الثانى : **عمل المرأة فى الكتب والأديان السماوية** ، واشتمل على :

المبحث الأول : عمل المرأة فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : عمل المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : عمل المرأة فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

المبحث الرابع : سمو الإسلام فى تشريع عمل المرأة وتفرع مجالاته مقارنة باليهودية والمسيحية .

فالكتب السماوية الثلاثة والأديان الثلاثة اتفقت على أن عمل المرأة الذى خلقت له هو الزوجة والأم أى البيت أولاً وثانيا وثالثا . . . وأخيراً ، وعملها خارج المنزل هو استثناء لضرورة ، ولكن الإسلام وسع نطاق عمل المرأة مقارنة بالأديان الأخرى ، فقد أجاز لها – على سبيل المثال – العمل فى الدعوة إلى الدين وتعليم الرجال والعمل فيما يختص بأمور النساء وهو ما لم تجزه اليهودية والمسيحية .

الفصل الثالث : إرث المرأة فى الكتب والأديان السماوية ، واشتمل على :

المبحث الأول : ميراث المرأة فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : ميراث المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : ميراث المرأة فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

المبحث الرابع : أفضلية ميراث المرأة فى الإسلام مقارنة باليهودية والمسيحية .

وهذا الفصل يعد من أهم فصول الكتاب ، فهو يوضح غاب عن الكثيرين من أحكام الميراث للمرأة فى الكتب والأديان الأخرى ، فاليهودية لا تورث البنت مطلقًا فى وجود أخيها إلا العشر بهدف الإنفاق عليها ورعايتها ، والمسيحية لم تشرع تنظيمًا للميراث ، فأجازوا توريث القطط والكلاب وتركوا توريث الأبناء والبنات والآباء والإخوة ، وما اتهم به الإسلام بظلم المرأة لتوريثها نصف حصة الرجل ، فهو لا يحدث إلا فى أضيق الحدود وبسبب أن إعالتها والإنفاق عليها حق وفريضة على أبيها أو أخيها أو زوجها ، وأثبتنا أفضلية نظام إرث المرأة فى الإسلام مقارنة بمن حرموا المرأة من الميراث أو غيرهم من ورث القطط والكلاب .

الفصل الرابع : الختان فى الكتب والأديان السماوية ، واشتمل على :

المبحث الأول : الختان فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : الختان فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : الختان فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

المبحث الرابع : إنسانية الختان فى الإسلام وسموه مقارنة باليهودية والمسيحية .

وقد بينا فى هذا الفصل : أن الختان للذكور عهد وميثاق فى اليهودية ، ونسخ المسيحيون ذلك إرضاءً للأمم الداخلة فى المسيحية والتى لم ترغبه فجعلته سُنة وليس عهدًا وميثاقًا « أى فريضة » وكان ذلك بآراء شخصية وليس بوحى إلهى ، أما فى الإسلام فالختان للذكور سُنَة ، والإسلام هو الدين السماوى الوحيد الذى نادى بختان الأنثى وجعله مكرمة لها لا فرضا ولا سنة ، حتى لا تتغلب شهوتها الزائدة ورغبتها الجامحة على عفتها وعفافها ، فى حالة زيادة حجم عضو الإحساس عن اللازم ، وقد حذر الرسول ﷺ طريقة إجرائه إلا بطريقة سليمة صحية ، بحيث لا تؤثر على إحساس الأنثى فلا تضعفه أو تقتله ، حتى يكون فيه إرضاء للزوج وحفظ للكرامة .

الفصل الخامس : الحجاب فى الكتب والأديان السماوية ، واشتمل على :

المبحث الأول : الحجاب فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : الحجاب فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : الحجاب فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

المبحث الرابع : مزايا الحجاب فى الإسلام مقارنة باليهودية والمسيحية .

الحجاب لم يكن أبدًا عادة إسلامية ، بل سبقته اليهودية والمسيحية فى ذلك ، فلم يبتدع الإسلام الحجاب وإن نظم أحكامه ، كما أن الكتب السماوية الثلاثة حرمت الزينة بجميع أشكالها لغير الزوج ، وإن اعتبرت المسيحية عدم تزين النساء كعقاب لهن مورث عن خطيئة حواء الأولى التى تسببت فى شقاء الإنسانية وخروجها من نعيم الجنة إلى عذاب الأرض ، كما أوضحنا الهدف من الحجاب فى الإسلام ومزاياه .

الفصل السادس : الطلاق فى الكتب والأديان السماوية ، واشتمل على :

المبحث الأول : الطلاق فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : الطلاق فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : الطلاق فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

المبحث الرابع : الخلع فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

المبحث الخامس : واقعية الإسلام فى الطلاق والخلع مقارنة باليهودية والمسيحية .

إن كان الزواج فى جميع الأديان هو إنشاء رابطة زوجية بين رجل وامرأة تحل له مع حق الاستمتاع «النكاح» فإن الطلاق هو نقض هذه الرابطة ، وكان مشروعا فى اليهودية والمسيحية قبل الإسلام حتى ألغته المجامع المقدسة والقوانين الوضعية ، وهناك محاولات قانونية وليست شرعية لإلغائه أو تدخل القاضى لإقراره .

وقد أوضحنا أنه فى الإسلام أبغض حلال إلى الله ، وأن هناك أسسًا تنظمه إذا اتبعها المسلم وسار على هديها وهداها ، لم يُزوال إلا لضرورة ، ورغم إباحته فى الإسلام إلا أنه لا يزيد عن نسبة ضئيلة أقل من أن تذكر ، كما تعرضنا لأحكام الخلع وهو إجابة المرأة لطلب تطليقها بعوض مالى إذا رغبت فى التخلص من زواج لا ترغبه وقارنا بين أحكام الطلاق فى كل ديانة وأوضحنا إنسانية وواقعية الطلاق والخلع فى الإسلام عن الأديان الأخرى .

الفصل السابع : تعدد الزوجات فى الكتب والأديان السماوية ، واشتمل على :

المبحث الأول : التعدد فى التوراة والديانة اليهودية .

وفيه أثبتنا التعدد فى التوراة حتى أن سليمان تزوج أكثر من ألف امرأة ـ على قولهم ـ وكان مشروعًا إلى زمن قريب ثم ألغاه علماء اليهود بالتحايل على الشريعة.

المبحث الثانى : التعدد فى الإنجيل والديانة المسيحية .

ونظرًا لأهمية هذا المبحث فقد تم تفصيله إلى حد ما ، فبعد إيضاح أن التعدد قد زاوله المسيحيون الأوائل ثم ألغته الكنيسة ، ذكرنا آراء الكنيسة فى شريعة الزوجة الواحدة ، وكيف بالغت فيه حتى أنها كرهت الزواج الثانى للأرملة أو المطلقة واعتبرته عيبًا يستحق العقاب الكنسى ، ومن يزاوله هو أقرب للزنا وأبعد عن الزواج .

وبينا كيف أن المسيحية اعتبرت التبتل « عدم الزواج أو مزاولة الجنس » فضيلة « وأنه الأصل ، وأن الزواج عادة سيئة لولا الحرص على الإنجاب لما زاوله المسيحيون المؤمنون .

فالمسيحية طالبت المسيحيين أن يكونوا كملائكة على الأرض ، كما كان آدم وحواء فى الجنة ، ونسيت أن الله أعطى للرجل والمرأة جهازًا تناسليا لابد له من العمل والمتعة فى حدود الزواج وما أحله الله .

المبحث الثالث : تعدد الزوجات فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

وفيه شرحنا فلسفة الإسلام من التعدد كضرورة أحيانا وأحكامه وشروطه .

المبحث الرابع : الإسلام وواقعيته فى أحكام النساء وتفوقه على اليهودية والمسيحية.

وفى هذا المبحث قارنا بين أحكام الإسلام فيما يختص بتعدد الزوجات وإباحة الزواج الثانى والتشجيع على الزواج ؛ لأنه الأصل والهدف من إعمار الأرض ، ونبذ التبتل وبرهنا بالأدلة الساطعة على واقعية الإسلام فى هذه الأحكام وتفوقه على التبتل الأديان الأخرى .

الفصل الثامن : العبادة وجزاء الأعمال للمرأة فى الكتب والأديان السماوية ، واشتمل على :

المبحث الأول : العبادة وجزاء الأعمال فى التوراة والديانة اليهودية .

المبحث الثانى : العبادة وجزاء الأعمال فى الإنجيل والديانة المسيحية .

المبحث الثالث : العبادة وجزاء الأعمال فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية .

المبحث الرابع : مساواة المرأة بالرجل فى العبادة وجزاء الأعمال فى الإسلام وتفوقه فى ذلك عن الأديان الأخرى .

وفى هذا المبحث أوضحنا أن الإسلام لم ينتقص من قيمة المرأة كعابدة وأجاز لها دراسة وحفظ القرآن الكريم وتعلمه الفقه وتعليمه للرجال ، وهو ما أنكرته اليهودية حيث جعلت دراسة التوراة مكروهة للنساء ، لما فيها من فضائح ومخازى لا ينبغى للمرأة الاطلاع عليها ، أما المسيحية فقد أنكرت على المرأة تعليم الرجل أو الرئاسة عليه، كما حرمت عليها السؤال عن الدين فى الكنيسة وأمور أخرى . . وقارنا بين الإسلام فى هذا المجال وبين اليهودية والمسيحية ، وأثبتنا أن الإسلام هو المكرم الحقيقى للمرأة كعابدة والمساوى بينها وبين الرجل فى الجزاء والعقاب .

ثم كانت الخاتمة ، خاتمة الكتاب ، وأوضحنا فيها نظرة كل من التوراة والإنجيل والقرآن للمرأة ، وكيف تميز الإسلام عن الديانات السابقة وأكرم المرأة وميزها بخصائص منها :

١ ـ عدم الإساءة إليها كما أساءت التوراة والإنجيل إليها .

٢ ـ عدم تأثره بما يدور حوله من ثقافات وحضارات نحو المرأة .

٣ ـ واقعيته نحوها فى تلبية رغباتها الجسدية فى غير معصية .

٤ ـ تنظيم علاقتها بزوجها ، وإن انتهت فلها حقوق وواجبات عليه.

٥ ـ توفير حياة سعيدة لها منذ ولادتها حتى مماتها .

وبين موقف الأديان الثلاثة من معنى القوامة ، وعمل المرأة ، والإرث ، والحجاب، والأحوال الشخصية ، كذا العبادة وجزاء الأعمال.

والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

المؤلف

الباب الأول
نساء ذكرن فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم (*)

الفصل الأول : نساء ذكرن فى التوراة .

الفصل الثانى : نساء ذكرن فى الإنجيل .

الفصل الثالث: نساء أنزل الله فيهن أو بسببهن قرآنا.

(*) نقصد بالتوراة والإنجيل : كتب اليهود والنصارى الحالية الأصلية الموحى بها من الله ـ حسب الاعتقاد الإسلامى .

الفصل الأول
نساء ذكرن فى التوراة

توطئة :

ورد بالتوراة من النساء الكثيرات أغلبهن صرح باسمه أو صفته وأقلهن صرح به تلميحا لا تصريحًا .

والمتدبر لذكر النساء فى التوراة يجد أغلبهن غير صالحات من حيث العبادة أو الخلق ، وكأن التوراة تعرض فضائحهن لا فضائلهن.

وقد قسمت ما تعرضت له من نساء التوراة إلى عدة أقسام ، ونظرًا لطبيعة المرأة المتقلبة ، وظهور أكثر من صفة إيجابية أو سلبية ، فلا يخلو ما قمت به من تقسيم من تداخل ، فأرجو التماس العذر لى.

ولكنى فى جميع الأحوال راعيت الحيدة التامة والأمانة المطلقة فى عرض الحقائق وسبر أغوارها ، فلست أهدف إلى الإساءة لكتاب أو النيل من دين ، ولكنى أهدف إلى إظهار أى كتاب سماوى أكرم المرأة أو أهانها ومن ثم أى دين أعلى من قدرها أو حط من شأنها .

وقد قمت بتقسيم ما ورد عن النساء فى التوراة وفقًا للتقسيم التالى:

المبحث الأول : صاحبة المعصية الأولى للبشرية « حواء » .

المبحث الثانى : نساء عبدن الأوثان :

١ ـ راحيل امرأة يعقوب وأم يوسف .

٢ ـ أم ميخا اليهودية .

٣ ـ معكة امرأة رحبعام وأم الملك آسا .

المبحث الثالث : نساء زانيات :

١ ـ تامار كنه يهوذا والانتقام منه .

٢ ـ راحاب.

٣ ـ أم يفتاح الجلعادى العاهرة .

٤ ـ ابنتا لوط .

٥ ـ روجة فوطيفار .

المبحث الرابع : نساء المكر والخديعة :

١ ـ إيزابيل امرأة الملك أخآب .

٢ ـ رفقة امرأة إسحاق بين الحياء والدهاء والخديعة .

٣ ـ امرأة شمشون وعشيقته .

٤ ـ قاتلة رئيس جيش يابين .

المبحث الخامس : نساء ماتت قلوبهن :

١ ـ الملكة عثليا أم الملك أخزيا وانتقامها الإبادى .

٢ ـ الأمان آكلتا أطفاليهما الرضع .

المبحث السادس : نساء حاقدات :

١ ـ امرأتا إبراهيم : سارة وهاجر .

٢ ـ مريم النبية أخت موسى وهارون .

٣ ـ ميكال ابنة شاول أول ملك لليهود وزوجة داود وصاحبة أغرب مهر فى التاريخ .

المبحث السابع : نساء ظلمهن الرجال :

١ ـ دينا ابنة يعقوب واغتصابها والانتقام العاتى لشرفها .

٢ ـ امرأة أوريا التى اغتصبها داود وقتل زوجها ثم تزوجها .

٣ ـ اللاوى وسريته المغتصبة .

المبحث الثامن : نساء مخلصات :

١ ـ المرأة الشونمية الكريمة البارة .

٢ ـ حنة امرأة القانه .

٣ ـ أستير .

٤ ـ امرأة فنحاس .

٥ ـ راعوث المؤآبية .

٦ ـ قاتلة ملك إسرائيل .

٧ ـ ابنة الملك يفتاح ابن العاهرة ونذر أبيها .

المبحث التاسع : نساء حكيمات :

١ ـ دبورة حاكمة وقاضية ونبية إسرائيل .

٢ ـ أبيجايل زوجة نابال ثم داود .

٣ ـ ملكة سبأ وزيارتها لسليمان .

٤ ـ الفتاة الحكيمة الناصحة .

ومما لا شك فيه أن عرض سيره هؤلاء النسوة فى التوراة ، سيوضح هل أهانت التوراة المرأة أم أكرمتها ؟!

المبحث الأول

صاحبة المعصية الأولى « حواء »

من المؤسف حقا والمثير لدهشة لا تنتهى ، وتعجب لا ينفض أن أول العاصيات المذنبات فى أول كتاب سماوى ـ الذى نؤمن بتحريفه ـ هى أم البشر حواء ، فقد جاء بالتوراة ما يفيد مسؤوليتها الكاملة عن أول خطيئة ؛ تلك التى أخرجتها زوجها « آدم من الجنة .

وسنعرض ما جاء عن حواء فى التوراة بشىء من التفصيل حتى نُجلى ما ذُكِرَ بشأنها :

١ ـ كيفية خلق حواء :

جاء بأول أسفار التوراة وهو سفر التكوين : « (٢١) فأوقع الرب الإله آدم فى نوم عميق ، ثم تناول ضلعًا من أضلاعه وسد مكانها باللحم (٢٢) وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم (٢٣) فقال آدم : « هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ، فهى تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت » (٢٤) لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويصيران جسدًا واحدًا (٢٥) وكان آدم وامرأته عريانين ولم يعترهما الخجل [تكوين: ٢] .

ومن الفقرات يتضح تصريح التوراة بخلق حواء من أحد أضلاع آدم عليه السلام(١).

٢ ـ حكمة الله فى خلق حواء من ضلع آدم :

جاء فى الموسوعة اليهودية : « أن السبب فى خلق حواء من ضلع آدم كان مصاغًا هكذا : « قال الله : لِن أخلقها من الرأس حتى لا ترفع رأسها فى كبرياء، ولن أخلقها من العين حتى لا تكون « مفناجه » (جميلة جذابة) ، ولن أخلقها

(١) أوضح الحديث النبوى الشريف خلق المرأة من ضلع أعوج وبين الرسول ﷺ الحكمة من ذلك وهى معاملة المرأة بين الشدة واللين ، والحديث : قول الرسول ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه « استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء ».

من الفم حتى لا تكون ثرثارة للغاية ، ولن أخلقها من القلب حتى لا تكون غيورة أكثر من اللازم ، ولن أخلقها من اليد حتى لا تكون متطلعة أكثر من اللازم إلى الحصول على الأشياء ، ولن أخلقها من القدم حتى لا تكون كثيرة التجوال هنا وهناك، ولكن خلقتها من جزء مختف من أجزاء الجسم ، حتى تكون متواضعة».

وترتب على خلق المرأة من الرجل : أنها أصبحت أقل قيمة وتابعة للرجل ومن ثم جاء بالموسوعة اليهودية عن وظيفة المرأة :

« خُلقت لخدمة الرجل وكمساعد مناسب له ، فقد تكونت من أحد الأضلاع للرجل الأول « آدم » ، ويرتبط جوهر المرأة كمخلوق إنساني بوظيفتها كرفيقة للذكر . . . وأن الزوجة فى مرتبة أدنى من الزوج الذى يسيطر عليها ، الزوج يستطيع أن يطلق زوجته ولكنها لا تستطيع ذلك ».

٣ ـ مسؤولية حواء الكاملة عن اقتراف أول معصية وهى أول عاصية :

يقول سفر التكوين عن ذلك : « (١) وكانت الحية أمكر وحوش البرية التى صنعها الرب الإله ، فسألت المرأة : « أحقا أمركما الله الا تأكلا من جميع شجر الجنة ؟ (٢) فأجابت المرأة : « يمكننا أن نأكل من ثمر الجنة ، (٣) ما عدا ثمر الشجرة التى فى وسطها » فقد قال الله : لا تأكلا منها ولا تلمساه لكى لا تموتا» (٤) فقالت الحية للمرأة : « لن تموتا ، (٥) بل إن الله يعرف أنه حين تأكلان من ثمر هذه الشجرة تنفتح أعينكما فتصيران مثله ، قادرين على التمييز بين الخير والشر» (٦) وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل وشهية للعيون ، ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت ، ثم أعطت زوجها أيضا فأكل معها (٧) فانفتحت للحال أعينهما ، وأدركا أنهما عريانان ، فخاطا لأنفسهما مآزر من أوراق التين » [التكوين : ٣] .

صرحت الفقرات بما يلى :

أ ـ المرأة ممثلة فى حواء هى التى قطفت الثمرة المحرمة وأكلت أولاً ثم أعطت آدم بعد ذلك ، فهى أساس الخطيئة وأول من اقترف معصية ، ثم أوردت زوجها

الهاوية بإشراكه معها ، وعلى ذلك فالمرأة أساس كل مصيبة وأصل كل غواية .

وجاء عن ذلك فى الموسوعة اليهودية :

« المرأة تلعب دوراً أساسيًا فى تقديم العصيان فى جنة عدن » وتصل الكراهية للمرأة إلى ذروتها في وصفها بأنها الغاوية الشريرة التى تبحث عن غواية الشباب البرىء ، وبالمثل فإن المرأة الغير مخلصة كانت رمزًا للمرتدة عن عقيدتها عند اليهود » .

وفى كتاب الصلوات الرسمى : « بوركت يا إلهى يا من لم تخلقنى امرأة » والإيمان اليهودى الكامل بمعصية المرأة كان السبب الأساسى فى احتقارها حتى وصفها آباء الكنيسة بأنها « إبريق ملئ بالقاذورات وفمها ملئ بالدم ، ومع ذلك يجرى وراءها الجميع » ، « وأنها مصدر الغواية والإغراء » .

ب ـ بمجرد اقتراف الذنب ظهرت العيوب جلية واضحة ، ومن ثم أدركا العورات وفهما أنه يجب سترها فاستغلا ورق شجر الجنة ليداريا السوءات .

٤ ـ تأكيد آدم بإغواء حواء له واعتراف حواء بغواية الحية لها ، وعقاب الحية :

أدرك آدم وحواء أنهما عصيا ربهما فاستحيا منه واختبآ .

« (٨) ثم سمع الزوجان صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبآ من حضرة الرب الإله بين شجر الجنة ، (٩) فنادى الرب الإله آدم: « أين أنت؟ » (١٠) فأجاب : « سمعت صوتك فى الجنة فاختبأت خشية منك لأنى عريان » (١١) فسأله : « من قال لك: إنك عريان ؟ هل أكلت من ثمر الشجرة التى نهيتك عنها ؟ » (١٢) فأجاب آدم : « إنها المرأة التى جعلتها رفيقة لى. هى التى أطعمتنى من ثمر الشجرة فأكلت » (١٣) فسأل الرب الإله المرأة : «ماذا فعلت؟» فأجابت : « أغوتنى الحية فأكلت » (١٤) فقال الرب الإله للحية : «لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين » ومن التراب تأكلين طوال حياتك » (١٥) وأثير عداوة دائمة بيتك وبين المرأة ، وكذلك بين نسليكما ، هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه » [تكوين: ٣].

والفقرات تحوى من العجائب الخير مقبولة عقلا الكثير :

أ ـ أن الله كان يجهل معصيتهما.

ب ـ أن الله كان يتمشى فى الجنة وله صوت وقع خطوات .

جـ ـ كان عقاب الحية هو العداء المتبادل بينهما وبين بنى الإنسان .

وهنا يجوز لنا أن نتساءل : ما هو سبب العداء بين الإنسان وباقى الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة والحشرات الفتاكة والجراثيم المميتة ؟

٥ ـ عقاب المرأة والرجل فى الدنيا بعد الطرد من الجنة:

أ ـ عقاب المرأة :

« (١٦) ثم قال للمرأة : « أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادًا، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك » [تكوين: ٣: ١٦] .

إن عقاب المرأة كان ثلاثى الأبعاد : تلد بالألم ، ويقال : إنه أشد الم والذ وأسعد الم ، وطوال عمر البشرية لم نجد امرأة تخشى الولادة خوفا من الألم ، أما كون اشتياق المرأة للرجل فهو أيضا ليس بعقاب ، فذلك شهوة ولذة الجنس وحب البقاء ، أما بالنسبة لتسلط الرجل على المرأة كعقاب فهو أمر قصد منه أولوية الزعامة والرياسة والتوجيه ، أى القوامة.

وعلى ذلك ، فعقاب المرأة لا يتناسب مع أول وأكبر خطيئة تسببت فيها ـ على حسب زعم التوراة الحالية .

ب ـ عقاب الرجل :

« (١٧) وقال لآدم :« لأنك أذعنت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التى نهيتك عنها » فالأرض ملعونة بسببك وبالمشقة تقتات منها طوال عمرك . (١٨) شوكًا وحسكًا تنبت لك ، وأنت تأكل عشب الحقل (١٩) بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، فمن تراب أخذت ، وإلى تراب تعود» [تكوين: ٣].

ويلاحظ أن عقاب الرجل أشد رغما عن أنه ليس أول من أخطأ فقد كُتب

عليه المشقة والجهد والعمل ليحيا ، وفي النهاية يموت ويدفن في الأرض .

ولنا أن نتساءل : هل الرجل « الذكر » هو ما يموت فقط كعقاب له أما الأنثى فلا تموت ؟!

جـ - جزاء وعقاب الإنسانية جمعاء :

كان ذلك في الطرد من الجنة والشقاء في الدنيا :« (٢١) وكسا الرب الإله آدم وزوجته رداءين من جلد صنعها لهما (٢٢) ثم قال الرب الإله : « ها الإنسان قد صار كواحد منا ، يميز بين الخير والشر . وقد يمد يده ويتناول من شجرة الحياة ويأكل، فيحيا إلى الأبد» (٢٣) فأخرجه من جنة عدن ليفلح الأرض التي أخذ من ترابها (٢٤) وهكذا طرد الله الإنسان من جنة عدن ، وأقام ملائكة الكروبيم ، وسيفا ناريا متقلبا شرقي الجنة لحراسة الطريق المفضي إلى شجرة الحياة » [التكوين: ٣] .

وينبغي القول بأن كسوة آدم وحواء برداءين جلد قد صنعهما الله لهما ، لهو دليل قاطع على رضا الله عنهما أو على الأقل ، العفو عنهما والمغفرة .

ويقول القس « إلياس مقار » ملتمسًا العذر لحواء في خطيئتها :

« كانت حواء ساذجة قاصرة ، ضيقة التفكير ، محدودة الإدراك ، فهي كما وصفها « جورج ماثيون » قصة الطفولة في أدق ما في الكلمة من معنى ، طفولة الطيبة الإنسانية التي لم تلف وراءها السنين الطول من المعرفة والاختبار والمران والتجربة . . . » (١) .

إذن أما كان الله ليغفر لحوء وزوجها هذه الخطيئة وهما لم يعرفا قبلها الفرق بين الخير والشر ، كما أن خبرتهما بالحياة والحيل والمكر والدهاء متقدمة (٢) .

---

(١) نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ، دار الثقافة ص١٢ .

(٢) أوضح القرآن الكريم طلب التوبة منهما وقبول الله لهذه التوبة ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

المبحث الثانى
نساء عبدن الأصنام

١ ـ راحيل امرأة يعقوب وأم يوسف :

إنها قد تكون قصة نشأة القول المأثور : « الغاية تبرر الوسيلة » فخال يعقوب يخدعه ، وابنة خال يعقوب زوجته وأم ابنه العظيم « يوسف » تسرق أباها وتخدعه وتكذب عليه ، ولم ؟ حبًا فى عبادة الأصنام ، كذبت لكى تحصل على صنم تعبده وتسجد له !

جاء فى سفر التكوين :

زواج يعقوب من ليئة وراحيل ، « أختان » :

« اتفق يعقوب مع خاله لابان على الزواج من راحيل ابنة خاله مقابل العمل ٧ سنوات فخدعه خاله وزوجه ليئة ثم اتفق معه على الزواج من راحيل مقابل العمل ٧ سنوات أخرى » [التكوين : ٢٩ : ١٥ ـ ٣٠].

والفقرات توضح تضحية يعقوب بسبع سنوات عمل أخرى ليتزوج راحيل التى سبق أن طلبها من خاله فخدعه وزوجه أختها .

شهية راحيل لأكل فاكهة جعلتها تتخلى عن ليلتها لليئة :

« (١٤) وذهب رأوبين فى موسم حصاد القمح إلى الحقل ، فعثر فيه على نبات اللفاح وجاء به إلى أمه ليئة . فقالت راحيل لليئة : « أعطنى من لفاح ابنك» (١٥) فأجابتها : « ألم يكف أنك أخذت منى زوجى ، والآن تريدين أن تأخذى لفاح ابنى أيضا ؟ » فأجابتها راحيل : «إذًا يُعاشرك الليلة لقاء لفاح ابنك (١٦) . . . فعاشرها فى تلك الليلة (١٧) واستجاب الله لليئة فحملت وأنجبت ليعقوب ابنا خامسًا (١٨) فقالت ليئة : « قد أعطانى الله أجرتى لأننى وهبت جاريتى لزوجى » . ودعته يساكر « ومعناه : يعمل بأجره ». . . (٢٢) وذكر الله راحيل واستجاب لها وفتح رحمها (٢٣) فحملت وأنجبت ابنا . . . (٢٤) ودعته يوسف

« ومعناه يزيد » [التكوين : ٣] .

إن المرأة لا تغفر أبداً لأخرى أنها شاركتها فى زوجها ، وبالرغم أن ليئة هى التى سرق أبوها زوجها من أختها أولا ، إلا أنها لم ترض عن زواج راحيل من يعقوب.

راحيل أم يوسف تعبد الأصنام وتسرقها وتكذب من أجلها :

تقول التوراة : أثناء عودة يعقوب مع أهله من عند خاله وحميه لابان إلى موطنه قومه ، سرقت راحيل أصنام أبيها .

« (٣٤) وكانت راحيل قد أخذت الأصنام وأخفتها فى رحل الجمل وجلست عليها ، فبحث « أى لابان والدراحيل » فى كل الخيمة دون أن يعثر على شىء (٣٥) وقالت لأبيها « لا يسألك يا سيدى عدم استطاعتى الوقوف أمامك لأن عادة النساء قد عرضت لى » [تكوين : ٣١] .

ومن العجيب أن البعض من أهل الكتاب ينظرون إلى راحيل بنظرة احترام ، ولا يذكروا أخطاءها ، فها هو القس « إلياس مقار » يقول عنها : « ومع أن يعقوب تزوج ليئة وبلهة وزلفة ولكن واحدة منهن لم تأخذ على الإطلاق مكان راحيل التى ملكت عليه شغاف قلبه . . . فعندما ماتت لم يدفنها فى طريق أقرانه التى هى بيت لحم فحسب ، بل خلد ذكرها بنصب أقامه فى المكان وأطلق عليه : عمود قبر راحيل » (١) .

هل طغى حبها على أبى اليهود حتى غفر لها عبادة الأوثان وأكرم مثواها الأخير.

٢ ـ أم ميخا « اليهودية » :

سرق الابن أمه وعندما سمعها تلعن السارق خاف واعترف بجريمته ورد لها مالها ، فأرادت المرأة التبرع بهذا المال للرب باسم ابنها لينال الثواب والبركة، وكان ذلك عن طريق صنع تمثال ذهب لعبادته .

(١) نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ، دار الثقافة ص ٥٥ .

ووردت هذه القصة فى سفر القضاة :

«(١) سرق ميخا من أمه ألف ومائة شاكل فضه «١٣٢كجم» ثم ذهب ليعترف لها بالسرقة » (٢) قال هذا لأمه : إن الألف والمائة شاكل من الفضة التى سرقت منك، والتي سمعتك تلعنين سارقها، هي معى ، وأنا الذى أخذتها ، فقالت أمه: «ليباركك الرب يا ولدى » (٣) فرد لها الألف والمائة شاكل من الفضة ، فقالت أمه: «سأهب هذا المال باسمك للرب ، لننحت تمثالاً ونصوغ منها صنما ، وها أنا أرد لك المال (٤) وأعطت أمه مائتى قطعة فضة للصائغ فنحت وصاغ لها تمثالين ، نصيبًا فى بيت ميخا » [القضاة : ١٧] .

وهذه القصة توضح عبادة اليهود للمال منذ القدم ، فهى عبادة تسرى فى دمائهم ، والفقرات توضح أن ميخا وأمه يعرفان الرب حق المعرفة ، فكيف يتجهون لعبادة صنم !! إنه الذهب ، الذى يذهب اليسير منه بإيمانهم ، وهى عادة متفشية منذ عهد نبيهم الأكبر موسى ، الذى ذهب للقاء ربه ورجع بعد أربعين يوما ليجدهم قد صاغوا عجلا من ذهب ليعبدوه .

٣ ـ معكة امرأة الملك رحبعام وأم الملك آسا (١) :

ما أحقر وأضل من امرأة ، كانت الحبيبة لزوجها الملك ، وهى أم لملك ، كان لها من الكرامة ما تجاوز أحلام الكثير من النساء ، وبدلاً من شكر الله وحمده تعبد الأصنام .

« (٢١) وأحب « رحبعام » معكة ابنة أبشالوم أكثر من سائر نسائه ومحظياته» [أخبار الأيام : ١١ : ٢١] .

« (١٦) وخلع آسا أمه معكة من منصب الأم الملكة ، لأنها أقامت تمثالا لعشتاروت فحطم تمثالها ودفنه وأحرقه فى وادى قدرون » . [أخبار الأيام الثانى : ١٥، ١٦].

---

(١) آسا : ملك يهوذا وهو ابن أبيا بن رحبعام بن سليمان بن داود .

المبحث الثالث

نساء زانيات

١ ـ ثامار كنة يهوذا والانتقام منه [1] :

من شرائع اليهود الإلهية : إذا مات رجل لم ينجب من زوجته فيجب على أخيه أو أقرب قريب له أن يتزوج هذه الزوجة حتى ينجب منها ، فإن ولدت فالمولود ينسب إلى المتوفى ، هدف ذلك أحياء ذكرى المتوفى فى إسرائيل ، فإذا رفض المكلف بالزواج القيام بهذا الواجب كان على المرأة أن تهينه أمام الناس «تخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه وتصرخ وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه ، فيدعى اسمه فى إسرائيل : بيت مخلوع النعل ».

ويحكى لنا سفر التكوين قصة ثامار مع زوجها وإخوته ، وكيف انتقمت من حميها يهوذا لأنه ماطل فى زواجها من ابنه الثالث :

« (٦) وأخذ يهوذا لعير «اسم ابنه » بكرة زوجه تدعى تامار (٧) وإذا كان عير . . . شريرا ، أماته الرب (٨) قال يهوذا الأونان « اسم لابنه الثانى» : ادخل على زوجة أخيك وتزوجها وأقم لأخيك نسلاً » (٩) وعرف أونان أن النسل لا يكون له ، فكان كلما عاشر امرأة أخيه يفسد على الأرض ، كيلا يقيم لأخيه نسلا (١٠) فساء عمله هذا فى عين الرب فأماته أيضا (١١) فقال يهوذا لتامار كنته : «امكثى أرملة فى بيت أبيك ريثما يكبر شيله ابنى » [القضاة: ٣٨] .

ولكن يهوذا تشاءم من تزويجها لابنه الثالث وخاف موته أيضا فعلمت المرأة بنيته وكادت له .

(١٤)فنزعت عنها ثياب ترملها، وتبرقعت وتلفعت وجلست عند مدخل عينايم التى فى طريق تمنه . . . (١٥) فعندما رآها يهوذا ظنها زانية لأنها كانت محجبة (١٦) . . . فقال : « دعينى أعاشرك ، ولم يكن يدرى أنها كنته » فقالت: « ماذا

---

(١) يهوذا : أحد أبناء يعقوب وأخ ليوسف ، وثامار : زوجة لابنه.

تعطينى لكى تعاشرنى؟ (١٧) فقال « أبعث إليك جدى معزى من القطيع ، فقالت: «أتعطينى رهنا حتى يبعث به » (١٨) فسألها أى رهن أعطيك ؟ فأجابته : خاتمك وعصابتك وعصاك » ، فأعطاها ما طلبت ، وعاشرها فحملت منه (١٩) ثم قامت ومضت » وخلعت برقعها وارتدت ثياب ترملها » [التكوين : ٣٨].

وقبل استكمال القصة لنا هنا ملاحظات :

أ ـ هل الموت جزاء عدم طاعة الله ، فقد مات ابنان لغضب الله عليهما؟ أم هذه أوهام كاتب ؟!

ب ـ العزل : طريقة معروفة لتحديد النسل منذ القدم « يفسد على الأرض».

جـ ـ هل يعقل أن يهوذا ابن يعقوب ، يعاشر الزوانى ويحصل عليهن من مفترق الطرق ، ويعطى جدى ماعز مقابل الزنا ؟

ونستكمل القصة فنقول : حملت ثامار من والد زوجيها السابقين وظهر الحمل بعد ثلاثة أشهر ، فأبلغ الناس يهوذا بحمل كنته من الحرام فقال : «أخرجوها لتحرق (٢٥) عندما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: «أنا حبلى من صاحب هذه الأشياء ، تحقق لمن هذا الخاتم والعصابة والعصا ؟ (٢٦) فأقر بها يهوذا وقال: «هى حقا أبر منى ، لأننى لم أزوجها من ابنى شيله ، ولم يعاشرها فى ما بعد» [التكوين: ٣٨].

وكانت نتيجة الزنا ولادة توأم من الذكور هما فارص وزارح ولنا أن نتساءل: إذا كان جزاء الزنا الحرق، فلم لم يقم يهوذا الحد على نفسه؟ ألم يزن ! وهل كون ثامار زنت معه فهى لم تعد تستوجب الحد؟!

ومن عجائب التوراة التى يندى لها الجبين ، ولا يقبلها ذو عقل قويم أو فكر سديد : أن يهوذا عندما أرسل لها الجدى مقابل زناه بها ولم يجدها قال للرسول : «(٢٣) . . فلتحتفظ بما عندها « يعنى الخاتم والعصابة والعصا » ، فلست أريد أن يسخر الناس منى ، لقد بعثت بهذا الجدى أجرة لها ولكنك لم تجدها ».

خاف يهوذا من أن يقول الناس عليه : إنه أكل أجرة زناه وظلم الزانية ، ولم

يخش الله . . لاقترافه الزنا من عاهرة ، امرأة على الطريق .

ومن المخزى أن المسيح ﷺ من نسل [1] فارض ابن ثامار ويهوذا من الزنا الصريح . من جهة الأم مريم خطيبها يوسف النجار !!

٢ ـ راحـــــاب :

قصة الزانية التى خانت قومها لتحمى جواسيس اليهود ، ومن ثم اعتبرت قديسة . إن من شيم الاستعمار أن يعلى من شأن خونة أوطانهم طالما حققوا مصالحه وأن يعتبر ما تقاومه من أبطال إرهابيين ، فالمصالح واختلاف وجهات النظر يعكس المفاهيم ويضيع الحق .

والقصة جاءت فى سفر يشوع وملخصها :

١ ـ أرسل اليهود جواسيس لاكتشاف العدو وقوته وطبيعة الأرض حيث قال لهم يشوع قائدهم : « اذهبا واكتشفا الأرض وأريحا » [يشوع ٢ :١] .

٢ ـ اكتشف قومها تسلل الجواسيس والاختباء فى بيت رحاب العاهرة ، فطلبوا منهما تسليم الجواسيس ، ولكنها خبأت الجاسوسين أعداء وطنها وقومها، وادعت أنهما غادرا المدينة «قد غادرا المنزل قبل إغلاق باب المدينة » [يشوع ٢ : ٥] ،« والحقيقة أنها خبأتهما (٦) أما هى فأصعدتهما إلى السطح وخبأتهما بين عيدان الكتان المكومة عليه » [يشوع ٢ : ٦] .

٣ ـ راحاب طلبت المقابل لهذه الخيانة وهى حمايتها وقومها وعدم إيذائهم إذا انتصر اليهود ودخلوا أريحا فواعداها « (١٩) كل من يغادر منزلك يكن دمه على رأسه، ونحن بريئان ، وأما من يكون معك فى البيت فدمه على رأسنا » [يشوع ٢ : ١٩] .

٤ ـ اليهود ينتصرون ويحرقون أريحا بالنار ولكنهم وفاءً لعهد راحاب ينقذوها مع أهلها « واستحيا يشوع من راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها ، فأقامت فى وسط شعب إسرائيل إلى هذا اليوم ، لأنها خبأت الجاسوسين . . .» [يشوع٢: ٢٥].

---

(١) إنجيل متى ١ : ٣ « ويهوذا أنجب فارص وزارح من ثامار ، وفارص أنجب حصرون . . . (١٦) ويعقوب أنجب يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح » ، وانظر : لوقا ٣ ـ ٢٣ ـ ٣٨ .

ويقـول الإنجيل : إن المسـيح من أولاد أولاد بوعـز مـن رحـاب . فتسلسل نسـب المسيح يوضـح أن سلمـون ولد بوعز مـن راحـاب وبوعز ولد عوبيد من راعـوث .

والتوراة لم توضح أن راحاب آمنت بإله إسرائيل ولكنها أوضحت الانتقال والمعيشة عند اليهود لسابق حمايتها للجاسوسين ، وحيث إنها أصبحت من جدات المسيح ، فقد رأى علماء أنها تابت وآمنت ولا دليل على إيمانها من التوراة ، على ذلك يقول القس إلياس مقارعنها : « . . . ولعل قصة راحاب الوثنية الزانية القديمة ، هى خير ما يمكن أن تروى ؛ إذ كيف تحولت هذه المرأة التى أوغلت فى الإثم بين عشية وضحاها ، إلى واحدة من أشهر القديسات والمؤمنات ، وكيف أصبحت نوراً مشعًا ، ومصباحًا هاديًا لكل من ضل الطريق وانحرف » (1) .

وقد استمد القس هذه الفكرة من رسالة بولس إلى العبرانيين حيث قال : «بالإيمان رحاب الزانية لم تهلك مع العصاة ، إن قبلت الجاسوسيين بسلام » [عبرانيين ١١ : ٣١].

أفلا نتعجب من بولس بعد مئات السنوات من هذه الحادثة يصف عاهرة كانت تدير منزلاً للدعارة حسب الاعتقاد المسيحى بأنها مؤمنة ، ويوضح السبب وهو خيانة قومها وحماية جاسوسين من أعداء البلاد.

ولنا أن نتساءل : مؤمنة بماذا بالله إله إسرائيل أم بضرورة حماية الأعداء خوفًا على نفسها والأهل والخلان ؟!

٣ ـ أم يفتاح الجلعادى العاهرة :

إن الله إذا وهب السلطة أو الملك أو ما شاء فلا راد لمشيئته ، فلا أسباب تحول دون إرادته ، ولا مسببات تقف دون رغبته، ولقد شاء أن يتولى حكم إسرائيل ابن عاهرة أفاق ، ثم ينذر لله نذرًا لا مثل له فى شريعة موسى ، ولم يألفه بنو إسرائيل،

---

(١) القس إلياس مقار : نساء الكتاب المقدس ص ٧٩.

وحتى يفى بالنذر ضحى بابنته الوحيدة .

وقد جاء فى سفر القضاة :

يفتاح ابن عاهرة وهو أفاق «قاطع طريق» :

« (١) وكان يفتاح الجلعادى محاربًا شديد البأس ، أنجبه أبوه جلعاد من امرأة عاهرة» .

هذا وقد طرده إخوته لأنه ابن عاهرة « (٣) فهرب يفتاح من إخوته وأقام فى أرض طوب ، فاجتمع إليه رجال أفاقون وتبعوه ».

وعندما طالت الحرب مع العجونيين استغاث به قومه ووعدوه بالملك عليهم إذا حارب الأعداء .

« (٨) . . . لأننا فى ضيق جئنا إليك لترجع معنا تحارب بنى عمون ، وتكون رئيسا على كل سكان جلعاد » . . . (١١) فانطلق يفتاح مع شيوخ جلعاد فنصبه الشعب عليهم رئيسا وقائدا. . .» [القضاه ١١ : ١، ٣ ، ٨ ، ١١] .

٤ ـ ابنتا لوط عليه السلام :

تعد هذه القصة بحق من تخاريف التوراة ، فهى قصة لا يقبلها أى عقل ولا يستسيغها أى منطق ، فهى إهانة للبشرية بأسرها .

ومما جاء عنها بسفر التكوين :

« بعد هلاك سدوم وعمورة بأمطار الكبريت والنار ، وقلب تلك المدن والساكنين فيها ، والسهل المحيط بها وكل مزروعات الأرض » [تكوين ١٩ : ٢٥].

« (٣) غادر لوط وابنتاه بعد ذلك صوغر ، واستقروا فى الجبل لأنه خاف أن يسكن فى صوغر ، فلجأ هو وابنتاه إلى كهف هناك (٣١) فقالت الابنة البكر لأختها الصغيرة : « إن أبانا قد شاخ وليس فى الأرض حولنا رجل يتزوجنا كعادة كل الناس ، (٣٢) فتعالى نسقيه خمراً ونضطجع معه فلا تنقطع ذرية أبينا » [تكوين ١٩ : ٣٠ ـ

.[٣٢

« وقد تم ذلك فعلا » [تكوين ١٩ : ٢٣ ـ ٣٥] .

وكانت النتيجة « (٣٦) وهكذا حملت الابنتان كلتاهما من أبيهما (٣٧) فولدت الكبرى ابنا دعته موآب « ومعناها من الأب » ، وهو أب الوآبيين إلى اليوم ، أما الصغرى فولدت ابنا دعته « بن عمي » « معناه ابن قومي » وهو أبو نبى عمون إلى اليوم» [تكوين ١٩ : ٣٦ ـ ٣٨] .

ويبقى السؤال المحير : هل يرتضى الله أن يقوم جزءا كبيرا من البشرية من حرام ، وليس أى حرام . . زنا من ابنتى نبى ومنه وليس من الغرباء؟!

وهل أدركت ابنتا لوط انعدام الرجال من على وجه الأرض نهائيا حتى يبررا فعلتهما المشينة ؟! مع العلم أن الفناء كان لقوم سدوم وعمورة فقط وليس لكل البشر.

٥ ـ زوجة فوطيفار (١) :

ذكرت قصة يوسف مع « فوطيفار » فى سفر التكوين ، وهذه القصة هى أبلغ قصص ضعف المرأة أمام شهوة الرغبة والجنس والعشق والحب المحرم .

ويقول عنها القس إلياس مقار (٢) :

« لست أعلم لماذا جاءت هذه القصة مبكرة على الصفحات الأولى من كتاب الله، ولماذا حرص الوحى على أن نوردها على هذه الصورة على المسرح رغم ما فيها من دقة وقسوة وحساسية ؟ هل يرجع الأمر إلى أن قضية الجنس هى واحدة من أهم القضايا وأعمها بين بنى الإنسان إلى الدرجة التى جعلت عالم النفس الكبير « فرويد » يرد كل شيء فى حياة البشر إليها «الرغبة الجنسية » ، والقس هنا يشير إلى ورودها فى أول أسفار التوراة وهو سفر التكوين الذى يعنى أساسًا بخلق الله للكون ، ومما جاء عنها :

١ ـ استقرار يوسف بعد مؤامرة إخوته بمصر :

« (١) وأخذ الإسماعيليون يوسف إلى مصر ، فاشتراه منهم مصرى يدعى فوطيفار، كان خصى فرعون ورئيس الحرس (٢) وكان الرب مع يوسف ، فأفلح فى

(١) وصفها القرآن الكريم « امرأة العزيز » ، ولم يذكر اسمها فى القرآن الكريم .

(٢) نساء الكتاب المقدس ص ٦١ .

عمله » وأقام فى بيت سيده المصرى » [تكوين ٣٩] .

٢ ـ غرام زوجة سيده به ومحاولة فعله الفاحشة وإغرائها له :

« (٧) ثم لم تلبث أن أعزمت به زوجة مولاه فقالت « اضطجع معى» (٨) فأبى وقال لها « . . . فكيف أقترف هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله ؟ » (١٠) ولم يذعن يوسف لها مع أنها كانت تلح عليه يوما بعد آخر » .

٣ ـ محاولة اغتصاب زوجة فوطيفار ليوسف :

« (١١) وحدث يوما أنه دخل البيت ليقوم بعمله ، ولم يكن فى المنزل أحد (١٢) فأمسكته من ردائه وقالت : « اضطجع معى » . فترك رداءه بيدها وهرب خارجا تاركًا رداءه بيدها » [التكوين ٣٨].

٤ ـ اتهام زوجة فوطيفار ليوسف بمحاولة اغتصابها :

« (١٤) نادت أهل بيتها وقالت : « انظروا ما جرى ؟ هذا العبرانى الذى جاء به زوجى إلى البيت ، شرع يراودنى عن نفسى ، دخل غرفتى وحاول اغتصابى ، فصرخت بأعلى صوتى (١٥) وعندما سمعنى قد رفعت صوتى وصرخت ، ترك رداءه معى وهرب خارجًا » [تكوين ٣٩] .

هذا وقد كررت القول والاتهام لزوجها عندما حضر من عمله .

٥ ـ يوسف فى السجن :

« (١٩) فلما سمع سيده كلام زوجته وما اتهمت به يوسف احتدم غضبه، (٢) فقبض على يوسف وزج به فى السجن » [التكوين ٣٩] .

إن أيسر سُبُل دفاع المرأة عن نفسها إذا فشلت فى نيل مبتغاها من رجل أن تتهمه بأنه هو من حاول النيل من شرفها وتحطيم كرامتها ، وهى بذلك تستحل الكذب حتى لا تبدو أمام المجتمع أنها المذنبة ، وما أيسر أن يصدق الناس أن رجلاً حاول اغتصاب امرأة، وما أسهل تصديقها ، فالرجال قد يوصفون بالذئاب البشرية ، أما النساء فلا يوصفن بذلك .

هذا وقد وقفت التوراة عند هذا الحد ، ولم تكمل القصة والتأكد من صدق المرأة أو كذبها [1] .

---

(١) القرآن الكريم أوضح براءة يوسف وقد أفاض فى هذه القصة وجاء بشأنها سورة كاملة فى القرآن الكريم هى سورة يوسف .

المبحث الرابع

نساء المكر والخديعة

١ ـ إيزابيل امرأة الملك أخآب :

صورة الطمع والجشع فى أحقر معانيه ، إنه تخطيط المرأة الذى يفوق خطط الشيطان الرجيم » استعملت هذه المرأة فيه لتحقيق أهداف غير مشروعة ، الكذب وشهود الزور لقتل برىء للاستيلاء على أمواله ، وهى وزوجها ليسا فى حاجة إلى هذا المال ولكنه الجشع وتحقيق مبدأ : الغاية تبرر الوسيلة .

« (١) . . . إذا طلب إلينا أن نتصور وحشًا ضاريًا يجمع فى جسد واحد جميع رؤوس الحيوانات المفترسة حقا ، مضاف إليها رأس إنسان . . . وهى تنمو أكثر ضراوة وتوحشًا ورعبا . . . كانت إيزابيل . . . هذا الوحش ، وقد أطل من عينى امرأة » .

« كان لنابوت اليزرعيلى (٢) كرم فى يزرعيل ، مجاور لقصر أخآب ملك السامرة (٢) فقال أخآب لنابوت « قايضنى كرمك لأجعله حديقة خضراوات لأنه مجاور لقصرى، فأعطيك بدلاً منه كرما أفضل منه، أو إذا راق لك ادفع ثمنه فضة (٣) فأجاب نابوت : معاذ الله أن أفرط فى ميراث آبائى » [١ملوك ٢] .

« غضب من ذلك الملك أخآب واغتم حتى أنه (٤) . . . استلقى فوق سريره مشيحًا بوجهه نحو الحائط عازفًا عن الطعام » [١ ملوك ٢١]. فعلمت بالأمر زوجته إيزابيل ووضعت خطة إرهابية للتآمر للحصول على هذا الحقل مجانا ملخصها :

أرسلت لوجهاء وقادة الشعب فى بلدة نابوت قائلة : « (٩) . . . ادعوا الشعب للصوم، وأجلسوا نابوت فى مكان الصدارة ، (١٠) وأقيموا شاهدى زور ليشهدا أن نابوت جدف (٣) على الله وعلى الملك ، ثم أخرجوه من المدينة وارجموه حتى الموت» [١ملوك ٢١].

وتمت الخطة بنجاح واستولى الملك على الحقل مجانا بعد موت صاحبه رجما

---

(١) نساء الكتاب المقدس ص ١٦١ .

(٢) اسم رجل منسوب لبلدته.

(٣) يجدف على الله : يسب ويسيء لله.

بالحجارة » (١٦) عندئذ قام أخآب ونزل ليتفقد كرم نابوت ويستولى عليه » .

٢ ـ رِفقة امرأة إسحاق بين الحياء والدهاء والخديعة :

إنها قصة حُسن الاختيار المتبادل لزواج مبارك بين رجل وامرأة تربطهما القرابة وينأى عنهما البعد ، خطب الرجل بتزكية والده إبراهيم بأن يتزوج من قومه ما ييسرها له الرب ، وهى ارتضت بزوج لم تره قبل الزفاف نهائيا إتكالاً على الثقة بالرب ، وكان الزواج ناجحًا ، ولم تتحايل على زوجها إلا عند موته ليورث من أولاده من لا يستحق الإرث شرعًا، فبالخديعة والمكر والدهاء تجعل زوجها يهب لما لا يستحق الميراث من زعامة وملك ونبوة .

والقصة يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ الموافقة والزفاف على إسحاق دون أن تعرفه :

تمت الموافقة على زواج رِفقة ابنة بتوئيل ابن ملكة زوجة ناحور أخى إبراهيم من إسحاق بن إبراهيم ، وتركت ديارها وذهبت لتزف إليه ولم تكن قد رأته بعد ، وفى الطريق قابل إسحاق القافلـة وبها رفقة حيث شاهدته رفقة « (٦٣) فخرج عند المساء إلى الحقل متأملا وإذ تطلع حوله شاهد جمالاً مقبلة ، (٦٤) ورفعت رفقة كذلك عينيها ورأت إسحاق فترجلت عن الجمل (٦٥) وسألت العبد : «من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائنا » ؟ فقال العبد : « هو سيدى » . فتناولت الحجاب وتغطت » [التكوين: ٢٤].

٢ ـ رفقة تتآمر على زوجها لسرقة بركة عيسو ومنحها يعقوب :

« [1] كانت رِفقة عاقرًا لكن زوجها إسحاق صلى ودعا الرب أن يفتح رحمها فاستجاب الرب وانجبت توأمًا : عيسو البكرى ويعقوب بعده بدقائق ، وحيث إن عيسو تزوج امرأتين اتعبتا حياته وحياة أمه ، فقد قررت أمه الانتقام منه وسرقه » وسلب مزايا البكورية [2] » ومنحها لإسحاق . علمت رفقة أن إسحاق استدعى عيسو وقال له : «يابنى (٢) ها قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتى (٣) فالآن خُذ عُدتك، . . وامض إلى البرية واقتنص لى صيدًا (٤) وجهز لى طعاما شهيا كما أحب وائتنى به

(١) انظر : سفر التكوين الإصحاح ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) مزايا البكورية : هى إرث الابن الأكبر لأموال وألقاب وسلطة ورئاسة الأب.

لآكل ، لتباركك نفسى قبل أن أموت » [التكوين ٢٧] .

فأمرت ابنها يعقوب « (٩) اذهب إلى قطيع الماشية ، واختر جديين لأجهز لأبيك أطعمة شهية كما يحب (١٠) تقدمها لأبيك ليأكل فيباركك قبل وفاته» [تكوين ٢٧].

وحيث إن يعقوب كان أملس وعيسو أشعر ، كما أن هناك اختلافا فى الصوت فقامت أمه « (١٦) غطت يديه وملابس عُنُقه بجلد الجديين (٧) وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهية والخبز » [تكوين ٢٧] .

٣ ـ يعقوب يكذب ويتحايل على والده إسحاق ليسرق بركة أخيه :

أ ـ ادعى أنه عيسو فقال لأبيه : « (١٩) أنا عيسو بكرك ، وقد فعلت كما طلبت ، (٢٠) فقال إسحاق : كيف استطعت أن تجد صيدا بمثل هذه السرعة يا ولدى؟ «فأجابه» «لأن الرب إلهك قد يسر لى ذلك » [تكوين ٢٧] .

وهنا كذب مرتين بالادعاء أنه عيسو ، ثم إن إلهه يسر له الصيد ، أى أنه كذب باسم الإله .

٤ ـ إسحاق يشك فى كذب ابنه :

طلب أن يتحسسه « كان ضريراً لكبر سنه فجسه ثم قال (٥٢) الصوت صوت يعقوب أما اليدان فهما يدا عيسو» [تكوين ٢٧] .

وفى النهاية أفلحت الخدعة التى خططت لها رِفقة فى منح البركة ليعقوب بدلاً من عيسو ، أى أن أبا اليهود الأكبر حصل على امتيازاته بالكذب والغش والخيانة ، وكانت البركة (١). (٢٨) فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض ، فيكثر لك الحنطة والخمر(٢٩) لتخدمك الشعوب وتسجد لك القبائل ، لتكن سيداً على إخوتك، وبنو أمك لك ينحنون ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركون مباركين » [تكوين ٢٧].

وبالطبع تم اكتشاف الخدعة بعد الدعاء بالبركة ، ونحن نتساءل : هل يقبل الرب استجابة دعاء استْوجبَ بالكذب ؟!

---

(١) لم تتحقق البركة ، فبنو إسرائيل خدم خلق الله ، فكانوا منذ عهد يوسف عبيداً لنا فى مصر ، وما زالوا مشتتين عبيداً فى الأمم ولولا مساعدة الغرب والمسيحية العالمية لهم ما قامت لهم قائمة.

٣ ـ امرأة شمشون وعشيقته :

قد تكون هذه القصة أسطورية من الميراث القصصى القديم ، ولكنها تسللت إلى التوراة ، فشقها الأول فيه العبرة والموعظة الحسنة بما يجنيه المرء من ثمار الإيمان الحقيقى، والنصف الثانى منها يوضح تناقضات الطبيعة للنفس البشرية ، والتى لا ينبغى بأى حال من الأحوال أن تتمكن من قلب وعقل ووجدن قائد إسرائيلى قد اختاره الرب قبل ميلاده ليكون نذيراً له « أى فى خدمته وعبادته ونصرة دينه » ولكنها التوراة المحرفة، كتاب التناقضات والأوهام ومن القصة :

١ ـ وعد الله لمنوح وزوجته بإنجاب ابن طاهر « نذير للرب » :

« (٢) وكان هناك رجل من بلدة صريحة من عشيرة الدانيين يدعى منوح وامرأته عاقر لم تنجب (٣) فتجلى ملاك الرب للمرأة قال لها : إنك عاقر لم تنجبى » ولكنك ستحبلين وتلدين ابنا (٤) إنما إياك أن تشربى خمراً أو مسكراً أو تأكلى شيئا محرمًا (٥) لأنك ستحملين وتنجبين ابنا ، فلا تحلقى شعر رأسه لأن الصبى يكون نذيراً لله من مولده، وهو يشرع فى إنقاذ إسرائيل من تسلط الفلسطينيين » [القضاة ١٣ : ٢ـ٥].

هذا وقد تجلى ملاك الرب لمنوح وامرأته مرة ثانية ، فسأله منوح أن يتناول طعاما ، فرفض وطلب منهما تقديم تقدمة « ضحية » للرب ، فنفذ منوح ذلك « (١٩) ثم أخذ منوح جديا وتقدمه حبوب وقربها على الصخرة للرب ، فقام الملاك بعمل عجيب على مشهد من منوح وزوجته (٢٠) فقد صعد فى ألسنة اللهيب المرتفعة من المذبح نحو السماء على مشهد منهما ، فخرا على الأرض ساجدين » [القضاة ١٣ : ١٩ ـ ٢٠] .

فخاف الرجل « منوح من رؤية الملاك » (٢٢) فقال منوح لامرأته : « إننا لابد مائتان لأننا قد رأينا الله [١] » (٢٣) فأجابته « لو أراد الرب أن يميتنا لما قبل منا محرقة وتقدمة ، ولما أرانا كل هذه الأمور وأخبرنا بها فى هذا الوقت » (٢٤) فأنجبت المرأة ابنا دعته شمشون » [القضاة ١٣ : ٢٢ ـ ٢٤] .

يتبين من الفقرات أن ميلاد شمشون بمعجزة بشر بها الرب ، كما أن الرب اختاره وفقًا لرغبته نذيراً له « أى فى خدمته وعبادته والحرب والقتال لنصرة دينه» ولذلك مُنعت

---

(١) تارة يقال : إنهما رأيا ملاكًا وأخرى أنهما رأيا الله ، والله لا يرى ويعين من يراه حيث قال لموسى : «لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » [خروج ٣٣ : ٢٠].

والدته من شرب الخمر وأكل المحرم بتقديم أضحية حتى تكتمل طهارة المولود قبل أن يولد ، أمر الرب بتقديم أضحية « محرقة » لشكره على نعمة هذا الميلاد المُعجز ، وقد تحققت المعجزة وأنجبت العاقر التى أمرت ألا تحلق رأس المولود زيادة في النسك .

٢ ـ امرأة شمشون وخيانتها له :

أعجب شمشون بفتاة فلسطينية وطلب من أبويه خطبتها للزواج فأعرضا « (٣) ... ألم تجد بين بنات أقربائك وفى قومنا فتاة ، حتى تذهب للزواج من بنات الفلسطينيين الغلف؟ » [القضاة ١٤ : ٣] .

ولم يستطع والدا شمشون إلا تلبية أمره وخطبا له الفتاة وتزوجها شمشون . يقتل أسداً ويأكل منه عسلاً .

« (٥) ... وإذا بشبل أسد يتحفز مزمجرا للانقضاض عليه ، (٦) فحل عليه روح الرب فقبض على الأسد وشقه إلى نصفين وكأنه جدى صغير ، من غير أن يكون معه سلاح ، ولم ينبئ والديه بما فعل (٧) ثم مضى إلى الفتاة وخاطبها فازداد بها إعجابا (٨) وعندما رجع شمشون بعد أيام ليتزوج منها ، مال ليلقى نظرة على جثة الأسد ، فوجد فى جوفها سربا من النحل وبعض العسل (٩) فتناول منه قدرًا على كفه ومضى وهو يأكل ، ثم أقبل على والديه فأكلا ، ولم يخبرها أنه اشتار العسل من جوف الأسد» [القضاة ١٤ : ٥ ـ ٩] .

هذا وقد تم الاحتفال بالعرس وإقامة الولائم وفى أثناء هذه الاحتفالات التى ظلت سبعة أيام امتحن شمشون ندماءه وكانوا ثلاثين شابا فلسطينيا « (١٢) فقال لهم شمشون «سألقى عليكم أحجية ، فإن وجدتم حلها الصحيح فى سبعة أيام الوليمة أعطيكم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة (١٣) أما إن عجزتم عنها فستعطونى أنتم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب . فقالوا له : « هات أحجيتك فنسمعها » (١٤) فقال لهم : « من الآكل خرج أكل ، ومن القوى خرجت حلاوة ، وانقضت ثلاثة أيام من غير أن يجدوا لها حلاً.

٣ ـ تهديد الشباب لامرأة شمشون لتوضح لهم أحجيته :

« وفى اليوم الرابع قالوا لزوجة شمشون : « تملقى زوجك ليكشف لنا عن حل الأحجية ، لئلا نضرم النار فيك وفى بيت أبيك . أدعوتمونا لتسلبونا» [القضاة ١٤ :

. [١٥

٤ ـ امرأة شمشون تعرف سر الأحجية :

« (١٧) فظلت تبكي لديه طوال سبعة أيام الوليمة . وفي اليوم السابع أطلعها على الحل لفرط ما ضايقته ، فأسرت به إلى قومها (١٨) . . . قال له رجال المدينة : «أي شيء أحلى من العسل ، وما هو أقوى من الأسد ؟ » فقال لهم شمشون : «لولا أنكم حرثتم على عجلتي لما وجدتم حل أحجيتي » [القضاة ١٤ : ١٧ ، ١٨] .

إن هذا التعبير الأخير « حرثتم على عجلتي » يوضح انعدام احترام المرأة الكامل.

٥ ـ شمشون يوفي بنذره بطريقة دموية إرهابية :

(١٩) وحل عليه روح الرب فانحدر إلى مدينة أشقلون وقتل ثلاثين رجلاً منهم وأخذ ثيابهم وأعطاها للرجال الذين حلوا لغزه » [القضاة ١٤ : ١٩] .

أو ليس من العجيب أن يعطى الرب القوة لشمشون ليقتل ثلاثين رجلاً بلا ذنب ، حمى شمشون يزوج امرأته لآخر ظانا أنه هجرها لطول مدة غيابه عنها، وانتقام شمشون لذلك .

« (١) وحدث بعد مدة أن شمشون أخذ جديا وذهب ليزور زوجته .. (٢) . . . ولكن أباها منعه وقال : « لقد ظننت أنك كرهتها فزوجتها نديمك . فلماذا لا تتزوج أختها الأصغر عوضا عنها ؟ أليست هي أجمل منها ؟ (٣) فأجابه شمشون : لا لوم على هذه المرة إذا انتقمت من الفلسطينيين » (٤) وانطلق شمشون واصطاد ثلاثمائة ثعلب وربط ذيلي كل ثعلبين معا ووضع بينهما مشعلا ، (٥) ثم أضرم المشاعل بالنار وأطلق الثعالب بين زروع الفلسطينيين ، فأحرقت حقول القمح وأكداس الحبوب وأشجار الزيتون » [القضاة ١٥ : ١ ـ ٥] .

٦ ـ قتل شمشون ألف رجل بفك حمار :

خاف اليهود من الفلسطينيين فذهبوا وقبضوا على شمشون وسلموه لهم« (١٤) . . فحل عليه روح الرب ، وقطع الحبلين اللذين على ذراعيه ، وكأنهما خيوط كتان محترقة (١٥) وعثر على فك حمار طرى ، تناوله وقتل به ألف رجل» [القضاة ١٥ : ١٤ـ١٥].

٧ ـ الله يفجر لشمشون عين ماء مكافأة لإرهابه :

« وعطش شمشون عطشا شديداً ، فاستغاث بالرب . . . (١٩) ففجر الله له ينبوع ماء من فتحة بالأرض . . » القضاة ١٥ : ١٨ ـ ١٩] .

٨ ـ شمشون يعاشر عاهرة :

« (١) وذات يوم ذهب شمشون إلى غزة حيث التقى بامرأة عاهرة فدخل إليها» [القضاة ١٦ :١] .

هذا وقد حاصره الفلسطينيون للقضاء عليه « عند بزوغ الصباح» ولكنه «(٣). . . هب وخلع مصراعى بوابة المدينة بقائمتيها وقفلها ، ووضعهما على كتفيه وصعد بهما إلى قمة الجبل مقابل حبرون » [القضاة ١٦ : ٣] .

٩ ـ حب شمشون لدليلة وكشف سره :

« (٤) وبعد ذلك وقع شمشون فى حب امرأة فى وادى سورق اسمها دليلة (٥) فجاء إليها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها : « تملقى شمشون إلى أن تكشفى منه سر قوته العظيمة . . . فيكافئك كل واحد منا بألف ومائة شاكل من الفضة « نحو ١٣٢ كجم» .

١٠ ـ كشف سر قوة شمشون :

« حاولت دليلة أكثر من مرة معرفة سر قوة شمشون ولكنه خدعها ففى المرة الأولى ادعى « (٧) . . . إذا أوثقونى بسبعة أوتار طرية لم تجف بعد أصبح ضعيفا كأى واحد من الناس » [القضاة ١٦] .

والمرة الثانية ادعى « (١١) إذا أوثقونى بحبال جديدة أصبح ضعيفا كأى واحد من الناس [القضاة ١٦].

وفى المرة الثالثة « (١٣) . . . إن ضفرت خصلات شعرى السبع بمغزل وثبتها بوتر، فإننى أصبح ضعيفا كأى واحد من الناس » [القضاة ١٦] وفى كل مرة يفعل الفلسطينيون ما قال وبالطبع يفلت منهم شمشون وأيضا فى كل مرة تغضب منه عشيقته لكذبه عليها .

وفى النهاية وخوفا من غضبها ولشدة حبه لها بالرغم من علمه بخيانتها له مرات ثلاث أوضح سر قوته الحقيقى.

وفى النهاية وخوفا من غضبها ولشدة حبه لها بالرغم من علمه بخيانتها له مرات ثلاث أوضح سر قوته الحقيقى.

« (١٧) . . . فقال لها : « أنا نذير الرب منذ مولدى ، لهذا لم أحلق شعرى ، وإن حلقته فإن قوتى تفارقنى وأصبح ضعيفا كأى واحد من الناس» [القضاة ١٦ : ١٧].

وبذلك تم أسر شمشون وسجنه بعد أن « (١٩) أضجعته على ركبتيها واستدعت رجلاً حلق له خصلات شعره السبع ، وشرعت فى إذلاله بعد أن فارقته قوته» [القضاة: ١٦].

١١ ـ انتقام شمشون وموته :

« (٢١) فقبض عليه الفلسطينيون وقلعوا عينيه وأخذوه إلى غزة حيث أوثقوه بسلاسل نحاسية » وسخروه ليطحن الحبوب فى السجن (٢٢) وما لبث شعره أن ابتدأ ينمو بعد أن حلق » .

وكان هناك احتفال فلسطينى لتقديم ذبيحة لإلههم «راجون » فراق لهم الاستمتاع بذله ومذلة شمشون فهتفوا « (٢٥) . . ادعوا شمشون ليسلينا » فجاؤوا بشمشون من السجن فلعب أمامهم ثم أوقفوه بين الأعمدة (٢٦) فقال شمشون للغلام الذى يقوده : « أوقفنى حيث يمكننى أن ألمس الأعمدة التى يقوم عليها المعبد حتى أستند إليه » (٢٧) وكان المعبد يكتظ بالرجل والنساء » فضلا عن أقطاب الفلسطينيين الخمسة ، وكان على السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة يتفرجون على لعب شمشون (٢٨) . . . (٢٩) وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين يرتكز عليهما المعبد وضغط على أحدهما بيمينه وعلى الآخر بيساره (٣٠) وهو يقول : لأمت مع الفلسطينيين ، ثم دفعهما بكل قوته فانهار المعبد . . . فكان الذين قتلهم شمشون عند موته أكثر من الذين قتلهم طول حياته» [القضاة ١٦ : ٢١ ـ ٢٢ ، ٢٥ : ٣٠].

بعض الانتقادات الصارخة والتى لا حل لفك ألغازها وإيضاح تناقضاتها :

أ ـ كيف يكون نذير الرب الذى بشر ملاك الرب أو الرب نفسه بمولده وطهارته ، عاشقا لمجموعة من النساء منهن عاهرات ؟!

ب ـ هل يجوز لله الرحمن الرحيم أن يساعد رجلاً عابثًا ماجنًا فى قتل من لا ذنب لهم ولا جريرة للوفاء برهان » . . وغيرهم وكلما أراد إرهابًا دمويًا «حل عليه روح

الرب» ، أهذا يليق بالرب فى كتاب مقدس « حسب زعم أهل الكتاب ».

جـ - صرحت الفقرات أن والد ووالدة شمشون رأيا الرب جهارة ، ولم يموتا ، والتوراة توضح أن الله لا يرى ومن يراه يموت فأيهما يصدق ؟!

د - لا يوجد بالتوراة ما يفيد زيادة حجم شمشون عن معاصريه حتى يستطيع أن يتوسط عمودين ويضغط عليهما فينهارا ، وهل يعقل هنا القرب الشديد للأعمدة ، بافتراض صحة قوته اللانهائية ؟!

هـ - أمات نذير الرب عاصيًا أم مؤمنا ، حيث لا يوجد بالتوراة ما يفيد ذلك ، سئل قداسة البابا شنودة الثالث (١) عن ذلك فقال : « نحن نعلم أن شمشون أخطأ، وكسر نذره ، وتخلت عنه النعمة ، وأخذ كأسير » [قضاة ١٦] ، فهل خلص « تاب وقبلت التوبة من شمشون » ؟!

الإجابة : لاشك أن شمشون نال الخلاص ، وقبل الرب توبته . . . والدليل على ذلك « أن الرب سمع له فى آخر حياته ، وصنع به انتصاراً عظيمًا لم يصنعه به طول حياته» [قضاه ١٦ : ٣٠] .

ولكن الدليل الأكبر على خلاص شمشون « أن القديس بولس الرسول وصفه فى قائمة رجال الإيمان مع داود وصموئيل والأنبياء » [عبرانيين ١١ : ٣٢].

وإجابة قداسته لا تخلو من انتقادات :

أولها : أن التوراة لم توضح توبته وتقبلها لا من قريب أو من بعيد ، كما أن روح الرب كان يحل عليه وهو فى أشد نوبات عصيانه ، وأثناء معاشرته للبغايا والعاهرات والساقطات.

أما بالنسبة للانتصارات وقتل الفلسطينيين ، فكثير من ملوك وقضاة بنى إسرائيل انتصروا وقتلوا أكثر مما قتل شمشون ، ولا خلاف على موتهم على الكفر ومنهم «جدعون» الذى « صاغ صنما من ذهب الغنائم وعبده هو وبنو إسرائيل» [القضاة ٨ وآخرون].

---

(١) البابا شنودة الثالث : بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المركسية وهو الأب الروحى لمسيحى الكنيسة الشرقية وأحد كبار علمائها .

وكون القديس بولس ذكره مع رجال الإيمان ، فبالإضافة إلى أصله اليهودى - بولس - فإنه لا يعتد بكلامه بعد مئات السنين.

ومن ذلك وباختصار يتضح : تأثر التوراة بالأساطير الشعبية والتراث القصصى لحضارات سابقة أو معاصرة لكتبتها .

٤ - قاتلة رئيس جيش يابين :

إذا قتلت المرأة دفاعًا عن الأرض أو العرض أو الولد أو النفس فهذه بطولة تحسب لها لا عليها ، ولكن إذا قتلت من عاهد قومها على الحماية والأمن والأمان واحتالت لذلك ، فتلك خيانة ، وهذه القصة التوراتية هى مزيد من الخيانة وقسوة القلب يفترض رقة مشاعرها .

بعد أن أتم باراق القائد اليهودى القضاء على كل جيش سيسرا « (١٦) فتعقب باراق المركبات والجيش إلى جروشه الأمم ، وتم القضاء على كل جيش سيسرا بحد السيف فلم يسلم منهم حى » [القضاة ٤ : ١٦] هرب القائد سيسرا ليحتمى بخيمة امرأة بينه وبين قومها عهد « (١٧) وأما سيسرا فهرب ماشيا إلى خيمة ياعيل امرأة حابر القينى الذى كان قد عقد اتفاق صلح بينه وبين يابين ملك حاضور (١٨) فخرجت ياعيل لاستقبال سيسرا قائلة : « تعال إلى خيمتى يا سيدى ولا تخف ، فمال إلى خيمتها وغطته بلحاف (١٩) ثم قال لها : « اسقينى قليلاً من الماء لأنى قد عطشت » ففتحت زق اللبن وأسقته ثم غطته (٢١) . . . (٢١) وما لبث أن غط فى نوم ثقيل لشدة تعبه ، فأخذت ياعيل امرأة حابر وتد الخيمة ومطرقة ، وتسللت إليه ودقت الوتد فى صدغه فنفذ إلى الأرض ومات »[القضاة : ٤ : ١٧ - ٢١].

المبحث الخامس

نساء ماتت قلوبهن

١ ـ الملكة عثليا أم الملك أخزيا وانتقامها الإبادى :

توضح لنا هذه القصة انتقام المرأة الرهيب العاتى إذا اغتيل ولدها وكان ملكًا :

« (١٠) ولما رأت عثليا أم أخزيا أن ابنها قد مات قبضت على جميع النسل الملكى من بيت يهوذا وأبادتهم (١١) غير أن يهوشبعه ابنة الملك يهورام اختطفت يوآش بن أخزيا من بين أبناء الملك الذين شرعت عثليا فى قتلهم ، وأخفته هو ومرضعته فى مخدع... (١٢) ومكث معهم ... ست سنوات وكانت عثليا فى أثنائها تملك على عرش يهوذا » [أخبار الأيام الثانى ٢٢: ١٠ ـ ١٢].

ومن القصة يتضح قسوة قلوب اليهود وتغلغل عقيدة الإبادة الجماعية فى قلوبهم.

٢ ـ الأمان آكلتا أطفاليهما الرضع :

لو اعتقدنا أن هذه القصة هى أكبر خرافة فى التوراة ، وإن تعددت الخرافات ، لكنا على صواب أو أقرب منه جداً .

ولنا أن نتساءل : هل تشارك أى أم أخرى فى أكل رضيعها ؟!!

إن سفر الملوك الثانى يؤكد ذلك فقد جاء فيه :

« حاصر بنهدد الأرامى السامرة وطال الحصار وصار مجاعة لدرجة أن (٢٥) ... أوقية زبل الحمام «بيعت» بخمس قطع من الفضة » [ملوك ٦ : ٢٥] (٢٦) وفيما كان ملك إسرائيل يتفقد سور المدينة استغاثت به امرأة قائلة : « أغث يا سيدى الملك » ... (٢٨) ... سألها الملك ومالك ؟ فأجابت : «لقد قالت لى هذه المرأة : هاتى ابنك فنأكله اليوم ، ثم نأكل ابنى فى اليوم التالى (٢٩) فسلقنا ابنى وأكلناه ، وعندما قلت لها فى اليوم التالى : هاتى ابنك لنأكله خبأت ابنها» [ملوك ٢ :٦].

فما كان من الملك إلا أن مزق ثيابه وبدأ يتخذ إجراءات الحرب (١) .

---

(١) انظر : أخبار الملوك الثانى ، الإصحاح ٦ ، ٧ .

المبحث السادس

نساء حاقدات

١ ـ امرأتا إبراهيم عليه السلام سارة وهاجر:

إن هذه القصة بحق ، لهى مرآة صادقة لجمال المرأة الخُلقى بما يحتويه من حنان وبر وتضحية فى بعض الأحيان ، وبما يُظهره من حسد وبُغض وقسوة إذا تسللت الغيرة العمياء إلى نفسها .

فها هى سارة العاقر التى اختارت لزوجها عروسًا ليحقق منها أمنية الحياة وهو الإنجاب، تنقلب عليها وعليه بعد تحقيق الأمنية وتطالب زوجها بإقصائها وهجرها مع الوليد.

وقد جاءت هذه القصة بسفر التكوين ونفصلها فيما يلى :

١ ـ طلب سارة من زوجها الاقتران بجاريتها طمعا فى الإنجاب :

تزوج إبراهيم عليه السلام أولاً بزوجته سارة « ساراى » وكانت عاقرا ، فاقترحت عليه الزواج من جاريتها هاجر عسى أن يرزقه الله منها « (١) وأما ساراى زوجة أبرام فقد كانت عاقراً ، وكانت لها جارية مصرية تدعى هاجر ، (٢) فقالت ساراى لإبرام «هو ذا الرب قد حرمنى من الولادة فادخل عليها لعلنى أرزق منها ببنين » فسمع إبرام لكلام زوجته » [تكوين ١٦ : ١ـ٢] .

٢ ـ حمل هاجر وتكبرها على سارة التى أذلتها حتى هربت منها :

« (٤) فعاشر هاجر فحبلت منه ، ولما أدركت أنها حامل هانت مولاتها فى عينيها ، (٥) فقالت ساراى لإبرام « ليقع ظلمى عليك ، فأنا قد زوجتك من جاريتى وحين أدركت أنها حامل هُنت فى عينيها . ليقض الرب بينى وبينك » (٦) فأجابها إبرام : «هاهى جاريتك تحت تصرفك ، فافعلى بها ما يحلو لك ، فأذلتها ساراى حتى هربت منها» [تكوين ١٦ : ٤ـ٦] .

هذه هى طبيعة المرأة عندما حملت الجارية أحست بالتفوق على سيدها فهى أم الولد، أى صاحبة المستقبل والعز ، والحظوة عند زوجها تبعا لذلك ، ولكنها لم تؤذ

سيدتها أى إيذاء ، وأحست «سارة» بالخطر وخطأ تقديرها لما سعت إليه فأساءت معاملة أم الولد ـ بعد إذن زوجها ـ حتى اضطرتها للهروب وترك الوطن بأكلمه ، وقد هربت بمفردها وهى حامل لم تلد بعد .

« بعد هروب هاجر من بطش سارة » [تكوين ١٦ : ٦] قابلها ملاك الرب عند عين ماء في طريق شور [تكوين ١٦ : ٧] وقال لها : « (٩) ... عودى إلى مولاتك واخضعى لها » (١٠) ... « لأكثر من نسلك فلا يعود يحصى » (١١) « وأضاف ملاك الرب « هو ذا أنت حامل » وستلدين ابنا تدعيه إسماعيل « ومعناه : الله يسمع لأن الرب قد سمع صوت شقائك (١٢) ويكون إنسانا وحشيا يعادى الجميع والجميع يعادونه ، ويعيش مستوحشًا متحديًا كل إخوته » [تكوين ١٦ : ٩ـ١٢] .

وقد عادت هاجر وتحملت اضطهاد وقساوة سيدتها « سارای » سارة وولدت ابنها إسماعيل .

٣ ـ وعد الله لسارة بالإنجاب:

وكأن الله رضى عن ظلم هاجر فكافأ سارة بالوعد بالإنجاب حيث ظهر الرب لإبرام إبراهيم (١) .

« (١٥) وقال الرب لإبراهيم « أما ساراى زوجتك فلا تدعوها ساراى بعد الآن، بل يكون اسمها سارة « ومعناه أميرة » (١٦) وأباركها وأعطيك ابنًا منها » هذا وقد حدد الرب اسم هذا الابن ».

« (١٩) ... إن سارة زوجتك هى التى تلد لك ابنًا وتدعو اسمه إسحاق «ومعناه يضحك » [التكوين ١٧ : ١٩] .

وقد تكرر الوعد فى الإصحاح ١٨ حين زار الرب إبراهيم ومعه ملكان فأحسن إبراهيم ضيافتهما وذبح لهما عجلاً سمينًا ، فأكل الرب ومعه الملكان، ثم سأل الرب عن سارة وكرر لها الوعد بإنجاب ابن ، وهذه القصة باختصار كما يلى :

« (١) ثم ظهر الرب لإبراهيم وجالس عند بلوطات ممرا وقت اشتداد حر النهار».

(١) وعندما كان إبرام فى التاسعة والتسعين من عمره ، ظهر له الرب قائلا : « أنا هو الله القدير ، سر أمامى وكن كاملا ... (٥) ولن يدعى اسمك بعد الآن «إبرام» (ومعناها الاب الرفيع) بل يكون اسمك إبراهيم «ومعناه أب لجمهور » لأنى اجعلك أبا لجمهور من الأمم» [تكوين ١٧ : ١، ٥].

« (٨) ثم أخذ زبداً ولبنا والعجل الذى طبخه ، ومدها أمامهم ، وبقى واقفا فى خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون ».

(١٠) فقال « أى الرب » إنى أرجع إليك فى مثل هذا الوقت من السنة القادمة فتكون سارة آنئذ قد ولدت لك ابنا « وكانت سارة وراءه ، عند باب الخيمة ، فسمعت حديثه. . . (١٢) فضحكت سارة فى نفسها قائلة : « أبعد أن فنى عمرى وأصبح زوجى شيخا يكون لى هذا التنعم ؟ » (١٣) فقال الرب لإبراهيم « لماذا ضحكت سارة قائلة : أحقا ألد ابنا وقد بلغت سن الشيخوخة . . . (١٥) فخافت سارة وأنكرت قائلة: « لم أضحك » « فقال: لا ، بل ضحكت » .

٤ ـ طرد سارة لهاجر وابنها :

لم تتحمل سارة بعد أن أنجبت هاجر ولدها وخافت أن يرث مع ابنها فأشارت على زوجها بطردهما .

« (٩) ورأت سارة أن ابن هاجر المصرية الذى أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحاق (١٠) فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابنى إسحاق (١١) فقبح هذا القول فى نفس إبراهيم من أجل ابنه (١٢) فقال الله له: لا يسوء فى نفسك أمر الصبى أو أمر جاريتك ، واسمع لكلام سارة فى كل ما تشير به عليك لأنه بإسحاق يدعى لك نسل (١٣) وسأقيم من ابن الجارية أمة أيضا لأنه من ذريتك » [تكوين ٢١ : ٩ : ١٣] .

وبناءً عليه تم الطرد بصورة مخزية لا إنسانية فيها ولا رحمة ولا تتناسب مع أخلاق إبراهيم الذى سبق واعترض على الطرد .

« (١٤) فنهض إبراهيم فى الصباح الباكر وأخذ خبزاً وقربة ماء ودفعهما إلى هاجر، ووضعهما على كتفيها ، ثم صرفها مع الصبى ، فهامت على وجهها فى برية بئر سبع (١٥) وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبى تحت إحدى الأشجار (١٦) ومضت وجلست مقابلة ، على بعد نحو مائة متر ، لأنها قالت « لا أشهد موت الصبى» فجلست مقابلة ورفعت صوتها وبكت (١٧) وسمع الله بكاء الصبى ، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : ما الذى يزعجك يا هاجر ؟ لا تخافى « لأن الله قد سمع بكاء الصبى من حيث هو ملقى (١٨) قومى واحملى الصبى ، وتشبثى به لأننى

سأجعله أمة عظيمة (١٩) ثم فتح عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبى (٢٠) وكان الله مع الصبى فكبر ، وسكن فى صحراء فاران » [تكوين ٢١ : ١٤ ـ ٢٠] .

ملاحظات هامة على هذه القصة :

١ ـ تساوى سارة وهاجر فى منزلتهما عند الله ، فكون هاجر جارية لسارة فلم ينل هذا من كرامتها عند الربط بدلائل منها :

١ ـ عند هروبها من سيدتها قابلها ملاك الرب وأمرها بالرجوع وقد بشرها بنسل لا يحصى عدده ، وأمرها بتسمية وليدها المبشر به « إسماعيل » لأن الله علم بمدى ما قاسته من شقاء [تكوين ١٦ : ٦ـ١٢] ، وكانت هذه البشرى قبل بشرى سارة بإنجابها .

٢ ـ أنجب إبراهيم ولده إسحاق وعمره مائة سنة لأن البشرى كانت وله من السنين تسعة وتسعين عاما [تكوين ١٧ : ١].

بينما أنجب إسماعيل فى السادسة والثمانين ، فمعنى ذلك أن فارق العمر بين الابنين ١٤ سنة على الأقل .

« ويفهم من ذلك أن إسماعيل عليه السلام ، كان فى بداية مرحلة البلوغ ولم يكن طفلا صغيراً لا يستطيع السعى ، وهذا يناقض ما جاء فى التوراة « طرحت الصبى تحت إحدى الأشجار [تكوين ٢١ : ١٥] ، « قومى واحملى الصبى » [تكوين ٢١ ، ٨] وهو دليل صدق القرآن الكريم والمفسرين المسلمين وأصحاب السيرة .

٣ ـ تكرر الوعد بجعل أمة إسماعيل أمة عظيمة :

« ستلدين ابنا تدعيه إسماعيل ومعناه : الله يسمع » [تكوين ١٦ : ١١] .

وقال لإبراهيم « وسأقيم من ابن الجارية أمة أيضا لأنه من ذريتك » [تكوين ٢١ : ١٣] .

وقال لهاجر مرة أخرى بعد طردها « احملى وتشبثى به لأننى سأجعله أمة عظيمة» [تكوين ٢١ : ١٨] .

الله كان يرعى إسماعيل « وكان الله مع الصبى » [تكوين ٢١ ٢٠]. وسكن

أرض مكة » وسكن فى صحراء فاران » [تكوين ٢١ : ٢٠] وعلى ذلك لم يكن لإسحاق فضل إلهى يزيد عن أخيه إسماعيل .

٢ ـ مريم « النبية » (١) أخت موسى وهارون :

يقول عنها القس إلياس مقار :

« كانت مريم النبية أولى مرعيات الكتاب ، والأم الأولى فى إسرائيل ، فتاة رائعة حلوة جميلة بلغت مرتبة الزعامة والقيادة فى شعبها ، وضعها الله جنبا مع جنب مع أخويها « أرسلت أمامك موسى وهارون ومريم » كانت فتاة كالطود الشامخ ، امتد اسمها وارتفع ودوى ؛ وذلك لأنها أفنت نفسها وعاشت لغيرها ، ولفظت من حياتها تلك الكلمة « أنا » ، على أنها يا للأسف لم تستطع هذا إلى النهاية وفشلت فى معركة النفس . . . فحمل لها التاريخ لنا صورة مخزية لمريم البرصاء » . وقد بين الكاتب بعض فضائلها فقال (٢) :

« هى لم تتزوج . . . لم تخلق لتكون زوجة تهدهد طفلا ، وتحتضن آخر . . . . ، كلا ما عاشت لتخضع لتلك الغرائز الأصيلة فى نفس المرأة . . . مريم الحارسة لأخيها، مريم المرنمة مع أخيها ، مريم الحاسدة لأخيها » (٣) .

إذن بالرغم من كون مريم نبية وعابدة ومتبتلة رفضت الزواج للتفرغ للعبادة إلا أنها سقطت من علٍ وذلت ذلة فظيعة استوجبت عقاب الرب وهو إصابتها بداء البرص ، فما هى هذه الذلة المريعة التى لم تغفر لها ؟

« (١) وانتقدت مريم وهارون موسى لزواجه من امرأة كوشيه (٢) وقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضا . . . (٩) واحتدم غضب الرب عليهما، ثم مضى عنهما (١٠) فلما ارتفعت السحابة عن خيمة الاجتماع ، إذا مريم برصاء كالثلج ، فالتفت هارون وموسى نحو مريم ، وإذا هى مصابة بالبرص» [العدد ١٢: ١ ، ٢ ، ٩] .

(١) معنى النبوة فى اليهودية والمسيحية ليس نفس المعنى فى الإسلام فهو يعنى عندهم « التنبؤ بالغيب والإخبار عن المستقبل من نصر وهزيمة وغيره » ، ولا يعنى الدعوة برسالة سماوية وشريعة .

(٢) نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ، دار الثقافة بمصر ص٧٠.

(٣) المرجع السابق ص ٧١ ، ٧٢ .

ومعنى المرنمة : أى المسبحة مع أخيها .

ويقول الكاتب [1] : « تزوج موسى بامرأة كوشيه ، وليس المجال هنا مجال الحكم عليه أو له ، أأخطأ أم أصاب ! إنما يعنينا أمر واحد ، أن وازن القلوب وكاشف الأسرار أبصر تياراً أسود يندفع من قلب مريم . . . عاطفة غير كريمة تتمشى فى نفسها. . . شعور بالغيرة والحسد إزاء هذا الدخيل ؛ الذى جاء به موسى ليقطن فى بيته . . . ثارت مريم على أخيها وأثارت معها الأخ الوادع الطيب القلب هارون » .

والواقع أن الكاتب يحاول إيجاد مبرر قوى لتصديق ما جاء فى التوراة بشأن عقابها الذى لا يستوجب الإصابة بداء البرص . وفى الحقيقة لا يوجد أى مبرر لهذا العقاب الإلهى لعدة أسباب :

١ ـ الاعتراض جاء من مريم وهارون . . . فلم لم يصب هارون أيضا .

٢ ـ الاعتراض فى محله ؛ لأن زواج اليهود من غيرهم غير مستحب إطلاقا وكانت المرأة كوشيه .

٣ ـ الادعاء بأن الحسد هو الذى دفع مريم للاعتراض غير مقبول ؛ لأنه لا يوجد ما يؤيده من التوراة ، كما أن موسى كان متزوجا من غيرها ، وسيرة مريم الذاتية توضح نقاءها فهى صاحبة رقص ومرح ، فعند الانتصار على الأعداء تزعمت الاحتفالات الدينية بالرقص والموسيقى .

« (٢٠) عندئذ أخذت مريم النبية أخت هارون ، الدف بيدها ، فتبعها جميع النساء بالدف والرقص » [خروج ١٥ : ٢٠] .

إن أول وصف لمريم جاء بالكتاب المقدس بالحسد والغيرة لهو طعن فى كرامة المرأة. وكيف تسلل الحسد إلى قلب من وهبت نفسها لله ورفضت الزواج زيادة فى العبادة؟!

٣ ـ ميكال ابنة شاول أول ملك لليهود وزوجة داود وصاحبة أغرب مهر فى التاريخ:

جاء بالتوراة أن أول ملك لليهود بناء على طلبهم هو شاول ، وقد ساعده داود كثيرا وانتصر له وأصبح أكثر شهرة من الملك حتى تغنت النساء بشجاعته ، فأثار ذلك

(١) نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ص٧١ ، ٧٢ .

شاول وخاف على ملكه ، ولهذا حاول قتله كثيرا ، وقد أجهضت زوجة داود « ميكال» وهى ابنة شاول إحدى هذه المرات فجاء عن ذلك :

« (١١) فأرسل شاول مراقبين إلى بيت داود يترصدونه ليقتلوه فى الصباح ، فأخبرته امرأته ميكال قائلة : إن لم تنج بنفسك هذه الليلة فإنك لا محالة تقتل غداً » (١٢) ودلته ميكال من النافذة ، فانطلق هاربًا ونجا . . . » [صموئيل ٩: ١١-١٢].

ونفس هذه المرأة الزوجة أهانت زوجها إهانة اعتبرها الرب خطيئة فكتب عليها العقم حتى ماتت ، والسبب هو أن زوجها الملك داود كان يرقص فرحًا وابتهاجا بإحضار تابوت الرب (١) .

« (١٤) وراح داود يرقص بكل قوته فى حضرة الرب وهو متمنطق (٢) بإفود من كتان (١٥) . . . (١٦) ولما دخل موكب تابوت الرب مدينة داود ما أطلت ميكال . . من الكوة ، وشاهدت الملك داود وهو يرقص ، فاحتقرته فى نفسها » [صموئيل٦ : ١٤- ١٦] .

هذا وقد عبرت ميكال عن ذلك لزوجها داود وقالت : « . . . ما كان أجل ملك إسرائيل اليوم ، حين استعرض نفسه أمام عيون إماء خُدامه ، كما يستعرض أحد السفهاء نفسه» [صموئيل ٦ : ٢٠] .

وكان عقاب الرب « ولم تنجب ميكال بنت شاول ولدا إلى يوم موتها » [صموئيل ٦: ٢٣] .

ولا نعلم من أين تسللت لأفكار كتبة التوراة أن العقم هو جزاء الخطأ أو الذنب حتى لو كان يسيرا .

أما عن قصة زواج داود بميكال ومهرها فيمكن القول : إنها قصة أغرب مهر فى التاريخ وهى توضح أن :

الحروب اليهودية ضد الشعوب لم تكن بهدف الدعوة إلى الله أو الإيمان بالله ، أو نشر خلق فاضل أو مبادئ سامية ولكنها للقتل والدمار فقط ؛ إما للحصول على أرض

(١) هو صندوق كان اليهود يحفظون به التوراة الأصلية وآثاراً لموسى وهارون وجاء ذكره فى القرآن الكريم.
(٢) يرتدى ويشد على وسطه.

الميعاد الإرث الإلهى ، أو مغانم ومكاسب وزوجات من غير اليهود ، وقد قام «شاول» أول ملك لليهود بحرب العماليق ومعه « داود » ، ولكن داود أبلى بلاء حسنا ، وقتل من الأعداء أضعاف « شاول » حتى تغنت النساء « (٧) قتل شاول ألوفه وقتل داود ربواته ـ أى عشرات الآلاف (٨) فأثار هذا غضب شاول » [صموئيل ١٨ : ٧ـ٨] .

هنا تسبب نجاح جندى فى حقد الملك فقام بمحاولة قتل داود مرات عديدة وبدأ يطارده طيلة حياته » [1] حتى هجر داود البلاد وادعى أنه مجنون .

وكان الملك قد وعد داود بتزويجه لابنته « ميكال » ، ولأن الحسد عرف طريقه إلى قلبه فقد طلب من « داود » مهرا لابنته مائة غلفة من غلف الفلسطينيين « (٢٥) فإن الملك لا يطمع فى مهر بل فى مائة غلفة من غُلف الفلسطينيين » [١صموئيل ١٨ : ٢٥] ومع ذلك استطاع داود قتل مائة فلسطينى والحصول على الغلف .

فالحسد والكراهية ولدت إرهابا لدى « شاول » حتى أنه حاول قتل داود مرات عديدة .

---

(١) انظر : صموئيل الأول الإصحاحان ١٧ ، ١٨ .

المبحث السابع
نساء ظلمهن الرجال

١ ـ دينا ابنة يعقوب واغتصابها والانتقام العاتي لشرفها :

إنها قصة فتاة طاهرة غادرت خدرها مع بعض الصويحبات فاعتدى عليها ذئب بشرى، ثم حاول الجميع إصلاح هذا الاعتداء وزواجها ممن اغتصبها حقنًا للدماء ورغبة فى إنشاء علاقات مودة ورحمة ومصاهرة حميمة ... ولكن حب الانتقام اليهودى والشهوة لإراقة الدماء ، أدت إلى الانتقام الرهيب لشرف هذه الفتاة .

تحكى لنا التوراة هذه القصة ، وملخصها : أن دينا ابنة «يعقوب» خرجت لزيارة بعض الصديقات ، فتعرض لها شكيم بن حمور الحوى « فأخذها واغتصبها ولوث شرفها» [تكوين ٣٤ : ٢] .

وقد حاول أبوه تصحيح هذا الخطأ وتزويجها من ابنه حيث خطب قومه قائلا : «(٢١) إن هؤلاء القوم مسالمون لنا ، فلندعهم يقيمون فى الأرض ويتجرون فيها ، فالأرض رحبة أمامهم ، ولنتزوج بناتهم وهم يتزوجون منا » [تكوين ٣٤ : ٢١] .

فتظاهر « يعقوب » وأولاده بالموافقة على ذلك حيث إن شريعتهم تأمر بذلك (١) ، ولكنهم اشترطوا أن يختتن الشعب الحوى حتى يمكن المصاهرة ، ووافق الحويون « واختتنوا ، وفى اليوم الثالث هجم « شمعون ولاوى » أبناء يعقوب على الرجال المتوجعين من الختان ، وقتلوهم على حين غرة (٢٢) ... وقتلا كل الذكور (٢٦) وقتلا أيضا « حمور وشكيم » بحد السيف ، وأنقذ دينه من بيت شكيم وخرجا (٢٧) ثم أقبل بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنهم لوثوا شرف أختهم (٢٨) واستولوا على غنمهم وبقرهم وحميرهم وعلى كل ما فى المدينة وفى الحقل (٢٩) وسبوا ونهبوا جميع ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت » [تكوين : ٣٤: ٢٥ـ٢٩].

ولا أعتقد أن هناك حربا قامت للإبادة الكاملة الشاملة ، والنهب ، والسرقة ، التى

---

(١) « إذا راود رجل عذراء غير مخطوبة وعاشرها يدفع مهرها ويتزوجها (١٧) وإن أبى والدها قطعيا أن يزوجها منه يتحتم عليه أيضا أن يدفع له مهر العذارى » [الخروج : ٢٢ : ١٦ ـ ١٧] .

عمت كل شيء من البيوت ، والزروع ، والبهائم ، والحمير حتى الأطفال ، وكان سببها اغتصاب امرأة ، بالرغم من اعتراف المخطئ بخطئه ، والاتفاق على إصلاح هذا الخطأ ، كما تقضى بذلك شريعتهم وقانونهم بل ويزيد عن ذلك بإقامة علاقات تجارية وأسرية ومنح الأرض الواسعة الشاسعة للمعتدى عليه ، ورغم إيماننا الكامل ببشاعة الحدث إلا أن الاعتداء على الشرف هو قمة الإرهاب إلا أن الرد كان إرهابا عاتيا لا يقبله عقل ولا يرتضيه دين ولا تأمر به شريعة (١) ، بما فى ذلك شريعة المنتقم .

٢ ـ امرأة أوريا التى اغتصبها داود وقتل زوجها ثم تزوجها :

إنها من عجائب القصص ، فهى تتعارض لا مع عصمة الأنبياء فقط ، ولكنها تتنافى مع حُسن الخلق للرجل المعتاد (٢) .

تحدثنا التوراة أن «داود» رأى امرأة تستحم على سطح فأعجبه جمالها ، فزنا بها وحملت منه سفاحا ، وكان لها زوج قائد من قواد جيشه يسمى « أوريا » فأرسل «داود لاستدعائه ليدخل إليها حتى يبرر سببا لولادتها بعد ذلك ، ولكن الرجل رفض أن يضاجع امرأته وجيشه يحارب ، فلم ير بدا من قتله فأرسل إلى قائده الأعلى ليورده مورد المهالك ثم تزوج امرأته التى أنجبت له سليمان ، وبعد أجيال كان المسيح من الحفدة!!

والقصة مختصرة جدًا كما جاءت فى التوراة كما يلى :

« (٢) وفى إحدى الأمسيات نهض داود عن سريره وأخذ يتمشى على سطح قصره، فشاهد امرأة ذات جمال أخاذ تستحم . . . فسأل عنها فقيل له : إنها زوجة أوريا الحثى . . . (٤) فبعث داود يستدعيها فأقبلت إليه وضاجعها إذ كانت قد تطهرت من طمثها فأرسل داود لاستدعاء زوجها ليدخل إليها . . . فحضر الرجل وقال له داود (٨) امض إلى بيتك واغسل رجليك . . . ولكن الرجل لم يذهب ونام مع حراس الملك فاستنكر ذلك داود وسأله عن ذلك فقال (١١) : التابوت وجيش إسرائيل ويهوذا

---

(١) يجب الا تندهش مما يفعله اليهود من مجازر آدمية وإبادة للحرث والنسل فى فلسطين بدعوى الرد على العمليات الاستشهادية التى يقوم بها الفلسطينيون وهى مشروعة لأنها عن النفس والأرض والعرض. انظر كتابنا «الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة » مكتبة الوفاء بالمنصورة ص٦٦ .

(٢) الدين الإسلامى لا يعترف بهذه السفاهات للأنبياء ولكنا نذكر ما جاء فى التوراة والكتب الأخرى ـ الموجودة حاليا ـ بغض النظر عن صحة الكتب أو حقيقة الأحداث .

معسكرون فى الخيام وكذلك سيدى يوآب ، وبقية قواد الملك مخيمون فى العراء ، فهل أتى أنا إلى بيتى لآكل وأشرب وأضاجع زوجتى ؟ أقسم بحياتك ، لن أفعل هذا الأمر».

سقط فى يد « داود » فأرسل يوصى بقتل أوريا « (١٤) وفى الصباح كتب داود رسالة إلى يوآب (١) ، بعث بها مع أوريا (١٥) جاء فيها اجعلوا أوريا فى الخطوط الأولى حيث ينشب القتال الشرس ، ثم تراجعوا من ورائه ليلقى حتفه » وقد تم ذلك والعجيب أن داود لم يندم على ذلك فعندما وصله الخبر قال : « (٢٥) لا يسوءنك هذا الأمر ، فإن السيف يلتهم هذا وذاك » ، وفى النهاية كان الزواج السعيد : « (٢٧) وحين انقضت فترة الحداد ، أرسل داود وأحضرها إلى القصر وتزوجها وولدت له ابنا» [صموئيل الثانى الإصحاح : ١١] .

٣ ـ اللاوى وسريته(٢) المغتصبة :

إنها بحق قصة ظلم اليهودى لأخيه اليهودى ثم الانتقام الكبير لشرف قد ضاع وأخلاق قد ماتت ، سواء فى الاغتصاب أو فى الانتقام الذى أدى إلى حرب أهلية مات فيها قرابة مائة ألف.

يوضح سفر القضاء (٣) قصة رجل من سبط «لاوى» أى إسرائيلى كانت له محظية «أى عشيقة» فغضبت منه يوما ولجأت إلى بيت أهلها ، فذهب ليسترضيها وأخذها ليعود بها إلى موطنه ، وفى الطريق اقترح خادمه أن يلجؤوا إلى مدينة اليبوسيين (٤) للراحة فقال له سيده : « لا ، لن ندخل مدينة غريبة ليس بها إسرائيلى واحد بل لنعبر إلى جبعة » [القضاة ١٩ : ١٢] .

« استضافهم فى جبعة شيخ (٢١) واستضافهم فى بيته وعلف حميرهم ، فغسلوا أرجلهم وتناولوا طعاما وشرابا » .

المهم أن أهل المدينة اليهود جاؤوا ليحاصروا بيت شيخ طالبين اللواط بالضيف

---

(١) يوآب : القائد الأعلى ، انظر كتابنا : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ـ مكتبة دار الوفاء بالمنصورة ص٦٧.

(٢) اللاوى : رجل ينسب إلى سبط لاوى ابن يعقوب ، وسرية : ما ملكت اليمين.

(٣) الإصحاح : ١٩ ، ٢٠ .

(٤) اسم القدس القديم فى التوراة وكانت سكن الفلسطينيين والعرب.

«(٢٢) أخرج إلينا الرجل الذى استضفته لنعاشره (٢٣) فخرج إليهم صاحب البيت وقال لهم : لا يا إخوتى لا ترتكبوا هذا العمل المشين ، فالرجل ضيفى وقد دخل بيتى (٢٤) هاهى ذا ابنتى العذراء ومحظيته ، فدعونى أخرجهما لكم فتمتعوا بهما وافعلوا ما يحلو لكم».

وفى النهاية أخرج الرجل محظيته « (٢٥) فظلوا يتناوبون على اغتصابها طوال الليل حتى انبلاج الصبح » فى النهاية أن المحظية ماتت « (٢٨) فحملها الرجل على الحمار وانطلق حيث يقطن » ثم قام وتناول سكينا وشرع فى تقطيع محظيته إلى اثنتى عشرة قطعة مع عظامها ، ووزعها على جميع أسباط بنى إسرائيل .

وقد أسفر ذلك عن حرب داخلية بين اليهود « الإسرائيليين والبنياميين هلك فيها أربعون ألفا وستون إسرائيليا وخمسون ألف بنيامينى (٤٨) وارتد بنو إسرائيل إلى مدن بنيامين وقضوا على أهاليها قاطبة بحد السيف ، وذبحوا البهائم وكل ما وجد فيها وأحرقوها بالنار » [القضاة ٢٠: ٤٨] .

ويلاحظ أن ما حدث من خطيئة ضد المحظية كان من اليهود ، علما بأن صاحبها رفض دخول أرض غير يهودية ؛ لاعتقاده بعدم الأمن والأمان فإذا بالإرهاب يتم على يد إخوته ، وهل هناك أقصى من اغتصاب امرأة حتى الموت ؟!! وأيضا قام هو بإثارة قومه وعشيرته ضد باقى اليهود بتقطيع المحظية اثنتى عشر قطعة ، وبذلك رد على الإرهاب الجنسى الفاحش بفتنة إرهابية قتل فيها فى الحرب ٩٠٠٦٠ رجلا بخلاف فناء مدن البنياميين عن بكرة أبيها ولم يبق سوى ٦٠٠ رجل فقط من سبط بأكمله « (٤٧) وتمكن ستمائة رجل منهم من الهرب » [القضاه : ٢٠: ٤٧] .

هؤلاء الرجال بعد الصلح لم يجدوا نساء يتزوجوا منهن « (١٦) فقال شيوخ الجماعة كيف نحصل على زوجات لرجال بنيامين بعد أن انقرضت النساء من سبطهم » [القضاة ٢١ : ١٦] .

فكان الحل إرسال جيش لقتل رجال ونساء « يابيش جليعاد » وكانت الوصية للجيش: « (١١) اقتلوا كل ذكر وكل امرأة عاشرها رجل (١٢) فوجدوا بين أهل «يابيش جليعاد» أربعمائة فتاة عذراء فقط لم يضاجعهن رجل ، فجاؤوا بهن » [القضاة ٢١: ١١، ١٢] .

وتبقى مائتا رجل بلا امرأة وكان الحل هو سرقة واختطاف مائتى امرأة من «شيلوه»

أثناء احتفال واقص « (٢٠) انطلقوا إلى الكروم واكمنوا فيها (٢١) وانتظروا حتى إذا خرجت بنات شيلوه للرقص فاندفعوا أنتم نحوهن ، واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأة واهربوا بهن إلى أرض بنيامين » [القضاة ٢١ : ٢٠ ، ٢١].

المبحث الثامن

نساء مخلصات

١ ـ المرأة الشونمية الكريمة البارة :

إن هذه المرأة بحق هي المثال المجسد للمرأة الغنية الكريمة ، التي تحترم بعلها ، وتقدس رجال الله المخلصين ، فإذا كانت إيزابيل المثل الحي للجشع والكذب والرياء ، فإن المرأة الشونمية المثال الناصع للكرم والإيثار والإنفاق في سبيل الله.

« [1] كانت من الطبقة الغنية ، صاحبة أرض وأملاك ، ولها أكثر من الكرم الفردي الطبيعي غير المتكلف ، فهي لا تعطي فحسب ، بل تسر بالعطاء والجود والكرم... وهي تخاف الله وتحبه وتقبل منه الإكرام والآمال ، بوداعة وتسليم ورضا وخشوع وسكينة وحب ... ويرجع ذلك كله إلى حقيقتها لليشع « نبي » ، خدمته برضا وسرور وبكل ما تملك من سبل ووسائل تحقيق الراحة ، مما جعل عواطفه تتحرك نحوها فدعا الله لها بالإنجاب » .

والقصة في سفر الملوك ويتضح منها :

كان في شونم امرأة بالغة الثراء ، وكانت تستضيف اليشع كلما ذهب هناك باعتباره رجلاً مقدسًا لله ، ثم طلبت من زوجها بناء عُلّية فوق دارها للاستضافة الدائمة لأليشع « (١٠) فلنبن له عُلية صغيرة على سطح البيت ، ونعد له فيها سريرًا وطاولة وكرسيا وسراجًا ، فيبيت فيها كلما مر بنا » [٢ ملوك ٤ : ١٠] .

« واتفق أن جاء اليشع إلى العُلية وارتاح فيها » [٢ ملوك ٤: ١١] .

وأراد اليشع أن يرد لها خدمتها ورعايتها فأمر خادمه أن يسألها « ... هل لديك طلب أرفعه إلى الملك أو إلى الجيش ، فأجابت لا ...فأوضح الخادم جيحزي لسيده اليشع أنها لا تنجب وزوجها طاعن في السن (٢٥) فقال اليشع : استدعها فدعاها ... (١٦) فقال لها اليشع « في مثل هذا الوقت من السنة القادمة ستحضنين ابنا بين يديك .

(١) نساء الكتاب المقدس ص ١٧١ ، ١٧٢.

فقالت : لا يا سيدى رجل الله لا تخدع أمتك » (٢٧) ولكنها حملت وأنجبت ابنا فى الزمن الذى أنبأ به اليشع » [٢ملوك ٤] .

ولكن مشيئة الله اقتضت موت الطفل بعد أن صار صبيا « (٢١) فصعدت «أمه» إلى العلية وأرقدته على سرير رجل الله وأغلقت عليه الباب ثم خرجت » [٢ملوك ٤ : ٢١] والمرأة من فرط تعقلها لم تخبر زوجها بالأمر وتوجهت إلى اليشع رجل الله ، وحين قابلته قالت « (٢٨) . . . هل طلبت من سيدى أن أنجب ابنا ؟ ألم أقل : لا تخدعنى ؟ فسارع اليشع إلى نجدتها ومحاولة إحياء الصبى ، فأول محاولة بإعطاء عكازه لمساعدته ليشير إليها به فتحيا ، ولكن المحاولة باءت بالفشل وكانت المحاولة الثانية ناجحة» (٣٣) فدخل العلية وأغلق الباب وتضرع إلى الرب (٣٤) ثم اضطجع فوق جثة الصبى. . . » [الملوك الثانى ٤ : ٣٣-٣٤] ، فى النهاية عطس الصبى وأعيدت إليه روحه.

وتبدو حكمة المرأة فى أنها لم تخبر زوجها طبعا فى معجزة رجل الله . كما أنها أوضحت لرجل الله أن إحياء هذا الابن مسؤوليته عندما قالت له : هل طلبت من سيدى أن أنجب ابنًا ؟ ألم أقل : لا تخدعنى ؟ ومعنى ذلك أنك بالدعاء لله وإعطائى ولداً ثم سلبه عن طريق الموت، فإن هذا أضر بى أكثر مما اعتدت عليه من عدم وجوده، إذن واجبك التصرف بحكمة وألا تمنع ما أعطيت أنت وإلهك .

٢ ـ حنة امرأة القانة :

إنها قصة الإخلاص فى العبادة لله ، والصدق فى الدعاء ، ونية النذر المخلصة ، لرفع عار المرأة المتمثل فى العقم ، خاصة وأن ضرتها لديها البنين والبنات ، واستجاب الله للدعاء وجعل ابنها نبيا وهو صموئيل .

وقد وردت هذه القصة فى سفر صموئيل ومنها :

« (١) كان رجل أفرايمى اسمه القانة . . . (٢) وكان متزوجًا من امرأتين هما حنة وفننة ، وكان لفننة أولاد ؛ وأما حنة فكانت عاقراً » [١ صموئيل ١ : ١].

١ ـ دعاء حنة لله ونذرها له إن أنجبت :

« (٩) . . . وفيما كان عالى الكاهن جالسًا على الكرسى عند قائمة خيمة الرب ، قامت حنة (١٠) بنفس مرة وصلت إلى الرب وقالت بحرقة، (١١) ونذرت للرب

قائلة: « يارب الجنود ، إن عطفت على مذلة أمتك ، وذكرتني ولم تنس ، بل وهبت أمتك ذرية ، فإنني أعطيه للرب كل أيام حياته » ولن أحلق رأسه » [١صموئيل: ١: ٩-١١].

٢ ـ استجابة الله لدعاء حنة :

« (٢٠) وفي غضون سنة حبلت حنة وأنجبت ابنا دعته صموئيل » [١صموئيل ١: ٢٠].

٣ ـ وفاء المرأة بنذرها :

« (١٨) وكان صموئيل آنئذ يخدم في محضر الرب وهو ما برح صبيا ... » [١ صموئيل ٢ : ١٨] .

٤ ـ جزاء الطاعة والوفاء بالنذر :

« وعندما افتقد الرب حنة ، حملته وأنجبت ثلاثة أبناء وبنتين ، أما صموئيل فقد ترعرع في خدمة الرب » .

٥ ـ صموئيل يصبح نبيا لبني إسرائيل :

« (١٩) وكبر الصبي . وكان الرب معه . لم يخذله قط (٢٠) وعرف جميع بني إسرائيل ... أن الرب قد ائتمن صموئيل ليكون له نبيا (٢١) وظل الرب يتجلى في شيلوه حيث كان يعلن ذاته لصموئيل من خلال رسائله التي كان صموئيل يبلغها لجميع الشعب » [١ صموئيل ٣] .

ويعلق القس إلياس مقار عن طبيعة هاتين المرأتين المتناقضتين فيقول (١) :

« أما فننة بدت في صورة النفس البشرية الوضيعة التي تسخر من آلام الآخرين وأحزانهم ، بل يسرها أن تنكل بهم وتزيدهم شقاء فوق شقاء ، وبؤسًا فوق بؤس.

وقد استمد القس فكرته عن فننة من « فكانت ضرتها جداً في إغاظتها ، تُعيرها لأن الرب جعلها عاقرا » وثابرت على إثارة غيظها سنة بعد سنة كلما ذهبت إلى بيت الرب » [١ صموئيل ١ : ٦ ـ ٧] .

(١) نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ص ١٢٤ ، دار الكتاب المقدس .

ويقول عن حنة :

« أما حنة صاحبة الألم ذاتها ـ فهى مع ألمها وفى موقعها من الألم ـ درس إلهى إنسانى رائع ، خصيب بالفلسفة والبطولة والكفاح والمجد . . . » [1] .

ومن العجيب أن صموئيل الذى نذرته أمه لله قد أفلح ، فأصبح من كبار أنبياء اليهود ، أما شمشون الذى اختاره الرب بنفسه نذيراً له وأعده لذلك من قبل مولده وأمر أمه بعدم شرب الخمر أو أكل المحرمات ، كان من هواة الساقطات والعاهرات ودموى النزعة ، إرهابى الفكر .

٣ ـ أستير :

يرى اليهود أن أستير تلك الفتاة الإسرائيلية التى أنقذت شعبها من الإبادة مستغلة بذلك جمالها ودلالها ، معرضة نفسها للهلاك إن فشلت ، فهى المثال الحى الصادق الذى ينبغى أن يكون قدوة لكل فتاة يهودية .

ويقول عنها القس ، إلياس مقار [2] :

« كانت أستير فتاة يهودية ولدت فى السبى فى شوشن [3] ، ويقول التقليد [4] : إن أباها مات وهى جنين فى بطن أمها ، كما ماتت أمها أثناء ولادتها ، فهى حزينة يائسة، خرجت إلى عالم لم تتذوق فيه حنان الأمومة ، وعطف الأبوة ، ولم يكن لها من عائل سوى ابن عمها الفقير مردخاى [5] .

وليس فى قصص التاريخ أمثلة كثيرة لشخصيات ترتفع من الحضيض إلى المجد بهذه الصورة ، فتاة صغيرة يتيمة من شعب مرذول تدبر لها العناية الإلهية أن ترقى عرش إمبراطورية فارس ، ومن أجل هذا التدبير وفى أعقابه يرتفع أناس ويسقط آخرون .

ولأهمية هذه القصة فقد وردت فى التوراة فى سفر كامل منفصل هو سفر «أستير » وهو السفر الوحيد الذى لم يذكر فيه اسم الله نهائيا ولا مرة واحدة ، ويمكن تلخيصه كما يلى:

---

(١) نساء الكتاب المقدس ص ١٢٤ . (٢) المرجع السابق ص ١٥٩ .

(٣) شوشن ، اسم لبلدة .

(٤) التقليد : أى ما ذكر من تفاسير العلماء الأقدمين .

(٥) نساء الكتاب المقدس ص ١٨٧ .

١ ـ غضب الملك « أمشويروش » الذى امتد ملكه من الهند حتى كوش على زوجته الملكة « وشتى » لعصيانها أحد أوامره « فعزلها ثم أرسل رسائله إلى كل مملكته «(٢٢). . . كل رجل السيد المطاع فى بيته» [أستير١ : ٢٢] ، وعلى ذلك بدأ البحث عن فتاة عذراء جميلة لتحل محل الملكة ، فأمر الملك بتقدم كل فتاة ترى فى نفسها الجمال والفتنة إلى القصر يتم اختيار من تصلح منهن . . . وحيث إن أستير « كانت رائعة الجمال ، جميلة الطلعة تبناها ابن عمها مردخاى منذ وفاة والديها » [أستير ٢:٧] ، فقد أخذها ابن عمها طواعية وقدمها لتكون من محظيات الملك « (١٧) فأحب الملك أستير أكثر من سائر النساء ، وحظيت رضاه أكثر من بقية العذارى « حتى أنه وضع تاج الملك على رأسها « وملكها بدلا من وشتى » [أستير ٢ : ١٧] .

هذا وقد علمت أستير بخوامره يديرها وزير للملك يسمى «هامان» « تهدف إلى قتل وذبح واضطهاد اليهود فى بلاد الملك .

٢ ـ أستير تهب لمساعدة شعبها :

علم مردخاى ابن عمها وكافلها الذى يعمل فى القصر بعد دخولها إليه ، بهذه المؤامرة على اليهود فأقنعها بضرورة التدخل لدى الملك للعفو عن اليهود ، وكان من أصول البروتوكول عند الملك ، « (١١) . . . أن كل رجل أو امرأة يدخل إلى مخدع الملك الداخلى ، من غير دعوة ، فجزاؤه حتما الموت ، إلا الذى يمد له الملك قضيب الذهب فإنه يحيى » [أستير٤] .

وقد جازفت أستير بالدخول إلى مخدع الملك وهى تعلم أن جزاءها الموت إن لم يرض الملك بدخولها ، ولكنه رضى عن ذلك ومد نحوها قضيب الذهب وسألها : ما هى طلبتك ، وبعد عدة مؤامرات نفذتها مع ابن عمها ضد هامان الذى أمر بإبادة اليهود، طلبت أستير من الملك « (٣) . . . أن تنقذ شعبى ، (٤) لأنه قد تم بيعى أنا وشعبى للهلاك والقتل والإبادة » [أستير٧] .

فأمر الملك بقتل وصلب هامان وكتب إلى الآفاق بإكرام اليهود ورفع الظلم عنهم « وعلى ذلك فقد أنقذت هذه المرأة شعبها ، وعرضت نفسها للهلاك مرتين ، أما الأولى فهى الدخول على الملك بلا إذن ، والثانية عندما اضطرت للاعتراف أنها من اليهود لتنقذ شعبها .

وقد أنشأت هذه القصة فى الفكر اليهودى جوار التضحية بالشرف لتحقق الفتاة أهداف اليهود ، ومن هنا أصبح استغلال النساء لتحقيق السياسات اليهودية من أكبر أسلحة اليهود وأعلاها قدراً .

٤ ـ امرأة فنحاس :

إذا جاز لنا القول : إن الفرق بين النصر والهزيمة ، كالفرق بين الحياة والموت ، وكالفرق بين السعادة والشقاء ، لكنا صادقين ، وقد تجسد ذلك فى امرأة فنحاس ابنة الكاهن الأكبر عالى ، فقد بلغها هزيمة إسرائيل ومقتل ٣٠٠٠٠ رجل منهم زوجها وأخوه مما جعل الحزن يستبد بالوالد « عالى الكاهن » فمات أيضا ، أما هى فلم تسعد لمولد ابن لها وماتت كمدا ، إنها المثال الصادق لحب الوطن والزوج والأهل.

حارب الفلسطينيون إسرائيل « (١٠) . . . وقتل من إسرائيل ثلاثون ألف رجل (١١) واستولى الفلسطينيون على تابوت الله، ومات ابنا عالى الكاهن«حفنى وفينحاس» [١صموئيل ٤ : ١٠ ـ ١١] وعندما علم عالى « الكاهن » بالأمر السابق سقط ومات.

١ ـ موت كنة عالى من الحزن :

« (١٩) وكانت كنته امرأة فنحاس حبلى توشك على الولادة ، فلما بلغها خبر الاستيلاء على تابوت الله ووفاة حميها ومقتل زوجها سقطت وولدت ، لأن الأم المخاض هاجمتها (٢٠) وعند احتضارها قالت لها النسوة المحيطات بها : لا تجزعى ، فقد رزقت بولد ، فلم تجب ولم يأبه قلبها للبشرى » [١صموئيل ٤ : ١٩ـ ٢٠].

وقد كان السبب الأساسى للحزن المؤدى إلى الموت هو ضياع تابوت الرب وقالت قبل موتها : قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أخذ » [١صموئيل ٤ :٢٢].

٥ ـ راعوث الموآبية :

تمثل هذه القصة قمة الإخلاص المتبادل بين المرأة وحماتها ، ومكافأة هذا الإخلاص المتبادل ، وتقول [١] مقدمة هذه القصة التى وردت فى سفر «راعوث» هذه القصة هى قصة راعوث التى صممت على ملازمة حماتها «نعمى» بعد أن نزلت الكوارث بتلك المرأة ، فكافأ الرب راعوث فى شخص بوعز الذى تزوجها فأنجبت له ابنا ، كما أثاب

(١) الكتاب المقدس، الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٤ ـ دار الكتاب المقدس بمصر ص ٣٤٥.

الرب نعمى فرزقها أحفاداً ، وقد تحدر من سلالة هذه الأسرة الملك داود .

ويمكن تلخيص هذه القصة أيضا فى كيفية استعمال النساء بسحرهن للتخطيط للفوز بقلب رجل ثم الزواج منه .

ملخص القصة :

١ ـ كان لنعمى زوج وولدان تزوجا امرأتين فى أرض موآب التى تم الهجرة إليها لحدوث قحط ومجاعة فى بلاد إسرائيل أثناء حكم القضاة .

وبعد مدة مات الرجل والابنان اللذان لم ينجبا ، فأصبحت المرأة وحيدة يائسة بائسة فى أرض الغربة .

ثم علمت أن الرب أزال الكرب عن بلادها فقررت العودة ، وودعت كنتاها وسمحت لهما بالعودة إلى قوميهما .

ولكن راعوث رفضت ترك حماتها وحيدة وتركت قومها وأرضها ورجعت مع نعمى حماتها .

وصلت المرأتان بيت لحم أثناء موسم حصاد الشعير ، فاضطرت راعوث للعمل أجيرة فى حقل رجل غنى قريب لنعمى يسمى : بوعز الذى أكرمها غاية الكرم .

٢ ـ تخطيط نعمى لزواج راعوث من قريبها بوعز :

أمرت نعمى راعوث « (٣) اغتسلى وتطيبى وارتدى أجمل ثيابك واذهبى إلى البيدر «الجرن» ، ولا تدعى الرجل يكتشف وجودك حتى يفرغ من الأكل والشرب (٤) وعندما يضطجع عاينى موضع اضطجاعه ، ثم ادخلى إليه وارفعى الغطاء عند قدميه وارقدى هناك ، وهو يطلعك عما تفعلين (٥) فأجابتها : سأفعل كل ما تقولين» [أستير ٣] .

هذا وقد تم التنفيذ حرفيا .

« (٨) وعند منتصف الليل تقلب الرجل فى نومه مضطربا ، ثم استيقظ والتفت حوله وإذا به يجد امرأة راقدة عند قدميه (٩) فتساءل : « من أنت ؟ فأجابت : أنا راعوث أمتك ، فابسط هدب ثوبك على أمتك لأنك قريب وولى » [راعوث ٣] وقد نجحت الخطة وتزوج بوعز راعوث.

٣ ـ إنجاب راعوث من بوعز :

« (١٣) فتزوج بوعز من راعوث وعاشرها فحملت منه وأنجبت ابنا » [راعوث ٤].

٤ ـ نعمى تربى ابن راعوث :

« (١٦) فأخذت نعمى الولد فى حضنها [١] ، وقامت على تربيته (١٧) وقالت جاراتها « قد ولد ابن لنعمى » ودعونه عوبيد ، وهو أبو يس أبى الملك داود » [راعوث٤].

والقصة توضح كيف خططت المرأتان للفوز بقلب بوعز ليتزوج راعوث .

٦ ـ قاتلة ملك إسرائيل :

إن إحساس الرجل برجولته وإنه كما تقول التوراة ـ الحالية ـ هو رأسها وهى الخاضعة له ، أورث لدى جميع الرجال فى كل الأزمان وعبر شتى الحضارات وخلال كافة المجتمعات أن إهانة المرأة لهم أشد عاراً من أى إهانة وكل إهانة ، وها هو سفر القضاة يوضح لنا أن ملك إسرائيل عندما أصابته امرأة إصابة بالغة قد تودى بحياته طلب من أحد رجاله أن يتمم قتله حتى لا يقال : إن امرأة قتلت الملك.

حاصر أبيمالك برج «تاباص» الذى لجأ إليه أهلها للحماية « (٥٢) فحاصر أبيمالك البرج وحاربه ، واقترب من باب البرج ليحرقه بالنار (٥٣) فألقت امرأة حجر رحى على رأسه فشجت جمجمته (٥٤) فاستدعى على التو حامل سلاحه وقال له : «اخترط سيفك واقتلنى لئلا يقولوا عنى : قتلته امرأة » . فطعنه بالسيف حتى مات. . . (٥٦) وهكذا عاقب الله أبيمالك على جريمته التى ارتكبها بحق أبيه حين قتل إخوته السبعين » [القضاة ٩ : ٥٢ ـ ٥٦].

٧ ـ ابنة الملك يفتاح ابن العاهرة ونذر أبيها :

كان يفتاح الجلعادى من الأفاقين قطاع الطرق ، ونظراً لقوته اختاره اليهود ليملك عليهم وينتصر على أعدائه ، فخرج للحرب ونذر إن عاد منتصراً يذبح أول من يلقاه من

---

(١) فى الشريعة اليهودية إذا مات الرجل ولم ينجب كان لأقرب قريب له أن يتزوج أرملته ، وإذا أنجب ولداً يسمى باسم الميت حتى يحيى اسمه فى إسرائيل ، وقد كان بوعز من أقرباء زوج راعوث ، ولذلك فرحت نعمى بالمولود لأنه سينسب لابنها . ويسمى ذلك «رواج اليوم ».

أهل بيته ويقدمه ضحية لربه ، ومن سوء الطالع أن أول من لقيه ابنته الوحيدة نذر يفتاح ملك إسرائيل نذرًا للرب قائلا :

« (٣٠) إن نصرتنى على بنى عمون [1] (٣١) فإننى عند رجوعى سالما من محاربة بنى عمون أصعد للرب محرقة : أول من يخرج من أبواب بيتى للقائى » [القضاة ١١ : ٣٠ ، ٣١].

« (٣٤) . . . فخرجت ابنته الوحيدة ، إذ لم يكن له ابن أو ابنة سواها ، للقائه بدفوف ورقص (٣٥) فلما رآها مزق ثيابه وولول قائلا : « آه يا ابنتى لقد أحزنتنى وحطمتنى ؛ لأننى نذرت نذرا للرب ولا سبيل للرجوع عنه» (٣٦) فأجابته : « لقد نذرت نذرًا للرب فافعل بى كما نذرت ، ولاسيما أن الرب قد انتقم لك من أعدائك بنى عمون » (٣٧) ثم قالت لأبيها : ولكن حقق لى هذا الطلب : أمهلنى شهرين أتجول فيها فى الجبال وأندب عذراويتى مع صاحباتى » [القضاة ١١ : ٣٤ ـ ٣٧].

وهنا يتضح التغيير فى السلوك ، فالملك ابن عاهرة ، سيئ التصرف عديم السمعة، كان قائداً لمجموعة من السفلة والقتلة واللصوص الذين يجوبون البلاد ، وفجأة يُعطى الملك ، ثم النبوة « (٢٩) فحل روح الرب على يفتاح . . . » [القضاة : ١ـ٢٩] وطالما حل روح الرب أى أعطى وحيا إلهيًا صادقًا ، فهل يعقل أن ينذر نذرًا هو من صميم طقوس الوثنيين، ثم يضحى بابنته الوحيدة ليفى بنذر غير شرعى فى دينه . وإذا بلغت درجة التقوى آخر مدى لها ، فهل تكون فى بدعة ؟!

(١) بنو عمون : أعداء لليهود .

المبحث التاسع
نساء حكيمات

١ ـ دبورة حاكمة وقاضية ونبية لإسرائيل :

بعد بداية دخول اليهود أرض فلسطين فى عهد يشوع ، تولى طائفة من الرجال حكم الشعب وأطلق عليهم لفظ القضاة ، وكان هدفهم الأساسى الاستيلاء على باقى الأرض وإبادة الحرث والنسل .

وكان من هؤلاء قاضية امرأة تسمى : دبورة ، التى جاء ذكرها فى سفر القضاة :

« (٤) وكانت دبورة زوجة لفيدوت امرأة نبية وقاضية لإسرائيل فى ذلك الوقت ، (٥) وكانت تعقد مجلس قضائها تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل ، فكان بنو إسرائيل يفدون إليها للقضاء (٦) فأرسلت هذه واستدعت باراق بن إبينوعم من قادشى نفتالى ، وقالت له : هذا هو أمر الرب إله إسرائيل إليك : اذهب وازحف إلى جبل تابور بعد أن تجند لك عشرة آلاف رجل من أبناء نفتالى وزبولون (٧) فاجتذب سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته إلى نهر قيشون وأظفرك به » [القضاة ٤ : ٤ ـ ٧] .

ومما لاشك فيه أن هذا نصر للمرأة ودليل من التوراة لإمكانية قيادة المرأة ورئيستها إن كانت تستحق ، وهؤلاء النسوة نوادر ، قلما يجود بهن الزمان ، ولذلك يقول القس إلياس مقار [١] :

« إن الدراسة المتعمقة لشخصية دبورة كما جاءت فى كلمة الله ـ يقصد التوراة ـ تؤكد وتقطع بأنها شخصية نادرة غير عادية . . . فلتة من فلتات الزمن ، أو نسخة من النسخ التى لا تتكرر سوى فى عصور متباعدة من التاريخ قد تصل إلى المئات أو الألوف من السنين . . . » . . . وقد وصفها الكتاب المقدس بالصفات الآتية :

جبارة التفكير ، مرهوبة الجانب ، فياضة الأنوثة ، مفتوحة العينين ، أى مكشوف عنها الحجاب .

---

(١) نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ، دار الثقافة ص٨٧ ـ ٩٠ .

٢ـ أبيجايل زوجة نابال ثم داود :

« معنى الاسم » بهجة أبيها ، أو كما نقول : حبيبة أبيها ، وهى مثال صاف ورائق وشفاف للمرأة الذكية الجميلة حسنة التدبير سليمة التصرف ؛ التى تستطيع تقويم حياة زوجها المعوجة . . . فقد جمعت بين حكمة العقل وحكمة اللسان ، وجمال الخلق والخِلقة معًا .

والقصة جاءت فى سفر صموئيل الأول :

١ ـ أبيجايل زوجة كاملة لرجل غنى أحمق سيئ التصرف :

كانت إبيجايل زوجة لرجل غنى اسمه نابال .

« (٢) وكان هناك رجل ثرى مقيم فى مدينة معون ذا أملاك فى الكرمل حيث كان يجز غنمه وكانت ثروته طائلة جدًا . . . (٣) وكان اسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل وكانت المرأة فاتنة الجمال راجحة العقل ، أما الرجل فكان قاسيا سيئ الأعمال» [١صموئيل : ٢٥] .

٢ ـ داود يطلب من نابال أجراً مقابل أنه لم يسلبه شيئا وحافظ على ماله :

أرسل داود طالبًا إعانة من نابال قائلاً :

(٧) . . . حين كان رعاتك بيننا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شىء طوال الأيام التى كانوا فيها فى الكرمل . . . (٨) . . . فهب عبيدك وابنك داود ما تجود به نفسك » .

٣ ـ نابال يرفض هذه الجزية أو الاستغلال بلفظ أدق ، فهب داود لقتاله .

ولكن الرجل رفض إجابة الطلب قائلا : « (١٠) من هو داود ؟ ومن هو ابن يسى؟ قد كثر اليوم العبيد الهاربون من أسيادهم » .

٤ ـ إبلاغ الخبر لداود استعداداً لقتال نابال :

« (١٢) فانصرف غلمان داود ورجعوا إلى داود فأخبروه بكلام نابال (١٣) فقال داود لرجاله : ليتقلد كل منكم سيفه . . . وسار على رأس أربعمائة رجل . . . » .

وهنا تظهر التوراة « داود » آفاقًا وقاطع طريق [١] .

(١) انظر كتابنا : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء بالمنصورة ص٧٦ ، والإصحاح ٢٧ من سفر صموئيل الأول .

٤ ـ ميكال امرأة نابال تتصرف بحكمة خوفا من إيذاء داود :

علمت بالأمر امرأته أبيجايل وأدركت هلاك زوجها ، فعملت على إنقاذه.

«(١٨) فأسرعت أبيجايل وأخذت مائتى رغيف خبز وزقى خمر ، وخمسة خرفان مجهزة مطبية وخمس كيلات من الفريك ومائتى عنقود عنب ومائتى قرص تين وحملتها على الحمير (١٩) وقالت لخدامها اسبقونى ها أنا قادمة وراءكم . . . » [١صموئيل].

قابلت إبيجايل داود واعتذرت له عن حمق زوجها [صموئيل ٢٥ : ٢٣ـ ٣١] فتقبل منها داود الطعام وأنصت إلى الاعتذار وقال لها « (٣٢) . . . مبارك الرب إله إسرائيل الذى أرسلك اليوم للقائى ، (٣٣) ومباركة فطنتك ومباركة أنت لأنك جنبتينى اليوم سفك الدماء والانتقام لنفسى (٣٤) . . . فلو لم تبادرى وتأتى لاستقبالى لما بقى لنابال رجل على قيد الحياة عند طلوع ضوء الصباح » [١صموئيل ٢٥] .

وفى النهاية كانت من زوجات داود بعد موت زوجها . « (٣٩) . . . وأرسل داود إلى إبيجايل يسألها الزواج منه» [١صموئيل ٢٥] ووافقت .

وهذه القصة وغيرها وطدت فى قلوب اليهود ضرورة امتلاك القوة للحصول على ما يشاؤون مما لا حق لهم فيه ، إلا حق القوة ثم القوة وأخيرا القوة .

٣ ـ ملكة سبأ وزيارتها لسليمان :

جاءت قصة بلقيس مع سليمان فى التوراة ملخصة مقتضبة ، فهذه المرأة «[١] كانت من الشخصيات غير العادية من النساء اللواتى يمشين على هذه الأرض ، نساء القمة . . نساء أعلى الطبقات . . . إذ كانت هداياها للملك سليمان من الذهب وحده تتجاوز الملايين من الجنيهات » .

وقد أخبر سفر أخبار الملوك أنها ذهبت إلى سليمان لتستفيد من حكمته وتتعرف عليه.

« (١) وعندما بلغت أخبار سليمان وإعلاؤه لاسم الرب مسامع ملكة سبأ ، قدمت لتلقى عليه أسئلة عسيرة . . . (٣) فأجاب سليمان عن كل أسئلتها من غير أن يعجز عن شرح شىء » [٢] [أخبار الملوك الأول ١٠ : ١ ـ ٣] .

---

(١) نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ص ١٣٥ .

(٢) جاءت أيضا فى أخبار الأيام الثانى الإصحاح ٩.

إذن أهل الكتاب ينظرون إلى عظمة بلقيس من الوجهة المادية فقط [1].

٤ ـ الفتاة الصغيرة الناصحة :

« (١) كان نعمان قائد جيش آرام يتمتع بمكانة سامية عند سيده لأن الرب حقق لأرام النصر على يده . . . إلا أنه كان مصابا بالبرص (٢) وسبى الآراميون فى إحدى غزواتهم التى أغاروا فيها على أرض إسرائيل فتاة صغيرة صارت خادمة لزوجة نعمان (٣) فقالت لمولاتها : ياليت سيدى يمثل أمام النبى الذى فى السامرة فينال الشفاء على يديه . . . » [٢ ملوك].

وقد كان ، وأمر اليشع نعمان بالاستحمام والغطس ٧ مرات بنهر الأردن حيث شفى (١٤) فنزل نعمان إلى نهر الأردن وغطس فيه سبع مرات ، كما أمر رجل الله ، فرجع لحمه كلحم صبى صغير وطهر من برصه » [٢ ملوك ٥].

(١) جاءت قصتها كاملة فى سورة النمل بالقرآن الكريم.

الفصل الثانى

نساء ذكرن فى الإنجيل [1]

توطئة :

نقصد بالإنجيل : الإنجيل الموجود حاليا ، بما يحتويه من الأناحيل الأربعة: متى ومرقص ولوقا ويوحنا ، إضافة إلى الرسائل التى أرسلها بعض الرسل ـ على حد زعم المسيحين ـ إلى أشخاص أو بلاد .

والواقع أن عدد النساء اللائى ذكرن فى الإنجيل بالاسم أو بالتصريح قليل ، أما ما ذكرن بالإشارة أو التلميح فهن أكثر قليلا ، ويرجع ذلك إلى أن أغلب المذكورات كن خاطئات وغفر المسيح لهن، أو أحسن المسيح إليهن وأجرى لهن أو لذويهن معجزات، كما لم يتمكن كُتاب الأناجيل التعريض لأكثرهن بالاسم ، حيث كتبت الأناجيل بعد هذه الوقائع بعدة عشرات من السنين ، اقترب بعضها من المائة سنة ؛ ولذلك نسبت بعض النساء إلى بلادهن ، كالمرأة السامرية ، أرملة نايين ، ونسبت أخريات إلى صفاتهن، كالمرأة الزانية والمرأة الخاطئة .

وعلماء الإنجيل يدعون أن سبب عدم ذكر أسماء النساء هو رغبة كُتاب الأناجيل فى ستر هؤلاء النسوة ، وهذا يتعارض مع ما ذكر عن السيدة مريم العذراء ، التى أوضح الإنجيل ـ الحالى ـ أنها تزوجت ولها أبناء غير المسيح واعتنق هذه الفرية ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ الكثير من الكنائس والبروتستانت ، وللأسف آمن آخرون بإلوهيتها !!

هذا وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى المباحث التالية ، وهو تقسيم اجتهادى منى مع ملاحظة سهولة تداخل التقاسيم :

المبحث الأول : نساء أهانهن الإنجيل :

١ ـ امرأة آدم « حواء » .

٢ ـ العذراء البتول السيدة مريم أم المسيح بين التكريم والألوهية والإهانة .

٣ ـ أخوة المسيح كما جاؤوا فى الإنجيل .

---

(١) نقصد بالإنجيل : الإنجيل الحالى وليس المنزل على عيسى عليه السلام.

٤ ـ مثل العذراى العشر .

٥ ـ مثل الأرملة وقاضى الظلم .

المبحث الثانى : نساء خاطئات غفر لهن المسيح :

١ ـ المرأة الزانية وقصتها مع المسيح .

٢ ـ المرأة الخاطئة التي عطرت المسيح وقبلت أرجله فغفر لها .

٣ ـ المرأة السامرية والمسيح .

المبحث الثالث : نساء أجريت لهن أو لذويهن معجزات :

١ ـ مريم المجدلية ويونا وسوسنة وأخريات خدمن المسيح .

٢ ـ شفاء المرأة الحدباء يوم السبت .

٣ ـ شفاء نازفة الدم وإقامة ابنة رئيس المجمع .

٤ ـ شفاء حماة بطرس .

٥ ـ أرملة نايين التى أحيا المسيح وحيدها .

٦ ـ مرثا ومريم اللتان أحيا لهما المسيح أخا .

المبحث الرابع : نساء صالحات فى حياة المسيح :

١ ـ امرأة زكريا وأم يوحنا .

٢ ـ أم ابنى زبدى وطلبها العجيب .

٣ ـ المرأة الفقيرة التى تبرعت بفلسين .

٤ ـ امرأة بيلاطس ونصيحتها لزوجها .

٥ ـ نساء حضرن موت المسيح ودفنه وقيامته .

المبحث الخامس : نساء فى حياة بولس الرسول :

١ـ نساء خدمن بولس فأوصى بهن وحياهن .

٢ ـ المرأة العرافة وبولس .

هذا ونود الإشارة إلى أننا ذكرنا أهم ما جاء ذكرهن فى الأناجيل من نسوة وليس كلهن ، ولكن ما تركناه قِلة وليس لهن أهمية فى دراستنا .

والله الموفق .

المبحث الأول
نساء أهانهن الإنجيل

١ ـ امرأة آدم حواء :

المسيحية هى الديانة الوحيدة التى لها كتابان هما التوراة ثم الإنجيل ـ الحاليين ، ومن ثم فإن عقائد المسيحية أصلها التوراة والتى تسمى بالعهد القديم، حيث إنهم يعتبرون الإنجيل هو العهد أو الميثاق الجديد فقد عدل ونسخ بعض أحكام التوراة .

وخطيئة حواء هى من الثوابت فى العقيدة اليهودية ثم المسيحية وإن تم بعض التعديل المسيحى لها ، ويمكن تلخيص آراء المسيحية فى حواء فى النقاط التالية :

حواء المسؤولة عن الخطيئة الأولى :

جاء فى كتاب « الآباء والكنيسة » :

« ونحن نعرف أن آدم لم يخطئ قبل خلق المرأة بل بعد خلقها ، فقد كانت هى أول من عصى الأمر الإلهى ، بل إنها دفعت أيضا زوجها معها لارتكاب الخطيئة ؛ لذلك بدت بأنها كانت المحفزة له لارتكاب الذنب ، فإذا كانت المرأة فى الواقع هى مرتكبة الذنب ، فكيف يكون خلقها حسنًا ؟ » .

ويؤكد هذه النظرية « فترتليانوس »(١) فيقول : « إن دينونة الله على هذا الجنس ما زالت منصبة حتى عصرنا هذا ، فالذنب ما يزال قائما ، « أنتن بوابة الشيطان » وأول من أكل من تلك الشجرة ، وأنتن أول من عصى الناموس الإلهى ، وأنتن اللاتى حرضن ذاك الذى حتى الشيطان لم يجرؤ على الاقتراب منه ، أنتن سحقتن صورة الله بكل استخفاف أى آدم بسبب عقوبتكن أى الموت، وحتى ابن الله اضطر أن يموت ، ثم بعد ذلك تفكرن فى تزيين أنفسكن بأشياء خلاف الأقمصة الجلد »(٢) [تكوين٣ : ٢١] .

رأى أمبروز عن المرأة(٣) :

« لأن حواء نفسها اعترفت بغلطتها فقد صدر ضدها حكم مخفف لإدانة خطئها ،

---

(١) كاتب مسيحى كبير من مدينة قرطاج بشمال إفريقيا .

(٢) يشير الكاتب أن الله عندما أخرج آدم وحواء من الجنة كساهما بأقمصة من جلد [تكوين ٣: ٢١].

(٣) الآباء والمرأة : إليزابيث ـ أ . كلارك ص٣٦ .

وهو حكم لا يحول دون الغفران ، وكان القصد منه أن تكرس نفسها لزوجها لكى تخدمه، وهناك سببان لذلك : أولهما : حتى لا تسر بارتكاب الذنب ، وثانيهما : أنه بعد أن وضعت تحت سيطرة الإناء الأقوى ، لا تعرض زوجها للازدراء ، بل بالأحرى تمتثل لنصائحه » (١) .

إذن ما ورد في التوراة من خلق حواء وخطئها وعقابها وطردها من الجنة ومعها زوجها الذى عوقب بسببها عقيدة ثابتة وراسخة فى الوجدان المسيحى ، ومع فنيجة لمساعدة النساء فى الدعوى سواء للمسيح أو الرسول بطرس ونتيجة لمشاهدة بعضهن لصلبه ، وأن أول من بشرت بقيامته امرأة ، فالنظرة المسيحية للمرأة وبالتالى لحواء قد هدأت من حدة تطرفها ، ويقول فى ذلك القس « إلياس مقار » (٢) .

« هناك من يظن أيضا أن المسيح جاء ليكافئ المرأة فى شخص مريم ، ويرفع كرامتها المهانة الضائعة ، لقد كفرت المرأة يوم الصليب عما فعلته يوم السقوط ، إذ انفردت بالولاء له دون الرجل . . ومن ثم كان الرسول الأول للتاريخ والأجيال ببشارة القيام امرأة لا رجلا . . فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا . . . عندما تذكر النساء مجدهن الأثيل وخادمات هذا المجد ليتهن لا ينسين أن يضعن فى الصف الأول مع أخلد البطلات مريم المجدلية » .

وحيث إن العذراء امرأة وقد ولدت الإله ، فهذا أعلى من شأن حواء وكفر عن بعض إثمها .

« (٣) أتذكر تلك الشجرات النادرة فى جنة عدن فى البستان الأول تظلل حواء وآدم العريانين اليائسين الخجلين ؟! وأتذكر الصوت الحزين الذى جاءهما ينادى بالطرد والألم والدموع والتعاسة للجنس البشرى جزاء العصيان ؟! وأتذكر المرأة تخرج لتغرق أولادها والأجيال البشرية فى البؤس والمرارة والشقاء ؟! وأتذكر كيف تهدم هذا البستان ، وتحولت الأرض غير الأرض فأصبحت طريقا ملعونًا صحراويا لبنى البشر ؟! فى عرض هذا الطريق وفى وسط الصحراء ولدت المرأة الثانية (٤) مخلص العالم ، كان كل ما

---

(١) انظر التوراة : خلق حواء [التكوين ٢ : ٢١ ـ ٢٤] ، ومعصيتها وإغواؤها لآدم [التكوين ٣ : ١ ـ ٧] ، وعقاب حواء وطردها وزوجها من الجنة [تكوين ٣ ـ ٨ ـ ١٦]

(٢) القس إلياس مقار : نساء الكتاب المقدس ص٢٦٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥١ .

(٤) يقصد السيدة مريم [متى ١ : ١٨ ـ ٢٣ ، ولوقا : ١ ـ ٧] .

حولها صحراويا فالجوع والفقر والفاقة والجدب كانت تحيط بها كرمز لحياة الإنسان كلها، على أن الصحراء تحولت وأضحت كما قال أشعياء : « تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس » ، حين رأينا المرأة الثالثة (١) تخرج راكضة من البستان لتنادى بقيامة الرب يسوع » (٢) .

إذن المسيحية آمنت بخطايا المرأة وضعفها وذلتها وأنها ـ أى حواء ـ أساس كل البلايا وأصل جميع المصائب ، إلا أن ولادة الإله « المسيح » (٣) من امرأة وقيام نساء أخريات بتعطيره وخدمته ، وأن أول من أنبأ بقيامته من الأموات حسب الاعتقاد المسيحى .

٢ ـ العذراء البتول : السيدة مريم أم المسيح بين التكريم والألوهية والإهانة :

« (٤) كتب عن العذراء كتبٌ ومؤلفات عدة ، ولكن أغلبها يتصف بصفة التحيز ، الصورة التى وضعها الكاثوليكى عنها تختلف اختلافا بينا عن الصورة التى رسمها البروتستنى ، والكاثوليكى رفعها ومجدها حتى بلغ بها درجة العبادة ، والبروتستانى اضطرب لهذه العبادة ، واندفع يرد إلى الناحية المضادة الأخرى فتركها وأهملها » .

إذن فالفكر المسيحى « اللاهوتى » أى العقائدى تطرف فى النظرة إلى السيدة مريم أما ما أعلى من شأنها فأوصلها لدرجة الألوهية واستحقاق العبادة « الكاثوليك » ، أو تطرف عكسيا فلم يعطها حقها من الاحترام والتبجيل والتقديس « البروتستانت » ، ويفهم من كلام القس أن الأرثوذكس كانوا هم الوسط .

وسوف نلقى نظرة عابرة على السيدة مريم فى العقيدة المسيحية :

أ ـ العذراء فى اللاهوت الكاثوليكى (٥) :

يمكن تلخيص عقيدة الكاثوليك واعتقادهم عن السيدة مريم فى ثلاثة أمور:

أولا : عذراويتها المستمرة : يعنون بذلك أنها ظلت عذراء بعد ولادة المسيح ،

---

(١) يقصد مريم المجدلية [يوحنا ٢ : ١١ ـ ١٨]

(٢) لوقا الإصحاح ٧ .

(٣) حسب الاعتقاد المسيحى .

(٤) القس إلياس مقار : نساء الكتاب المقدس ص ١٩١ ، دار الثقافة بمصر .

(٥) المرجع السابق ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ يقصد باللاهوت : العقيدة الدينية .

ويقولون : إن إخوته المذكورين فى الكتاب ما هم إلا أبناء خالته أو إخوة من امرأة سابقة ليوسف ، وهذا الفكر يجنح إليه فى الوقت الحاضر بعض المفكرين واللاهوتيين من البروتستانت ، غير أن كثيرين منهم من لا يجد غضاضة فى قبول الفكر أن أخوة المسيح هو إخوته من مريم ويوسف ، وأن زواجها برجلها لا يقلل بحال ما من مركزها العظيم . . على أنه ينبغى أن تذكر أن فكرة عذراويتها إلى النهاية شجعت الكثيرين فى القرنين الثانى والثالث على تفضيل العزوبة على الحياة الزوجية واعتبار العذراوية أقدس وأكمل وأجل فى الشركة مع الله .

ثانيا : الحبل بلا دنس : وأعنى بها عقيدة الكثلكة فى أن العذراء ذاتها حبل بها وولدت بدون خطية [1] ، وكان أوغسطينوس أول من شجع وهو لا يدرى ـ الكاثوليك على هذه العقيدة ، فقد قال : إنه من الجائز أن تكون العذراء بلا خطية فعلية ، ومن ثم كان هذا مشجعًا للفكرة أنها هى أيضا كالمسيح ولدت بدون خطية ، ومن الصعب علينا جداً أن نفهم كيف يقبل الكاثوليكى هذا ، وإن قبله كيف يستطيع أن يعلله تعليلا كافيا شافيا مقبولا ؟ .

ثالثا : صعودها [2] وعبادتها : والكاثوليكى يؤمن أن العذراء بعد وفاتها بثلاثة أيام عادت روحها للجسد وحملتها ملائكة الله حية إلى السماء ، وقد قاد هذا الكنيسة إلى عبادتها ، وأن كان رجال اللاهوت الكاثوليكى يقولون : إن عبادتها ليست مطلقة بل هى جزئية تابعة لعبادة الله ، ولكن كيف يجوز لنا إقرار هذا ، ونحن نجدها قد أخذت ذات الألقاب والأوصاف القاصرة على المسيح وحده ، فقد قيل عنها : إنها تسحق رأس الحية ، وهى الحكمة فى سفر الأمثال ، والعروس فى نشيد الأنشاد ، وتحية الملاك لها « أيتها المنعم عليها » ترجمت « أيتها الممتلئة نعمة » ، وتباعا لذلك أصبحت ينبوع نعمة للآخرين » والعبارة « هو ذا ابنك » التى قالها المسيح لها على الصليب قد أضحت لا تمثل علاقة مريم بيوحنا فقط بل بكل أبناء الكنيسة ، فهم إذن أبناؤها » وهى أيضا المرأة التى اضطهدها التنين فى سفر الرؤيا ، وهى السلم التى تصل بين الله والإنسان وهذا معنى كلمة والدة الإله .

(١) أى معصومة من ارتكاب المعاصى » والمسيحيون يؤمنون بأن كل البشر خاطئ ماعدا واحداً فقط هو المسيح، لأنه إله ، ولذلك وافقوا على ما جاء بالتوراة من فضائح للأنبياء.

(٢) يعتقد المسيحيون بصعود المسيح بعد صلبه وموته ثم إحيائه أنه صعد إلى السماء وبعضهم يعتقد ذلك فى السيدة مريم .

فى القرون الوسطى عبدها الناس عبادة صريحة ، ويكفى أن نضرب لذلك مثلا واحدا من الصلوات المنقولة إلينا من ذلك التاريخ ، لقد كانوا يناجونها بالقول : «تعبدك كل الأرض يا خطيبة الآب الأبدى . . . تعطفى علينا يا مريم الحلوة واحفظينا من الآن وإلى الأبد دون خطية » . . ومهما قيل فى وصف هذه العبادة ، وأنها ضمنية وغير مطلقة ، كان فيه نوعا من السجود لا يجوز أن يصح سوى للمسيح وحده (١) . وإن كان لنا أن نقر أن الكنيسة الكاثوليكية أخذت تعيد إلى المسيح فى السنوات الأخيرة مركزه الأساسى والرئيسى الضائع . . . إلا أنه من واجبنا أن نشعب كل عبادة للعذراء مهما كان تقديرنا لمركزها العظيم الذى أعطاه الله لها !! على أنه من اللازم أن نسأل كيف سارت الكنيسة فى هذا الطريق ، ولم انتهت إلى هذا الوضع المفزع والغريب معا، لعل هناك أسبابا متعددة ربما أشهرها أمران :

أولا : فى أوائل القرن الخامس أخذت عبارة «والدة الإله » تنتشر فلم ترق هذه الكلمة فى عينى نسطورس فعارضها وهاجمها ، وقال : إن العذراء ليست أما للمسيح كابن الله بل إنها أمه كإنسان . . . واحتدم الجدل بينه وبين كثيرين من معاصريه حتى حمل الأمر إلى مجمع أفسس عام ٤٣١ للميلاد ، فخذل نسطورس وحكم المجمع ضده وضد أتباعه ووسمهم بالهرطقة والكفر ، وانساق الناس وراء حكم المجمع ، ولكى يمعنوا فى تحقير نسطورس أخذوا يجمعون بين المسيح والعذراء فى كل شيء ، فكنت تجد صورتيهما فى كل مكان ، فى البيوت والكنائس ، فى الدكاكين والمحال العامة ، على الملابس والتحف ، والأثاثات والزينات .

ثانيا : ترك النزاع الذى اشتد بين الناس فى ذلك العصر حول طبيعة المسيح وشخصه ومركزه فى الثالوث الأقدس ، النزاع الذى انتهى بإقرار لاهوته ومساواته للآب فى الجوهر والمجد - ترك هذا فى حواشيه تخوف الناس من الاقتراب من مخلصنا ، والبحث عن شخصية وسطى تقربهم إليه ، وقد وجدوا هذه الشخصية فى شخص أمه العذراء هذا هو منشأ الاقتراب منها والتعبد لها ، وكأنما يقول لها الناس : تكلمى أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا المسيح لئلا نموت ، وهكذا سارت الكنيسة الكاثوليكية فى طريقها حتى أحس المخلصون بحاجتهم إلى القول : « أخذوا السيد ولسنا نعلم أين

(١) حيث يعتقدون الوهيته .

وضعوه » . وهكذا صورت للناس مخلصهم فى صورة القدوس المرهب البعيد المتعالى الذى هو نار آكلة ، وصورت أمه فى صورة المتدنية القريبة العطوف الحنون التى تشفع فيهم وتصل بينهم وبينه . .

ومما تقدم وهى دراسة مسيحية وليست رأيًا لنا ، يتبين أن المسيحية إما عبدت السيدة العذراء كإلهة يجب السجود لها والدعاء لها والصلاة ، أو كوسيطة بين المسيحيين وابنها الإله أو الأقنوم الثانى ، أو أهانوها فادعوا وآمنوا بأنها تزوجت وأنجبت أولادا من خطيبها يوسف النجار .

ب ـ العذراء فى الإنجيل :

أول امرأة تكلم عنها متى فى أول إصحاح هى السيدة مريم أم المسيح «(١٨) . . . لما كانت مريم أمه ، أم المسيح ، مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس (١٩) فيوسف رجلها إذ كان بارًا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرًا (٢٠) ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى الحلم قائلاً : يا يوسف بن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس (٢١) فستلد ابنا وتدعوا اسمه يسوع ؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (٢٢) وهذا كله لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل (٢٣) هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » (١) .

« (٢٤) فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته (٢٥) ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع » [متى ١ : ١٨ـ ٢٥].

هذا وقد بشر الملك جبرائيل مريم بهذا الميلاد الإعجازى فقال : «(٢٨) سلام لك أيتها المنعم عليها ! الرب معك مباركة أنت فى السماء . . . (٣٠) لا تخافى يا مريم ؛ لأنك وجدت نعمة عند الله (٣١) ها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع (٣٢) هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه (٣٣) ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية (٣٤) فقالت مريم : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ (٣٥) فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك

---

(١) نحن كمسلمين نستعيذ بالله من هذه الاعتقادات ، وهل يعقل أن العذراء البتول تتزوج بعد ولادتها الإعجازية وتنجب من رجل أى أنه حسب الاعتقاد لبعض الطوائف الكبرى المسيحية الرحم الذى حمل الإله أو ابن الإله ، حمل أبناءً للبشر ، وسنختم هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ بعقيدة وجود إخوة للمسيح .

وقوة العلى تظللك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله (٣٦) وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضًا حبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرًا (٣٧) لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله (٣٨) فقالت مريم : هو ذا أنا أمه الرب ليكن كقولك ، فمضى من عندها الملاك » [لوقا ١] .

وبعدما أحست مريم بالحمل ذهبت لزيارة امرأة زكريا : « (٤٠) ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات (٤١) فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها ، وامتلأت اليصابات من الروح القدس (٤٢) وصرخت بصوت عظيم وقالت : مباركة أنت فى السماء ومباركة هى ثمرة بطنك (٤٣) فمن أين لى هنا أن تأتى أم ربى إلى ؟ (٤٤) فهو ذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى (٤٥) فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب » [لوقا ١] .

وكان الميلاد ، الولادة الفعلية فى مدينة بيت لحم حيث ذهب » (٤) . . . يوسف . . . (٥) ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى (٦) فبينما هما هناك تمت أيامها لتلد (٧) فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود ؛ إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل » لوقا ٢] .

ومن الفقرات السابقة يتبين لنا (١) :

١ ـ جبرائيل بشر مريم العذراء بالميلاد الإعجازى .

٢ ـ يوسف خطيبها أيضا بشر بذلك فى الحلم .

٣ ـ اليصابات نسيبتها ـ قرينها ـ حل عليها الوحى «الإلهام » .

وهو ما يسمى فى المسيحية « الروح القدس » .

٤ ـ أن الله أكرم وأعلى من شأن السيدة مريم وأجل قدرها .

٥ ـ من واقع هذه البشارة وغيرها تم المبالغة فى الإعلاء من شأن المسيح حتى وصل لدرجة الألوهية ، وقد وردت ألفاظ فهمت فهمًا خاطئًا فأدت إلى ذلك منها :

العذراء تحمل وتلد . . . وهى نبوءة تحققت فى عهد أشعياء .

ووردت تفصيليا فى الإصحاح السابع من سفر أشعياء :

ابن العلى يدعى: ابن الله، وقد وردت هذا الألفاظ كثيرا فى التوراة وفى الإنجيل.

---

(١) هذا كما يعتقده المسيحيون وفقا للإنجيل وفهمهم الخاطئ له وسنوضح ذلك تفصيليا فى دراسة لاحقة نعد لها الآن وهى المسيح والمسيحية فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

يملك إلى الأبد ، ولفظ الأبد فى الكتاب المقدس لا يعنى الزمان المطلق ولكنه يعنى الزمان المحدد لعمل معين .

قول اليصابات : أم ربى والرب بمعنى السيد والمحترم والمبجل والحاكم جاءت مئات المرات فى الكتاب المقدس .

٦ ـ تسلل إلى الفكر اللاهوتى فكرة زواج العذراء بعد الميلاد الإعجازى من يوسف النجار وإنجاب إخوة للمسيح ، وسوف نناقش هذه الفكرة فى المبحث التالى ، وتجدر الإشارة أن الإيمان بهذه الفكرة فى حد ذاته هو أكبر إهانة للسيدة العذراء وللمسيح ابنها ولله أيضا ثم لكل من يحترم المسيحية كدين .

٣ ـ إخوة المسيح كما جاؤوا فى الإنجيل :

أحسست وأنا أكتب هذا العنوان بزلزال هز كيانى ، وبركان أطاح فى ثورته بعقلى ووجدانى حتى أننى فقدت البصر لدقائق ، وأعتقد أن القارئ حتما سيشاركنى ما عانيته وكأنه معى بمجرد إطلالته على العنوان ، ولكن هذا العنوان حقيقة إنجيلية آمنت بها وعززتها وآزرتها الكثير من الكنائس ، حتى أصبحت شريعة ومنهاجًا .

وربما يرجع ذلك إلى فقرات كثيرة منها :

« . . . مخطوبة ليوسف النجار قبل أن يجتمعا وجدت حبلى » [متى١ : ١٨] .

« ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكرى . .» [متى ١ : ٢٥] .

« ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة ، فولدت ابنها البكر» [لوقا٢ : ٥ ، ٧] .

فهذه الفقرات فى قصة الولادة « قبل أن يجتمعا ولم يعرفها » توضح أنه اجتمع بها ودخل عليها وعرفها بعد ميلادها ، كما أن الإصرار على ابنها البكر وتكرار ذلك يوضح وجود آخرين ، والإصرار على لفظ امرأته المخطوبة يدل على استمرار علاقة الخطوبة ثم الزواج .

وقد أكدت السيرة الذاتية وعلاقة المسيح بأمه وجود إخوة له ومن ذلك :

الحديث المتبادل بين المسيح وإخوته :

« (٢) وكان عيد المظآل قريبا (٣) فقال له إخوته انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضا أعمالك التى تعمل (٤) لأنه ليس أحد يعمل شيئا فى الخفاء وهو يريد أن يكون علانية إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم (٥) لأن

إخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به » [يوحنا ٧: ٢ـ٥].

وجاء فى تفسير وليم باركلى عن هذه الفقرات (١) :

« . . . لقد حاول إخوة الرب أن يرغموه على الذهاب معهم إلى أورشليم (٢) » وكان فى محاولاتهم الكثير من الجرأة والتحدى » وقد يكونون على صواب من وجهة النظر البشرية ، فحتى الآن كانت دائرة الجليل ، هى مسرح خدمة السيد » وهناك قام بمعجزاته العظيمة ، ففى عرس قانا الجليل ، قام بتحويل الماء إلى خمر » [يوحنا ٢ : ١] إلى النهاية ، وهناك شفى ابن خادم الملك [يوحنا ٢ : ١٦] ، وهناك أشبع خمسة آلاف من الخبز المعجزى [يوحنا ٦ : ١] إلى النهاية، والمعجزة الوحيدة التى قام بها فى أورشليم هى معجزة شفاء المريض الأشل ـ المشلول ـ فى رواق بركة ـ بيت حسدا [يوحناه : ١] إلى النهاية ؛ لذلك لم يكن أمراً غريبًا من إخوة يسوع أن يطلبوا منه أن يذهب إلى أورشليم حتى يرى مريدوه ومؤيدوه قوته المعجزية الخارقة » .

ويلاحظ تكرار كلمة [إخوة المسيح] ولا يستطيع أحد أن يدعى أن المقصود «تلاميذه » لقولهم : « لكى يرى تلاميذك أيضا أعمالك » ، كذلك لا يمكن وصف التلاميذ « (١٥) لأن إخوته أيضًا لم يكونوا يؤمنون به » [يوحنا ٧ : ٥] ، ولذلك لم يتعرض المفسر لشرح هذه الفقرة ، ويجب ملاحظة : أن الأناجيل كلها لم تذكر مشاركة إخوته له فى الدعوى ، بل كانوا منفصلين عنه تماما ، ولذلك عندما جاء أمه وإخوته ليدعونه قابلهم بجفاء وأهانهم .

« (٢١) فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجا وأرسلوا إليه يدعونه (٢٢) وكان الجميع جالسا حوله فقالوا له : هو ذا أمك وإخوتك خارجا يطلبونك (٢٣) فأجابهم قائلا : « من أمى وإخوتى (٢٤) ثم نظر حواليه إلى الجالسين وقال : ها أمى وإخوتى (٢٥) لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى » [مرقص ٣: ٢١ ـ٢٥، ولوقا ٨: ١٩ـ٢١].

يقول المفسر عن ذلك (٣) :

« عندما ننظر إلى العلاقة القائمة بين يسوع وعائلته ، نرى أنها لم تعطف عليه

---

(١) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد » ترجمة د/ عزت زكى ١/ ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، دار الثقافة بمصر.
(٢) القدس .
(٣) وليم باركلى : تفسير العهد الجديد ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

أبداً، فترى من [مرقص ٣: ٢١] يحذر يسوع تابعيه قائلا: « أعداء الإنسان أهل بيته » وكأنى به يتكلم عن اختيار مُعاش فيه واجتيازه . . . فليست القرابة الحقيقية قرابة الدم بل قرابة القلب والعقل للعقل » .

المجتمع فى بلدته كانوا يعرفونه هو وإخوته فعندما ذهب ليُعلم فى المجمع تعجبوا قائلين :

« أليس هذا هو النجار ابن مريم ، وأخو يعقوب ويوسى وسمعان ؟ أوليست إخواته ههنا عندنا؟ فكانوا يعثرون به (٤) فقال لهم يسوع : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته » [مرقص ٦ : ٣ ـ ٤] .

ويقول المفسر فى ذلك (١) :

« إذ يدعونه النجار ابن مريم ، يستدل من ذلك : أن يوسف النجار قد تنيح «مات» فى ذلك الحين ، وإلا كانوا قد ذكروا اسمه ، أما عن دعوة يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان إخوته ، فقد استخدم تعبير «إخوة» فى الكتاب المقدس، إما للإخوة حسب الدم ،أو بسبب وحدة الجنسية أو بسبب القرابة الشديدة ، كما دعا إبراهيم ابن أخيه لوط « أخا » [تكوين ١٣ : ٨] .

وأيضا استخدم لابان ذات الكلمة عن زوج ابنته [تكوين ٢٩: ١٥] .

وقد اعتاد اليهود أن يلقبوا أبناء العم أو العمة أو الخال أو الخالة : إخوة ، إذ غالبا ما يعيشون تحت سقف واحد ، وفى اللغة الآرامية تستخدم نفس الكلمة « أح» لتعبر عن كل هذه القرابات ؛ لذلك يرى القديس جيروم أن أخوة يسوع هم أولاد القديسة مريم زوجة كلوبا ، أخت القديسة مريم العذراء » [يوحنا ١٩ : ٢٥] .

ونرى أن المفسر حسب تفسيره (٢) قد خالفه الصواب ، حيث إن إطلاق لفظ « ابن مريم » وليس ابن يوسف النجار قد يكون سببه محاولة الإساءة للمسيح والتقليل من شأنه ، فكيف يقوم بالتعليم فى المجمع ابن امرأة فقيرة بائسة يائسة ، ولذلك قالوا :

---

(١) القمص : تادرس يعقوب ملطى : من تفسير وتأملات الآباء الأولين ـ تفسير إنجيل مرقص ص ١٠٤ وقد تعمدنا الاسترشاد بهذا التفسير ؛ لأن له وجهة نظر أخرى تخالف تفسير باركلى .

(٢) المسلمون لا يؤمنون بوجود إخوة للمسيح ولكننا نناقش آراء علماء المسيحيين حسب الإنجيل.

«أليس هذا هو النجار» إنه نجار ابن نجار وليس له حظ من علم حتى يُعلم فى المجمع .

أما إطلاق اسم الإخوة على الأقرباء فهذا شهد به الكتاب المقدس وهو من الأمور المتداولة بين الناس فرُب صديق هو أخ أو أحب ، ولكن بشرط توافر المحبة والبر الزائد وهذا بالطبع لم يتحقق نهائيا بين المسيح وإخوته .

وكيف يُظن بأقربائه الذى وصموه بقلة العقل والجنون ، أنهم فى محل إخوته ، فأطلق عليهم لفظ الأخوة .

عندما اجتمع به جمع غفير حتى عجز عن إطعامهم « (٢١) فلما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه ؛ لأنهم قالوا إنه مختل » [مرقص ٣ : ٢١] .

كما أن الادعاء بأن إخوة المسيح هم أولاد القديسة مريم زوجة كلوبا ، أخت السيدة العذراء ، فذلك غير مقبول حيث لا يوجد فى الأناجيل ما يؤيد ذلك ، وكون مريم هذه حضرت صلبة فلا علاقة بالصلب والإخوة نهائيا « وكانت واقفات عند صلب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية » [يوحنا ١٩ : ٢٥] .

وحسب الأناجيل لم توجد علاقة حميمة بين المسيح وأمه ، فهو لم ينادها نهائيا بأمى ، ويقول القس إلياس مقار عن ذلك : «... يدهشنا أنه فى كل ما ذكر الكتاب عنهما من علاقة لم يقل لها مرة واحدة : يا أمى ! نحن لم نسمع هذه العبارة تنطق بها شفتاه ، سواء فى الهيكل فى الثانية عشرة من عمره ، أو فى عرس قانا الجليل فى بداءة خدمته الجهارية، أو فى كفرنا حومة حيث معقل خدمته ومركزها، أو على الصليب .. بل سمعنا على العكس : « مالى ولك يا امرأة » . « ها أمى وإخوتى لأن من يضع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » ، « يا امرأة هو ذا ابنك ».

وصية المسيح بأمه وهو على الصليب :

ينظر المسيح للواقفات يشاهدن صلبه « (٢٧) ثم قال لتلميذه هو ذا أمك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » [يوحنا ١٩ : ٢٧] .

العجيب أنه لم يوص أختها مريم عليها أو يوصيها أن توصى عليها أبناءها الذين يُعدون إخوته لشدة القرابة ، ولكنه أوصى أحد تلاميذه ، وإن كان البعض يرى أن هذه الوصية هى دليل صادق على عدم وجود إخوة من الدم من المسيح ، فلو كان له

لأوصى لهم بها ، ولكن الذى يبدو ، أنهم كانوا قساة القلوب حتى أنهم لم يتبعوه ، فلم ير أو يتوقع منهم خيراً .

وعلى ذلك سيطرت فكرة زواج السيدة العذراء من يوسف والإنجاب به قطاع كثير من الطوائف المسيحية ، الذين آمنوا بما جاء فى الإنجيل عن ذلك ، أما الطوائف الأخرى فليس لها من سند الإنكار إلا عدم استساغة العقل لذلك « فحاولوا الاستدلال بما لا يصح من حجج وبراهين إنجيلية وغير إنجيلية ومن هذه الاستدلالات (١) :

إن هذا الموضوع لا يشكل أهمية كبيرة فى فكر الكنيسة الإنجيلية ؛ لأن الكتاب المقدس واضح فى قوله : إن هناك إخوة للمسيح كما جاء فى إنجيل متى الإصحاح السادس ولكن إخوة المسيح لدينا فيها أكثر من تفسير والكنيسة الإنجيلية تؤمن بهذه الأفكار .

ذلك أن الشيخ يوسف النجار كان متزوجا قبل العذراء مريم وأنجب من زواج سابق وأن المسيح بالجسد كان ابنا ليوسف النجار ؛ لأن الإنجيل يقول : « أليس هذا هو ابن النجار » فكان المسيح يعتبر ابن يوسف النجار ، والكنيسة تؤمن أيضا أن العذراء مريم هى عذراء ولم يحدث أى اتصال جنسى بينها وبين يوسف وجميع الأديان تؤمن بذلك ، بل إن يوسف النجار كان متزوجا قبل العذراء مريم ، فهؤلاء الإخوة هم أبناء ليوسف النجار من زوجته .

رأى قداسة البابا شنودة فى ذلك (٢) .

قال : إن السيد المسيح ليس له إخوة ، ولكن البروتستانت لديهم هذه العقيدة ، وفى الماضى كانت عبارة أخ فى التعبير اليهودى تطلق على القريب شديد القرابة للإنسان، فقد تُطلق كلمة الأخ على ابن الأخت أو ابن الأخ ، وبنفس الأسلوب قيل : إخوة «يسوع» ويريدون بها أولاد خالته .

ومن غير المعقول أن يكون لمريم أم المسيح كل هؤلاء الأبناء ، وأكبر دليل على ذلك أن السيد المسيح فى صلبه عهد إلى مريم العذراء بأن تمكث عند التلميذ « يوحنا » كى يتعهدها بالرعاية ، فلو كان لها أبناء آخرون لكانوا أولى بها وبرعايتها .

---

(١) رأى للقس صفوت البياض رئيس الكنيسة الإنجيلية فى مصر وذلك فى معرض الرد على قضية إخوة المسيح التى أثارها الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور ونشر الرد فى مجلة «المصور» سنة ٢٠٠٢م.

(٢) نشر بمجلة المصور ص ٢٧.

قديم تحدث عنه آباء الكنيسة منذ القرنين الثانى والثالث للميلاد وكذا القرنين الرابع والخامس .

وبتولية العذراء نقطة خلاف بيننا وبين البروتستانت ، فهم لا يؤمنون بدوام بتولية العذراء ، ويعتقدون أنها تزوجت بيوسف النجار وأنجبت منه بنين عرفوا باسم : أخوة يسوع [متى ١٢ : ٤٧] .

ولكننا نقول بأن السيد المسيح هو الابن البكر وهو الابن الوحيد للعذراء التى لم تتزوج ولم تنجب ، فالقول بأن للمسيح أخوة هو ما ذهب إليه البروتستانت لأنهم لا يؤمنون بشفاعة العذراء » وأقول : هل يعقل أن تنجب العذراء المسيح ثم تذهب لرجل تنجب منه أربعة آخرين .

هناك نص كتابى واضح فى نبوءة حزقيال يؤيد دوام بتولية العذراء ، لقد رأى حزقيال النبى بابا مغلقا فى المشرق وقيل له : « هذا الباب يكون مغلقا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقًا [حزقيال ٤٤ : ٢] .

إنه رحم العذراء الذى دخل منه الرب، فظل مغلقًا لم يدخله ابن آخر له.

هذا وقد أوضحنا نقدنا فى الصفحات السابقة لما ذكره قداسته من مبررات ، أما استشهاد قداسته بحزقيال [٤٤ : ٢] والقول بأن هذه الفقرة خاصة بمريم فباطلاعنا عليها تبين أنها من شرائع استخدام الهيكل عند اليهود « (١) ثم ارجعى إلى باب الهيكل الخارجي المواجه للمشرف وكان آنئذ مغلقا (٢) وقال لى : فسيظل هذا الباب موصدا لا يفتح ولا يدخل منه إنسان ؛ لأن الرب إله إسرائيل قد اجتاز منه ، لذلك يظل موصداً » [حزقيال ٤٤ : ١-٢] .

رأى القمص « عبد المسيح بسيط » كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد (١) :

لو صح أن كان للمسيح أخوة فذلك يكون من أبيه أو من أمه ، ونجد أن هذا غير مقبول مسيحيا وإسلاميا أيضا لأن الإنجيل والقرآن يقولان :إن المسيح مولود من عذراء.

لقد جاء فى سورة التحريم قول الله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ [التحريم : ١٢] وجاء أيضا فى سورة

(١) نشر بمجلة المصور ص ٢٦.

الأنبياء ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١) ﴾ [الأنبياء] فكلمة « أحصنت » كلمة جازمة تعنى أنه ليست فى نية العذراء الزواج مستقبلا ، وهذا يؤكد ما جاء فى المفهوم الإسلامى أن حدث حبلها بالمسيح لم يكن يوما ما فى حساب السيدة العذراء لتضع مولودا ، وعندما جاءها الملاك حبسما جاء أيضا فى القرآن ليقول لها فى سورة مريم ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ﴾ [مريم] .

وكلمة « لم يمسسنى بشرا » تدل على معنيين :

الأولى : أن السيدة العذراء لم يمسسها أى رجل كما أن النية قائمة عندها وعند الملاك بأنها ستبقى عذراء ؛ لأنها أحصنت فرجها وأصبحت العذراء دائمة البتولية بمعنى أنها بتول قبل ميلاد المسيح وبعد المسيح والإنجيل والقرآن يؤمنان بذلك .

أما خطبة السيدة العذراء نذيرة الهيكل للشيخ يوسف النجار كان لحمايتها من اليهود عندما تحبل وتلد المسيح ليكون له أب وأم حتى لا يتهمونها بالزنا بعد الميلاد لذلك قال لها الملاك « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك وأن المولود منك قدوس وابن العلى يدعى» .

وعلى ذلك وا أسفاه ، أهان الإنجيل السيدة مريم العذراء كما أهانها المسيح نفسه ، ولم يبد لها احتراما يليق بالأم ، ولم يناديها مرة واحدة بلفظ أمى.

٤ ـ مثل العذارى العشر :

إنه مثل ضربه المسيح بهدف شرح أهمية الاستعداد ليوم القيامة ، حيث إن هذه الساعة وذلك اليوم لا يعلمه أحد إلا الله فقط ؛ حتى المسيح الذى ادعوا ألوهيته لا يعلم متى هذا اليوم .

وبالرغم من أن هذا مثل وليس حقيقة إلا أنه يوضح كرامة الرجل بالنسبة للمرأة ، كما يظهر قوامته عليها ، فهؤلاء عشر عذراوات ينتظرن عريسًا واحدا ، وجاء عن المثل فى إنجيل متى :

« (١) . . . يشبه ملكوت السموات عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس (٢) وكان خمس منهن حكيمات ، وخمس جاهلات ، (٣) أما الجاهلات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن ، (٥) وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن (٦) ففى منتصف الليل صار صراخ ، هو ذا العريس مُقبل ، فأخرجن للقائه » [متى: ٢٥].

ونتيجة لتأخر العريس انتهى زيت المصابيح ، فأما الحكيمات فأعدن ملء المصابيح وأما الجاهلات فلم يجدن زيتا لإعادة ملء المصابيح ، فذهبن فى تحوله لشراء زيت وعندما رجعن تنكر لهن العريس قائلا : « . . . الحق أقول : إنى ما أعرفكن » [متى ٢٥ : ١٢].

وبعدها ينصح المسيح قائلا : « (١٣) فاسهروا إذًا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان » (١) .

٥ ـ مثل الأرملة وقاضى الظلم :

ضرب المسيح هذا المثل ليبين ضرورة طلب العفو والمغفرة والرحمة من الله ، وتكرار ذلك والإصرار عليه حتى يناله الإنسان .

وملخص هذا المثل : أنه كان هناك قاض ظالم اعتادت امرأة أن تشكو إليه ظالمها وهو لا يحرك ساكنا ، وفى النهاية مل منها القاضى وتأذى من كثرة إلحاحها فقال :

« (٥) فإنى لأجل أن هذه الأرملة تزعجنى ، أنصفها ، لئلا تأتى دائما فتقمعنى ، (٦) وقال الرب : اسمعوا ما يقول قاضى الظلم (٧) أفلا ينصف الله مختارين الصارخين إليه نهاراً وليلاً ، وهو متمهل عليهم (٨) أقول لكم : إنه ينصفهم سريعا !» [لوقا : ١٨] .

ولو أحكمنا العقل والنطق ودرسنا المثل ، لاستحيينا من تشبيه الله بقاضى ظلم ، هذا القاضى لم يحكم حبًا فى العدل والرحمة ، ولكن ضجراً من كثرة الشكوى . . . فهل الله الغفور الرحيم قاضى ظلم ويتقبل توبة العبد تضجراً من كثرة الإلحاح ، أم حبًا وكرامة بكثرة الدعاء والإصرار على التوبة ، إنها هفوة من كاتب الإنجيل وقلة تبصر

---

(١) علماء المسلمين يقررون أن المقصود بابن الإنسان ابتعان رسول الله ﷺ . انظر: البشارة بنبى الإسلام » للدكتور أحمد حجازى السقا .

المبحث الثانى

نساء خاطئات غفر لهن المسيح

١ ـ المرأة الزانية وقصتها مع المسيح :

هذه القصة من أغرب وأعجب قصص الإنجيل، لأنها تهدم شريعة موسي الذى أمر المسيح باتباعها ، ومن نتائجها تسلل تشريع جديد إلى المسيحية وهو رفع الحد عن الزنا.

والقصة جاءت فى إنجيل يوحنا كما يلى :

« (٣) وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا ، ولما أقاموها فى الوسط (٤) قالوا له يا معلم ، هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل ، (٥) وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم ، فماذا تقول أنت ؟ (٦) قالوا هذا ليجربوه ، لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه ، وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض (٧) ولما استمروا يسألونه ، انتصب وقال لهم : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر (٨) . . . (٩) وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم ، خرجوا واحداً فواحد ، مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين » [يوحنا ٨] .

وفى النهاية عفا عنها المسيح قائلا « (١١) . . . ولا أنا أدينك اذهبى ولا تخطئى أيضا » [يوحنا ٨] .

وهذه القصة تمثل أقصى درجات التناقض ، فها هو المسيح لا يقيم الحد على امرأة ثبت زناها وتعليماته فى هذا الشأن شديدة قاسية فهو يوصى تلاميذه ومتبعيه (٢٧) قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن (٢٨) وأما أنا فأقول لكم : إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه (٢٩) فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » [متى ٥ : ٢٧ ـ ٢٩] .

إنه يأمرك أن تقلع عينك بيدك أفضل من أن يحرق الجسد كله فى النار ، وفى نفس الوقت يعفو عن زانية ، لم تتقدم حتى لطلب العفو والصفح والتوبة ؟!

وهل إذا أجمع الناس على اقتراف معصية وتعارفوا عليها ، لم تعتد تستوجب الحد فهو القائل : « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ، إن الإنسان لا يسلم من الخطأ صغر أم كبر ، فهل معنى ذلك رفع الثواب والعقاب والحساب؟!

٢ ـ المرأة الخاطئة التى عطرت المسيح وقبلت أرجله فغفر لها :

إنها قصة الندم على الذنب والإخلاص فى طلب التوبة والنصح والإرشاد ، وهى توضح أن الإنسان مهما أخطأ ولم يضبط فى فعل الخطيئة وبالتالى استوجب الجزاء ، فإن باب التوبة مفتوح وقد جاء في إنجيل لوقا عن هذه القصة :

« (٣٦) وسأله أحد الفريسيين أن يأكل معه ، فدخل بيت الفريسى واتكأ (٣٧) وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة « إذ علمت أنه متكئ فى بيت الفريسى ، جاءت بقارورة طيب » (٣٨) ووقفت عند قدميه من ورائه باكية ، وابتدأت قبل قدميه بالدموع وكانت تمسحها بشعر رأسها ، وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب » [لوقا ٧] .

اعترض الفريسى فى نفسه قائلا : « (٣٩) . . . لو كان هذا نبيا لعلم من هذه إلا امرأة التى تلمسه وما هى ؟ إنها خاطئة » [لوقا٧] .

وهذا الرجل لم يعلن للمسيح هذا علانية ، ولكن المسيح شرح له مثلاً للعبرة والموعظة وهو : « (٤٢) كان لمداين مديونان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون (٤٣) وإذا لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعا فقل : أيهما يكون أكثر حبا له ؟ فأجاب سمعان « الفريسى » : أظن الذى سامحه بالأكثر ، فقال له : بالصواب حكمت» [لوقا ٥].

وقد غفر لها المسيح وقال لها « (٤٩) . . . مغفورة لك خطاياك (٤٩) فابتدأ المتكئون معه يقولون فى أنفسهم من هذا الذى يغفر خطايا أيضا ؟ (٥٦) فقال للمرأة إيمانك قد خلصك ، اذهبى بسلام » [لوقا ٧].

وهنا يتبين أن الجميع لم يؤمنوا بألوهية المسيح ، كذلك المسيح طلب لها المغفرة من الله » وبين ثقته فى استجابة الطلب لأنه رأى وتأكد من شدة إيمانها وصدق توبتها .

٣ ـ المرأة السامرية والمسيح :

إنها امرأة من بلدة تسمى « سوخار » ومعناها الهاجعة أو السكرى ، ويُظن أنها كانت جميلة ثمامكنها مع فقرها من الزواج بخمسة رجال والإقامة بلا زواج من سادس، ووصفها بالسامرية هو عين الإهانة لها ، فقد كان اليهود يحتقرون السامريين ويصفونهم بالغباء وقلة الإيمان وأنهم تزوجوا واختلطوا بالأمين «الجهلة» .

وقصتها مع المسيح ؛ أنها جاءت لتشرب ماءً من بئر فقابلت المسيح الذى دعاها

للإيمان فآمنت وآمن لدعوتها الكثير من أهل السامرة . فبالرغم من حبها للدنيا والزواج من خمسة ومن إثمها ومعاشرة سادس بلا زواج فإنها لم تيأس من رحمة الله .

وقد جاء بقصتها يوحنا فحكى وقال:

« . . . (٧) فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماءً ، فقال لها يسوع : أعطنى لأشرب (٨) . . . (٩) فقالت له المرأة : أنا سامرية ، لأن اليهود لا يعاملون السامريين (١٠) أجاب يسوع وقال لها : لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك : أعطنى أشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حيا » [يوحنا ٤] .

هذا وقد دعاها المسيح للتوبة والعودة إلى الله :

« (١٤) ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية (١٥) قالت له المرأة : يا سيد أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى » [يوحنا: ٤] .

هذا وقد أنبأها المسيح بقصتها كدليل لصدقه فى رسالته .

« (١٨) لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذى لك الآن ليس هو زوجك . . . (١٩) قالت له المرأة : يا سيد ، أرى أنك نبى ، (٢٠) آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون : إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يُسجد فيه (٢١) قال لها يسوع[1] : يا أمرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب » [يوحنا ٤] .

هذا وقد نشرت المرأة الخبر فآمن بالمسيح الكثيرون « (٣٩) فآمن به من تلك المدينة الكثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة » [يوحنا ٤] .

(١) والفقرات توضح نبوة المسيح « أرى أنك نبى » وهى بشرى بدين الإسلام « يا امرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب » والسجود هو دليل العبادة « إذا عبادة الله الأخيرة فى مكان آخر هو مكة .

المبحث الثالث

نساء أجريت لهن أو لذويهن معجزات

١ ـ مريم المجدلية ويونا وسوسنة وأخريات خدمن المسيح:

عند دعوة المسيح هو والاثنى عشر تلميذاً « الحواريون » كان هناك بعض النساء يخدمنه ومنهن كما قال لوقا فى إنجيله :

« (٢)... مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين ، (٣) ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس ، وسوسنة ، وأخريات كثيرات كن يخدمنه من أموالهن » [لوقا٧] .

وهؤلاء النسوة كان قد سبق شفاؤهن على يد يسوع « (٢) وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض » [لوقا٧].

٢ ـ شفاء المرأة الحدباء فى يوم السبت :

من شرائع اليهود الثابتة التى إذا خولفت استوجب ذلك القصاص رجمًا حتى الموت : عدم إنجاز أى عمل يوم السبت ، وقد تجرأ المسيح وشفى امرأة حدباء يوم السبت مما جعل اليهود ينتقدونه ، ولكنه تغلب عليهم بالحجة والبرهان ، ويقول لوقا عن ذلك « (١٠) وكان يعلم «أى المسيح » فى أحد المجامع فى السبت (١١) وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة ، وكانت نحيفة ولم تقدر أن تذهب البتة (١٢) ... (١٣) ووضع عليها يديه ففى الحال استقامت ومجدت الله » [لوقا ١٣].

وهنا اعترض رئيس المجمع على شفائها يوم السبت فقال له المسيح « (١٥) ... يا مرائى ، ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره من المزود ويمضى به ويسقيه؟

٣ ـ شفاء نازفة الدم وإقامة ابنة رئيس المجمع :

جاءت هاتان المعجزتان فى أناجيل : متى ومرقص ولوقا [1] ومما جاء فى متى؛ أن رئيسا قد جاء وسجد للمسيح قائلا « (١٨) ... إن ابنتى الآن ماتت ، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا (١٩)...(٢٠) فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه ، (٢٠) وإذ امرأة نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة قد جاءت من ورائه وحست هدب ثوبه (٢١) لأنها قالت فى

(١) متى٩ : ١٨ ـ ٢٦ ، ومرقص ٥ : ٢١ـ٤٣، ولوقا ٨: ٤٠ ـ ٥٦ .

نفسها : إن مسست ثوبه فقط شفيت (٢٢) فالتفت يسوع وأبصرها ، فقال: « ثقى يا ابنة إيمانك قد شفاك ، فشفيت المرأة من تلك الساعة » [متى ٩] .

أما بالنسبة لابنة الرئيس فقد قال عنها المسيح : « (٢٤) . . . فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة ، فضحكوا عليه (٢٥) فلما أخرج الجمع دخل وأمسك يدها ، فقامت الصبية » .

٤ ـ شفاء حماة بطرس :

ذهب المسيح لبيت بطرس وهناك انتظرته مفاجأة « (١٤) . . . رأى جماته مطروحة ومحمومة (١٥) فلمس يدها فتركتها الحمى ، فقامت وخدمتهم » [متى٨: ١٤ـ ١٥ ، ومرقص ١: ٢٩ ـ ٣٤ ، ولوقا ٤ : ٣٨ ـ ٤١] .

٥ ـ أرملة نايين التى أحيا المسيح وحيدها :

ذهب المسيح مع تلاميذه إلى مدينة تسمى نايين وعلى أبواب هذه المدينة يقول لوقا:

«(١٢) فلما اقترب إلى باب المدينة ، إذا ميت محمول ، ابن وحيد لأمه وهى أرملة. . . (١٣) فلما رآها الرب تحنن عليها ، وقال لها : لا تبكى (١٤) ثم تقدم ولمس النعش ، فوقف الحاملون ، فقال : أيها الميت ، لك أقول : قم (١٥) فجلس الميت وابتدأ يتكلم ، فدفعه إلى أمه (١٦) فأخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه » [لوقا ٧].

٦ ـ مرثا ومريم اللتان أحيا لهما المسيح أخا :

إن القصة تمثل إحدى معجزات المسيح وهى إحياء الموتى ، ولكن قوتها كمعجزة : أن الإحياء كان بعد الموت بأربعة أيام ، وقال يوحنا فى إنجيله عن ذلك :

« (١) وكان إنسان مريضا وهو لعاذر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها . (٢) وكانت مريم التى كان لعاذر أخاها مريضا هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها (٣) فأرسلت الأختان إليه قائلين : يا سيد هو ذا الذى تحبه مريض (٤) فلما سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به (٥) وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعاذر » [يوحنا ١١ : ١ـ٥] .

هذا وقد مات لعاذر « (١٧) فلما أتى يسوع وجد أن قد صار له أربعة أيام فى القبر (١٨). . . (١٩) وكان كثيرون من اليهود قد جاؤوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن

أخيهما . . » [يوحنا ١١ : ١٧ ـ ١٩] .

لما علم يسوع بموت لعاذر انزعج « (٣٨) . . . وجاء إلى القبر وكان مغاره وقد وضع عليه حجر (٣٩) قال يسوع : ارفعوا الحجر ، قالت له مرثا أخت الميت : يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام . (٤٠) قال لها يسوع : ألم أقل لك : إن آمنت ترين مجد الله (٤١) فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيا الأب أشكرك لأنك سمعت لى (٤٢) وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى (٤٣) ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعاذر هلم خارجًا (٤٤) فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع جلوه ودعوه يذهب . (٤٥) فكثيرون من اليهود الذين جاؤوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به » [يوحنا١١ : ٣٨ ـ ٤٥] .

وهذه الفقرات توضح أن المسيح أحيا هذا الميت باسم الله حيث قال : « أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى (٤٢) أنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى » [يوحنا١١ : ٤١ـ٤٢] وتعبير : أنك فى كل حين تسمع لى يوضح أن كل المعجزات التى أقامها المسيح كلها من عند الله وبأمر ، وأنه ـ أى المسيح ـ رسول الله وليس هو الله أو جزء منه «أقنوم».

ولمريم أخت لعاذر قصة إنجيلية أخر ى هى دهن السيح بالدهن غالى الثمن .

« (١) ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعاذر الميت الذى أقامه من الأموات (٢) فصنعوا له هناك عشاء . وكانت مرثا تخدم وأما لعاذر فكان أحد المتكئين معه (٣) فأخذت مريم منًّا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها ، فامتلأت البيت من رائحة الطيب (٤) فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الإسخريوطى المزمع أن يسلمه : لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعط للفقراء . . . (٧) فقال يسوع : اتركوها إنها ليوم تكفينى قد حفظته (٨) لأن الفقراء معكم فى كل حين . وأما أنا فلست معكم كل حين» [يوحنا ١٢ : ١ـ٨] .

المبحث الرابع
نساء صالحات فى حياة المسيح

١ ـ امرأة زكريا وأم يوحنا :

قصة امرأة عاقر كافأها الله هى وزوجها فأعطاها ولدا باراً نبيا وجاءت البشارة فى إنجيل لوقا ومنها :

« (٥) كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات (٦) وكان كلاهما بارين أمام الله ، سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم (٧) ولم يكن لهما ولد ، إذ كانت اليصابات عاقرا ، وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما » [لوقا ١] .

ملاك الرب يبشر زكريا بالولد :

« (٨) فظهر ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور ... (١٢) فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف (١٣) فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا (١٤) ويكون لك فرح وابتهاج ... (١٥) لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يُشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس» [لوقا ١] .

زكريا يتعجب كيف ينجب فى هذا السن المتأخر :

« (١٨) فقال زكريا للملاك : كيف أعلم هذا ، لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها (١٩) فأجاب الملاك وقال : أنا جبرائيل الواقف أمام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا (٢٠) وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا» [لوقا : ١] .

مريم العذراء تزور قريبتها الياصبات :

« (٤٠) ودخلت « مريم » بيت زكريا وسلمت على الياصابات (٤١) فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها ، وامتلأت اليصابات من الروح القدس

(٤٢) وصرخت بصوت عظيم وقالت : مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك» [لوقا ١] .

اليصابات تلد ويفرح لها الجميع « (٥٧) وأما الياصابات فتم زفافها فولدت ابنًا (٥٨) وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ، ففرحوا معها» [لوقا ١] .

وبعد الولادة وثامن يوم عند تسمية المولود تكلم زكريا وقرر تسمية ابنه يحيى «(١٤) وفى الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله » [لوقا ١] .

٢ ـ أم ابنى زبدى وطلبها العجيب :

إن جميع الأمهات وكل الآباء يريدون لأولادهم حياة كريمة فى الدنيا ، ولكن الكثير منهم ـ للأسف ـ ينسى أن يُعد أبناءه لحياة أطول وأكرم وأبقى فى الآخرة ، وعلى ذلك فقد ينسى أن يدعو لهما بالفلاح والنجاح فى الآخرة .

ولكن زوجة زبدى التى كان لها ولدان آمنت بنبوة المسيح ـ لا إلوهيته ـ فطلبت منه « (٢١) . . قل أن يجلس ابناى هذان واحدًا عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك (٢٢) فأجاب يسوع وقال : لستما تعلمان ما تطلبان ، أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أستطيع بها أنا ؟ قالا له : « نستطيع» (٢٣) فقال لهما : أما كأس فستشربانها ، وبالصبغة التى اصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى » [متى ٢٠، ومرقص ١٠ : ٣٥ ـ ٤٥] .

٣ ـ المرأة الفقيرة التى تبرعت بفلسين :

يحكى لنا لوقا أن المسيح كان فى الهيكل ، فرأى الناس تلقى بأموال التبرعات فى خزينة الهيكل وكان مما حدث :

« (١) وتطلع فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم فى الخزانة، (٢) ورأى أيضا أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين (٣) فقال : بالحق أقول لكم : إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع (٤) لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا فى قرابين الله ، وأما هذه فمن أعوازها ، ألقت كل المعيشة التى لها » [لوقا ٢١] .

إنها مثال صادق ودائم للإيمان بالله والتضحية بكل ما تملك فى سبيل الله ، فهى أرملة وعجوز وفقيرة جدًا ومحتاجة « فمن أعوازها » ومع ذلك تبرعت بكل ما تملك

وجاءت القصة أيضا فى [إنجيل مرقص ١٢ : ٤١ ـ ٤٤] .

٤ ـ امرأة بيلاطس ونصيحتها لزوجها :

إنها قصة امرأة لم تؤمن بالمسيح ولم تعتنق المسيحية ، ولكنها أوصت زوجها الحاكم بيلاطس فقالت له :

« إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » [متى ٢٧ : ١٩].

ويقول عنها القس « إلياس مقار » (١) :

أليس للمرأة أن تتيه وتفخر على الرجل كلما قرأت قصة الإنجيل أليس لها وهى توازن بينها وبين الرجل فى علاقتهما بالمسيح أن تشيد ترنما لأنها عاملته معاملة أحسن وأنبل وأجل ؟! لقي المسيح من الرجال فصولا متعددة ليس فيها ما يشرف الرجولة فى شيء!! وجد منهم من تبعه قليلا ثم ارتد عنه ، من أكل خبزه ثم رفع عقبه عليه ، من ضفر له إكليل الشوك وألبسه رداء السخرية ، وتفل عليه ومثل به أجل « رأى المسيح من الرجال الهازئ والساخر ومنكر الجميل ، وحتى تلاميذه الأوفياء ابتعدوا عنه وولوا يوم الصليب . وأشجعهم أقسم أنه ما عرفه أو اتصل به (٢) ، أما المرأة فما أجلها وأنبلها وأرقها وألطفها فى معاملتها له ! وهل تجد امرأة واحدة فى كل الإنجيل امتهنته أو احتقرته أو أساءت إليه؟! كلا ، لقد وجد منهن كل ولاء وتوقير وتعبد ، وجدهن دائما أقرب إليه وإلى قلبه وفكره ومشاعره وإحساسه ، فى بيت سمعان الفريسى وجد من الرجل خشونته ومن المرأة تعبدها ، وفى بيت سمعان الأبرص أبصر من التلاميذ غيظهم ومن مريم طيبها ، وأورشليم ، تلك المدينة الخالدة فى مأساتها الآثمة الشريرة ، ألم نسمع رجالها يقولون أصلبه » بينما سارت بناتها وراءه حزينات باكيات يلطمن وينحن عليه .

٥ ـ نساء حضرن موت المسيح ودفنه وقيامته :

أ ـ النساء عند موت المسيح (٣) :

متى ٢٧ « (٥٥) وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد ، وهن كن قد تبعن

---

(١) القس إلياس مقار : نساء الكتاب المقدس ص ٢٦٣.

(٢) يقصد بطرس الذى أنكر معرفته بالمسيح ثلاث مرات.

(٣) أود أن أذكر القارئ أننى لا أناقش وقائع أو عقائد من حيث صحتها أو عدم صحتها ، ولكن أذكر ما جاء بالأناجيل ، ولا يخفى عليكم أن الإسلام لا يؤمن بصلب وقيامة المسيح لقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

يسوع من الجليل يحدثنه ، (٥٦) وبينهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب ويوس ، وأم ابنى زبدى » [1] .

ب ـ النساء عند دفن المسيح :

« (٦١) وكانت هناك « عند الدفن » مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر » [متى ٢٧: ٦١] [2] .

جـ ـ النساء عند قيامة المسيح :

« (١) وبعد السبت ، عند فجر أول الأسبوع ، جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر » [متى ٢٨ : ١] .

د ـ النساء أول من قابلن المسيح عند قيامته من الأموات :

« (٩) وفيما هما منطلقتان ليخبرا تلاميذه إذ يسوع لاقاهما وقال: سلام لكما ، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له (١٠) فقال لهما يسوع : لا تخافا ، اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل ، وهناك يروننى » [متى ٢٨: ٩ـ١٠] .

(١) انظر : مرقص ١٥ : ٤٠ ـ ٤١ .
(٢) انظر : مرقص ١٥ : ٤٧ .

المبحث الخامس
نساء فى حياة بولس الرسول

١ ـ نساء خدمن بولس فأوصى بهن وحياهن

أ ـ ليديا تؤمن ببولس وتستضيفه :

فى فيلبى أقام بولس أياما للدعوة وكلم النساء : « (١٤) فكانت تسمع امرأة اسمها « ليديا » بياعة أرجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله ، ففتح الرب قلبها لتصغى إلى ما كان يقوله بولس (١٥) فلما اعتمدت هى وأهل بيتها طلبت قائلة : إن كنتم قد حكمتم أنى مؤمنة بالرب ، فادخلوا بيتى وامكثوا فألزمتنا » [أعمال الرسل : ١٦ : ١٤ ، ١٥].

ب ـ نساء خدمن بولس الرسول وأكرمهن بالتوصية والسلام :

١ ـ فيبى :

« (١) أوصى إليكم بأختنا فيبى ، التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا ، (٢) كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسيين ، وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته منكم ، لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضا » [رومية ١٦].

٢ ـ بريسيكلا وأكيلا :

« سلموا على بريسيكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع ، (٤) اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي ، اللذين لست أنا وحدى أشكرهما بل أيضا جميع كنائس العالم» [رومية ١٦ ، ٣ـ٤] .

٣ ـ مريم :

« سلموا لى على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا » [رومية ١٦ : ٦].

٤ ـ تريفينا وتريفوسنا :

« سلموا على تريفينا وتريفوسنا التاعبتين فى الرب » [رومية ٦ : ١٢].

٥ ـ برسيس :

« سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب » [رومية ٦ : ١٢].

٦ ـ أم روفس :

« سلموا على روفس المختار من الرب ، وعلى أمه أمى» [رومية ٦ : ١٣].

٢ ـ المرأة العرافة وبولس :

معجزة خاصة لبولس الرسول تمت بإخراج روح عرافة من جارية ، وذلك باسم المسيح ، وقد تم ذلك فى مدينة فيلبى :

« (١٦) وحدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة أن جارية بها روح عرافة استقبلتنا ، وكانت تكسب مواليها مكسبا كثيرا بعرافتها (١٧) وهذه اتبعت بولس وإيانا وصرخت قائلة : هؤلاء الناس هم عبيد الله العلى الذين ينادون لكم بطريق الخلاص (١٨) وكانت تفعل ذلك أياما كثيرة ، فضجر بولس والتفت إلى الروح وقال : أنا آمرك باسم يسوع المسيح ، أن تخرج منها ، فخرج فى تلك الساعة » [أعمال الرسل ١٦: ١٦ـ١٨].

الفصل الثالث

نساء أنزل الله فيهن أو بسببهن قرآنا

توطئة :

تضمن القرآن الكريم العديد من النساء ، ولكن لم يُصرح فيه بأسمائهن جميعا إلا واحدة وهى السيدة مريم العذراء البتول التى ذكرت ٣١ مرة بالاسم الصريح وثلاث مرات بالإشارة والتلميح [١] .

ومن النساء الصالحات ـ وليس كلهن : زوج آدم ، مريم ابنة عمران ، امرأة عمران، أم السيدة مريم ، امرأة فرعون.

وأمهات المؤمنين : عائشة ، وحفصة ، وزينب بنت جحش ـ رضى الله عنهن ـ وزوجة سيدنا إبراهيم ، وأم وأخت وزوجة سيدنا موسى ، وزوجة سيدنا زكريا ، وزوجة سيدنا أيوب ، وملكة سبأ ، والمجادلة «خولة بنت ثعلبة» ، والواهبة نفسها للنبى ﷺ « أكثر من واحدة » وغيرهن الكثيرات .

وسنلحق بهن امرأة عزيز مصر فاختلفت الروايات فيها ، منها أنها لم تؤمن « ابن القيم » ومنها أنها آمنت « سيد قطب » ومن المفسرين « الزمخشرى ، وابن كثير وغيرهما» مَنْ يرى أن التوبة والمغفرة من كلام سيدنا يوسف وليس كلام امرأة العزيز .

هذا وسنبدأ دراستنا هذه بالصالحات أولاً وأولهن أم البشر «حواء » ، ثم السيدة مريم العذراء البتول ووالدتها ، ثم آسية زوجة فرعون . . . إلخ .

وفى نهاية الدراسة سنتكلم عن النساء العاصيات فى القرآن الكريم ، وهن قلة : امرأتا نبى الله نوح ، ونبى الله لوط ، وامرأة أبى لهب عم الرسول ﷺ ، وسنلحق بهن بعض ما أنزل فيهن أحكامًا تشريعية لاقتراف بعض الذنوب والخطايا .

---

(١) ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) ﴾ [المائدة].

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١) ﴾ [الأنبياء] .

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) ﴾ [مريم] .

المبحث الأول

النساء الصالحات فى القرآن الكريم

١ ـ حواء فى القرآن الكريم :

لم يرد اسم حواء نهائيا بالقرآن الكريم ، ولكن وصفت بزوجة آدم عليه السلام فقال تعالى فى خلقها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [النساء] .

ومن الآية يتبين أن آدم خُلق أولا ثم خلقت منه حواء ، فالأصل آدم ، ولذلك فحق القيادة للأصل وهذا أمر مقبول عقلاً ومشاهد موضوعا .

ومما يؤكد ذلك أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ولم تكن قد خلقت منه حواء حيث قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ﴾ [الحجر] .

فهنا الأمر بالسجود كان بمجرد اكتمال خلق آدم وبعد نفخه الروح فيه ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ [الحجر] .

إذن حواء لم تكن خلقت بعد ، وأكد الحق تبارك وتعالى ذلك فسأل إبليس عن عدم سجوده لما خلق من طين فكانت الإجابة : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾ [الأعراف] .

ومن ذلك يتضح أنه لم تنشأ علاقة كراهية وبُغض وحسد بين حواء والشيطان بل

كانت بدايتها بين آدم والشيطان الرجيم ، كما يلاحظ أن شرف آدم بالعلم فى البداية وتحدى به الملائكة فقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾ [البقرة] .

إذن يُميز آدم عن حواء قبل خلقها بعدة مزايا منها :

١ ـ أنه أصل خلقها فهى جزء منه .

٢ ـ أسجد الله الملائكة له، على سبيل التكريم له وعلى سبيل التعظيم لقدرة الله.

٣ ـ أعطى الله آدم ميزة التعليم الإلهى وتنمية القدرات العقلية والفكرية ، حتى يعده لمهمة العناء والشقاء فى الأرض .

علاقة آدم بزوجه فى الجنة :

أمر الحق جل وعلا آدم بالسكن فى الجنة ومعه زوجه ، وأعطى لهما الحق فى الاستمتاع بكل أطايبها ما عدا شجرة واحدة لم يحدد القرآن نوعها ، فقال تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾ [البقرة] .

الأمر كان لآدم ومعه زوجه كرفيقة ، وفحواه الاستمتاع بحياتهما فى الجنة والنهى كان لكليهما ، وهذه حكمة إلهية يوضح فيها الله عز وجل : أن الصلاح أو الفساد سيكون شركة بين الاثنين ومسؤولية مشتركة وإن كانت القيادة للرجل ، فالله هنا لم ينكر أن صلاح المرأة قد يفيد بل سيفيد حتما زوجها وهذا تكريم لها .

أول خطيئة بشرية وعلاقتها بحواء :

أوضح الإسلام وأجلى حقيقة أول خطيئة للبشر ، فأوضح أنها لم تكن بدافع من ذات آدم وزوجه ، بل كانت بحيلة وكذب ودهاء من الشيطان الذى سبق أن توعد آدم وكل ذريته عندما تسلل الحقد إلى نفسه فقال لربه : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾ [الحجر] .

وكل هذه العداوة منشؤها الحسد ، ويظهر ذلك جليا فى قول إبليس لله : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء] ، وقد ملك البغض والحسد والكراهية إبليس حتى أنه أقسم بربه على أن يضل الإنسان ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص] وعلى ذلك أعد إبليس خططه لبداية الحرب العالمية الحقيقية مع الإنسان ، والتى بدأت بمجرد خلقه ولن تنتهى إلا بنهاية الإنسان على الأرض .

بداية إغواء الشيطان لآدم وزوجه :

بدأت البداية فى الجنة ، حيث تسبب الشيطان فى أول ذلة لآدم وزوجه معا ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة] ، وتجدر الإشارة إلى أن الغواية والوقوع فى الخطأ كان لآدم وحواء على حد سواء ، ولأن آدم القائد وله حق القوامة فذلته أكبر من حواء حيث يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه] .

والآية توضح التماس بعض الوزر لآدم لأنه لطبيعته البشرية مُعرض للنسيان خاصة وهو فى عز وراحة ورفاهية الجنة ، كما أنه كان ضعيف العزم لقلة خبرته بالحياة ولشدة غواية الشيطان له ولزوجه ، والتى بلغت أقصاها فى القسم ، أى الحلف بأنه لهما من الناصحين .

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف] .

ثم وسوس لآدم مرة أخرى فقال : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه] .

ومن الآيات يتبين لنا ما يلى :

١ ـ أن آدم وزوجه حواء مسؤولان عن أول خطيئة للبشر ، والمسؤولية وإن كانت

مشتركة إلا أن آدم له منها النصيب الأوفر بصفته القائد .

٢ ـ أن الشيطان استغل أحقر أساليب الغواية والتى تنم عن تخليه عن شرفه وكبريائه ، وهو القسم لكليهما أنه من الناصحين ، وقد لا يتخيل آدم ـ والكثير منا ـ أن من يقسم بالله يسمح لنفسه بالكذب .

٣ ـ استغل الشيطان قلة خبرة آدم وزوجه بالحياة ، وطبيعة النسيان ، وتكرار الأقوال « الوسوسة » حتى يوقع بهما فى حبائل مكيدته .

٤ ـ استغل الشيطان ضعف النفس البشرية المتمثل فى حب الرُّقى وعشق الملك والسلطة والرغبة الشديدة فى الخلود ، فجعل كل ذلك من أسلحته الفتاكة لكسب معركته مع الإنسان ، وما زال هذا السلاح قائما وسيظل .

جزاء معصية آدم وحواء معا :

إن الذنوب مظهرات البلايا ، والعثرات كاشفات الستور ، ولا توجد فضيحة إلا بسبب معصية ، وهذه سنة الله فى خلقه ، فكان جزاء آدم وحواء من ذلك .

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢] .

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[طه: ١٢١] .

ويقول العلماء ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ [الأعراف: ٢٢] بدأ آدم وزوجه يخرجان الفضلات من بول وغيره ، وبدأت تظهر الرغبات الجنسية .

ويقول القرطبى : « يروى أن آدم عليه السلام لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف على أشجار الجنة يسل منها ورقه يغطى بها عورته ، هذا وقد تقبل الله التوبة ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه].

وباستعراض آيات القرآن الكريم يتضح :

أن حواء ليست مسؤولة عن المعصية وإن كانت شريكة فيها ، وهى استوجبت العقاب الإلهى مساواة لآدم تماما ، بل إن مسؤولية آدم عن هذه الذلة أكبر لأنه القائد والأصل وصاحب القوامة والعلم .

الطرد من الجنة ونعيمها واستمرار عداوة الشيطان للإنسان :

كان آدم وزوجه فى نعيم مقيم وراحة وسعادة بالغة فى الجنة حيث كانت كما قال لهم ربهم : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) ﴾ [طه] .

فكان من جزاء المعصية الطرد من هذا النعيم وكتابة الشقاء فى الدنيا لآدم وذريته واستمرار العداء بين الإنسان والشيطان أول عدو له ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾ [الأعراف] .

توبة آدم وحواء معًا :

خطيئة آدم وزوجه لم تكن مفاجأة لخالقهما : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ [الملك] فهو أعلم بطبيعة الإنسان وتعرضه للنسيان كما نسى آدم .

كما يعلم الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شيء ما تعرض له آدم من ضغوط وصلت لأن يقسم الشيطان بالله كذبا أنه مخلص فى نصيحته لآدم وزوجه ، ولذلك بمجرد اكتشاب آدم وزوجه لخديعة الشيطان وأنهما قد ذلا ، وهذه الخطيئة استوجبت عقاب الله لهما بالإخراج من الجنة والشقاء فى الأرض ، ومداومة الحرب ضد الشيطان ثم الموت والفناء ، ندما على ما اقترفاه بشأن معصية أمر الله ، فتقدما بالتوبة الخالصة الصادقة وهذه التوبة كانت لكليهما معا ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف].

٢ ـ السيدة مريم العذراء ووالدتها زوجة عمران رضى الله عنهما :

مجد القرآن الكريم السيدة مريم العذراء أم المسيح ﷺ وأعلى من شأنها وفاقت فى ذلك كل نساء العالمين فقد جاء على لسان الملائكة ـ الذين لا يكذبون أو ينافقون ـ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾ [آل عمران] .

وهذا التكريم لا لكونها أم إله ـ كما يدعى المسيحيون ـ ولكن لكونها أم نبى من

أولى العزم صاحب كتاب سماوى - الإنجيل الأصلى - حيث يقول جل شأنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾ [المائدة] .

وقد شاركت السُّنة المطهرة القرآن الكريم فى إعلاء شأن السيدة مريم ، فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ »(١) .

وكان من أسباب تكريمها أيضا حسُن العبادة ، حتى أنه تبارك وتعالى كان يرزقها فى محرابها من فضله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾ [آل عمران] .

وقد بشرها ربها بميلاد المسيح عليه السلام أكثر من مرة ، وذلك لعظم الحدث وقوة معجزة لم تحدث من قبل فقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾ [آل عمران

فتعجبت من تلك البشرى العجيبة التى لم يألفها البشر ، فتساءلت ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) ﴾ [آل عمران] .

وقد بشرها جبريل مرة أخرى بهذا الميلاد المعجز فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ﴾

(١) رواه الترمذى وأحمد وابن حبان والحاكم .

[مريم] اتخذت السيدة مريم ، مكانا شاسعًا منعزلاً ، كى تستر فى عبادتها وتكون خالصة لوجه الله ، فأرسل الله لها جبريل عليه السلام على صورة إنسان كامل تام ، فظنت أنه يبغى لها سوءًا فاستعاذت منه مذكرة إياه بضرورة تقوى الله ، ولعل كلماتها ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ تجلى لنا الحقائق التالية :

١ ـ أول أسلحتها للدفاع عن نفسها الاستعانة بقوة الله .

٢ ـ أوضحت لمن ظنت به السوء ضرورة تقوى الله ، وقد توسمتها فيه .

فكان جواب جبريل : ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ فأزال عنها الخوف فهو حامل رسالة من الله ، أما فحوى هذه الرسالة ، فهى مولد غلام طاهر مطهر ، ولكن يخطم البشرى وقوة المفاجأة أدى إلى تساؤلها فى دهشة : كيف ألد أنا العذراء الطاهرة ولم يمسسنى بشر، ولم أكن صاحبة هوى أو لذة محرمة ؟ فكان الجواب : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم] .

فالقرآن الكريم شهد لها بالصلاح والتقوى ، وكذلك بالطهارة والقداسة ، وأوضح معجزة ولادتها التى أكملت دائرة معجزات الله فى خلقه (١) .

٣ ـ أم السيدة مريم زوجة عمران :

كانت أم مريم زوجة عمران عاقراً لا تلد ، فنذرت لله إن وهبها ذكرا لوهبته لخدمة بيت القدس ، فأجاب الله أمنيتها ووهبها جارية ، فتساءلت : كيف تستطيع الوفاء بالنذر والمرأة لا تستطيع الخدمة من مشقة وجلد وعناء وعبادة قويمة ، فاعتذرت لربها ظانة أنه لن يقبل وفاء النذر بفتاة ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران] .

ولإخلاص النية فى النذر ، تقبل الله مريم لتفى بنذر أمها : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا

---

(١) خلق الله آدم بلا أب أو أم ، وخلق حواء بأب بلا أم ، وجعل من يشاء عقيمًا لا ولد له ، ووهب للعاقر العجوز الولد وحتى يستكمل قدرة الله خلق عيسى من أم بلا أب فقال تعالى : ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء] .

بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران]، وقد شهد الله بصلاح آل عمران جميعا واكتمال شرفهم وعزتهم وطهارتهم فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران] وجاء بالقرآن الكريم سورة كاملة من السور الطوال باسم آل عمران رضي الله عنهم جميعا نساءً ورجالا .

٤ ـ زوجة فرعون السيدة آسية :

إن المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى بزوجة فرعون هو مثل لكل المؤمنين ، بأن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره طالما أنه لا يعتقد فى رأيه، ولا يعمل عمله ، ولا يقتفى أثره ، فها هى امرأة فرعون تبرأت من الحياة الممتعة فى القصور ، وتنصلت من انتمائها إلى الطاغية ، فارة إلى الله سبحانه وتعالى ، فكانت أنموذجا عاليا فى التجرد له سبحانه ومن التخلص من كل المؤثرات والمغريات .

وهى التى أقنعت فرعون بعدم قتل موسى الرضيع حينما التقطه آل فرعون من اليم وقامت بتبنيه والصرف عليه حينما أعاده الله سبحانه وتعالى إلى أمه بقبوله الرضاعة منها.

وقام فرعون بتعذيب زوجه ، لكنها صبرت واحتسبت ، ودعت الله سبحانه وتعالى أن يكتبها من الناجين من براثن فرعون وزبانيته ، وأن يبنى لها بيتا فى الجنة ، قال العلماء : إنها رأيت بيتها فى الجنة ، فضحكت حين رأته ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها! إنا نعذبها وهى تضحك ، فقبض الله روحها فى الجنة.

ولقد خلدها تعالى بأن جعلها قرينة مريم فى القرآن الذى يتلى ليلاً ونهاراً فى طول الدنيا وعرضها لقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم] .

٥ ـ امرأتا إبراهيم عليه السلام :

إنها قصة المرأة الصابرة التى ضحت بجزء من سعادتها ليهنأ زوجها وينجب من غيرها باختيارها ، فقد كانت سارة عاقراً ، وعندما امتد العمر بزوجها إبراهيم « عليه السلام »

زوجته من جاريتها هاجر لتحقق له أمنية الإنجاب ، فشاء الله لها أن تنجب اثنين من الذكور ، وقد جاءت قصة هذا الميلاد المعجز نظرا لكبر سن إبراهيم ﷺ في أكثر من آية منها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات] .

ويكمن سر إعجاز هذه البشرى بميلاد ابنين في قول سارة : يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب ، وكذلك في قولها : عجوز عقيم ، فهذه أسباب ثلاثة لاستحالة الإنجاب : كبر سنها ، وكبر سن زوجها ، وفي الأصل هي عاقر ، ولكن هل يعجز الله عن خلق ما يشاء ورزق من يشاء ؟!

أما هاجر أم نبي الله إسماعيل ، فهي الأخرى لم يأت ذكرها في القرآن صريحا ، ولكن جاء ضمنا في قوله تعالى عن إبراهيم ﷺ ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم] .

وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس قال : أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت . . . وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء . . . فقالت له سارة : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت .

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى . . فوجدت الصفا أقرب جبل

فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل تري أحدًا ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادى رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها ، ونظرت : هل ترى أحدًا، فلم تر أحدًا ، فعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس ، قال النبى ﷺ : «فلذلك سعى الناس بينهما» [1] وفى النهاية فجر الله زمزم من تحت أرجل الوليد .

وهنا يتجلى فى سارة أم إسماعيل المثل الأعلى فى الصبر والامتثال لأمر الله وطاعة الزوج والتوكل على الله ، ثقة منها فى رحمته ، وأيضا رحمة وبر وحنان الوالدة بوليدها ، واستعدادها للتضحية بنفسها لتوفير الرعاية والحنان له وتربيته تربية سليمة ، وهذا هو واجب المرأة الأول والأساسى والذى خلقت من أجله ، فهى لم تخلق للكد والشقاء فى العمل خارج عشها ، ولكن للعمل والكد داخل محيط محلتها وهى أسرتها.

٦ ـ امرأة عزيز مصر وقصتها مع يوسف عليه السلام :

جاءت قصة يوسف عليه السلام فى سورة كاملة سميت باسمه فى القرآن الكريم ، ويعد إنزال هذه السورة على رسوله ﷺ دليل صدق الوحى إليه فقال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

وقصة امرأة العزيز مع يوسف توضح حال عشق المرأة إذا أحبت واشتهت وصممت على غواية الحبيب والإيقاع به ، وهى فى الوقت نفسه توضح كيف تحولت مكيدتها ليوسف إلى اعتراف بالذنب والندم عليه .

ولن نخوض فى قصته مع إخوته ، ولكننا سنبدأ من نهاية رحلته إلى مصر وتربيته فى منزل عزيز مصر الذى أوصى امرأته به قائلا : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف] ، وكبر الصبى وأصبح رجلاً أوتى من الجمال ما لم يؤت غيره ومن قوة الشخصية والعلم ما أفاء الله له به ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف] .

وكانت النتيجة الحتمية حبا جارفا ، وطلب شهوة عارمة لا تبقي ولا تذر من المرأة التى تربى فى كنفها ، ومن ثم أعطت لنفسها الحق فى التمتع بشبابه وبجماله ﴿ وَرَاوَدَتْهُ

(١) قصص الأنبياء : الحافظ ابن كثير ، دار اليقين ص ١٩٧ ، ١٩٨.

الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف] .

هى راودت أى استعملت كل أسلحة المرأة من تلميح وتصريح وإغواء وتزيين ، ولكنه رفض ، مخافة ربه وخالقه ، واحتراما لمن أكرم مثواه : أى جعله فى رفاهية ورغد من العيش . أما هى فحاولت اغتصابه وهيأت لذلك وغلقت الأبواب لتنفرد به ، ولكنه تركها وهب هاربًا مخترقا الأبواب ، وإذا به يجد رب المنزل ، فادعت امرأة العزيز أن يوسف حاول إغواءها والإيقاع بها ، وشك فى الأمر ، فأرادت حماية عرض قد حاولت التفريط فيه ، وسمعة أوصدت بسببها الأبواب ، وقررت أن تكون هى الضحية ثم القاضية فقالت لزوجها كتبها : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف] .

ويلاحظ أنها لم تحكم عليه بالموت لشدة حبها له ، وهى ما تزال تطمع فيه ، ونظرًا لحُسن خلق يوسف والشك فى نية وصدق المرأة ودفاع يوسف عن نفسه ، استدعى من يتحقق من الأمر ، وكان المحقق من أهلها ، ولكنه صادق الحكم ، فقرر أنها هى التى أساءته ، والدليل : أن هرب وحاولت الإمساك به فمزقت قميصه من الخلف .

وعلى ذلك أمرها قريبها أن تتوب إلى رشدها وتستغفر الله ، ولكنها لم تفعل فالهوى قد ملكها حتى كاد أن يرديها فى الخطيئة وهى ما زالت عاقدة العزم على نيل مرادها من يوسف ﷺ ، فذاع الخبر وانتشر ولاكته الألسن وصار حديث النساء المفضل ، فأرادت أن تُعذر فيما فعلته فدعت النساء ذوات الشأن فى المدينة لوليمة ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ

﴿ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف].

وهنا تجرأت على إظهار الحق فقالت لهن بعد أن أكلتهم الحيرة ، وملكتهم الدهشة لشبابه وجماله حتى وصفوه بأنه ملك كريم ، وقطعن أيديهن وهن لا يشعرن بألم السكين ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف] .

إنها مازالت مصرة ومصممة على نيل مرادها ، حتى هددته بالسجن إن لم يفعل بها الفاحشة ، فكان الجواب الثاني : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف] .

يلاحظ : أن عشق يوسف والطمع فيه أصبح ظاهرة تفشت فى ما عاينه من نسوة؛ لأنه قال : ﴿ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ فالدعوة أصبحت جماعية ، حتى أنه خاف من الضعف الإنسانى ، وخشى كيد وفتنة النساء فاستعان بالله ليعرف عنه كيدهن واستجاب الله له الدعاء.

وعلى ذلك دخل يوسف السجن ، فقد فضل سجن الدنيا على سجن الآخرة ، وفى النهاية خرج يوسف ﷺ من السجن ، وكرجل شريف فاضل أزال عنه كل شك فيما اتهم بشأنه ودخل بسببه السجن ظلما فقال الرسول الملك : ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يوسف] فسأل الملك عن حقيقة الأمر فكان رد النسوة ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾

[يوسف : ٥١]

أما امرأة العزيز قالت : ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ أى ظهر وتبين ووضح ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف] .

ويلاحظ : أن من العلماء والمفسرين من نسب الآيتين : ٥٢ ، ٥٣ لامرأة العزيز ، وبالتالى شهد لها بالتوبة وطلب مغفرة الله وعفوه وعلى ذلك فهى من الصالحات ، وآخرين قالوا : إن هذه الآيات من قول يوسف ﷺ ، وعلى ذلك فلا دليل على الندم والتوبة والعودة لله .

والراجح من سياق الآيات أنه كلام امرأة العزيز ، كما أن يوسف حتى التلفظ بهذه الأقوال لم يكن قد خرج من السجن ، لأن الآية بعدها ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤] وعلى ذلك فقد اعتبرتها من التائبات الصالحات فالعبرة بالخواتيم .

٧ ـ أم موسى عليه السلام وأخته :

كان اليهود في عهد ميلاد موسى عليه السلام وقبل ذلك أمة مستضعفة لفرعون والمصريين، فكان منهم الخدم والعبيد بعد أن كانوا في عزة في حمى يوسف عليه السلام خاف منهم فرعون وقومه ، وخشوا كثرة عددهم ، فقد كانوا يتنسالون بسرعة عجيبة وقدرة متزايدة ، فقرر فرعون قتل مواليد اليهود الذكور عاما ، واستبقاءهم آخر حتى يحد من عدد الرجال مستقبلا وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص] .

وقد ولد موسى عليه السلام في عام قتل المواليد الذكور ، فخافت عليه أمه القتل ، فأوحى الله إلى أمه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص] .

وجاء في تفسير الجلالين عن ذلك : ﴿ وَأَوْحَيْنَا ﴾ وحى إلهام أو منام ﴿ إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته إلا اخته ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ البحر أى النيل ، ولا تخافى غرقه ولا تحزنى لفراقه ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص].

فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكى وخافت عليه فوضعته فى تابوت مطلى بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته فى البحر » .

وهذه الآية الكريمة هى قمة البلاغة وآية البيان ، فهى تشتمل على أمرين ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ ، ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ ، وعلى نهيين ﴿ وَلَا تَخَافِي ﴾ ، ﴿ وَلَا تَحْزَنِي ﴾ ، وعلى بشرتين ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ ، ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وشاءت حكمة الله أن يؤتى فرعون من مكمنة ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص] .

فعثرت عليه امرأة فرعون فاستبشرت به خيرا ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي

وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القصص] .

ومن الآية يتبين أن امرأة فرعون «آسيا» عرفت أنه «عبرى» «يهودى» ولكن ما فى فؤادها من حنان وحب له ولغيره ، طلبت ألا يقتل ، كما اتخذته كولد ، وأن فرعون لم يرتض أن يتبناه . أما الأم الحقيقية التى حملت ووضعت وذاب قلبها لفراق وليدها الغير مأمون العواقب فقد وصفها الله تعالى فقال : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص] .

وهنا بالرغم من وحى الله لها بنجاته وإرساله كنبى ورسول إلا أن حنان المرأة كأم لا يدانيه حنان ، ولولا تقوية الله لقلبها ومنحها الشجاعة من عنده لصرخت قائلة : هذا وليدى !!

ثم جاء دور المرأة الحانية الرؤوف الأخرى وهى الأخت ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [القصص] راقبت مسار الوليد وعلمت مثواه، ثم ذهبت ناصحة لأهل القصر : إنى أعلم مرضعة عظيمة له سوف يقبل لبنها وإن لم يتقبله من أخريات ، وهكذا عاد الوليد إلى أمه فى ظل حماية عدوه الأول وهو فرعون.

وهكذا تبدو شجاعة المرأة المملوءة بالحنان والعطف والرحمة لوليدها كأم ، وشجاعة الأخت وتعرضها للخطر فى سبيل رعاية الأخ الأصغر ونجاته .

وهذه هى مهام المرأة الأساسية فى الحياة ، فهى خلقت من الرجل لتكون منه ، لا لتكون ندًا له .

٨ ـ امرأة موسى ﷺ وأختها(١) :

ترجع أهمية هذه القصة بما فيها من نساء : أنها تمثل شريعة عمل المرأة وما تحتويه من أسس ومبادئ علمية وأخلاقية ، فقد خرج موسى ﷺ هاربًا من وجه فرعون وقومه ، حتى وصل أرض مدين ، منهك القوى ، ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١] ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القصص] .

لم يكن بأرض مدين أو حول هذا البئر من هو أشد خطبًا من موسى ﷺ فهو

(١) حيث اختلف المفسرون فى الإسلام فى اسم والد البيتين حيث قيل : إنه نبى الله شعيب وقيل : ثيرون، وقيل: يثرى ، فقد آثرنا كرم ذكر اسمه.

طريد يترقب القبض عليه وعقابه وهو فقير ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) ﴾ [القصص] ، ولا عائل له ولا عمل يتكسب منه . ومع كل ذلك فقد تعجب من خروج المرأتين لهذا العمل المضنى ، واعتبر ذلك مصيبة فقال لهما : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ [القصص: ٢٣] وهاتان البنتان أدركتا ما هم به من خطب - مصيبة - فسارعتا بإجابة توضح أنهما فوق كل شبهة ، وأن عملهما لحاجة وسبب قوى وشرعي ، وأنهما فى مزاولة هذا العمل لم يزاحما الرجال واحترمتا أنوثتهما فقالتا : ﴿لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ [القصص: ٢٣]، وهذا هو الشق الأخلاقى الكريم .

أما سبب الخروج للعمل ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾ [القصص] فلم يكن هناك فى العائلة من يستحق التكليف بهذا العمل أو من يستطيعه ، وهذا من منهج الإسلام فى ضرورة عمل المرأة وآداب العمل .

المهم ساعدهما موسى وهو لا يبتغى أجراً سوى مساعدة الضعيف ، وحفظ كرامة المرأتين ، ولم يستغل ذلك فى التودد لهما أو التقرب إليهما ، وقد قصت المرأتان قصة هذا الغريب ومساعدته لهما بأدب جم واحترام وافر ، فأرسل يستدعيه ، ويظهر أدب المرأة الواجب تخلقها به حتى لو غادرت بيتها ، وتركت حضنها وخدرها ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) ﴾ [القصص] .

خافت المرأة عند رجوعها أن يظن بها هذا الغريب أى ظن سوء ، فجاءت ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ ، إن المشى أو السير يكون على الأرض ولكن التعبير القرآنى يوضح أنها من فرط الحياء كانت لا تحس بخطواتها على الأرض ، فقد تملكها الحياء من قمة الرأس إلى الأرض التى تسير عليها ، وقبل أن يتكلم موسى بادرته قائلة ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥] وانتهت الرسالة ، فمن حسن الحياء الكلام بقدر وعند الاقتضاء فقط .

ذهب موسى معها ومن كلام أبيها معه تنبأت إحدى الابنتين أن والدها سيستعين به فى العمل ويأويه ويحميه ﴿قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) ﴾ [القصص] ، فلم تشأ أن يعيش معهما أو بالقرب إلا رجل فاضل هم جميعا فى الحاجة إليه فنطقت بأسمى حكمة لتنظيم العمل والعمالة فقالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦) ﴾ [القصص] .

وكان هذا الأب الحكيم يبغى الزوج الصالح لبناته وينتظره بفارغ الصبر ، وخاف وجود غريب وسط ابنتيه فقال له : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) ﴾ [القصص] وقد وافق موسى على الاتفاق فقال: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) ﴾ [القصص] .

وقد أوفى كلاهما باتفاقه فعمل موسى لدى حميه عشر سنوات كاملة وهى أوفى الأجلين كما جاء بأحاديث رسول الله ﷺ والقصة توضح آداب العمل ، وما يجب أن تتخلق به النساء من حكمة وحياء وأدب موفور .

٩ ـ امرأة زكريا عليه السلام :

إنها لحقًا قصة الأمل الذى لا ينتهى ، والأمل الذى لا تخبو جذوته فمولد يحيى عليه السلام لهو بحق دليل لا يقبل الشك على قدرة الله لا فى إنجاب الولد من الطاعنين فى السن ، بل قدرة الله على إحياء العظام وهى رميم .

وقصة زكريا وزوجته أعظم من قصة إبراهيم عليه السلام وزوجته ، فزكريا عليه السلام أكبر سنا من إبراهيم عليه السلام كما أن الله وهبه الولد استجابة لدعاء ، أما إبراهيم فلم يرد فى القرآن ما يفيد أنه دعا ربه ، فهو قد سبق له الإنجاب من السيدة هاجر .

والقصة بدايتها إيمانية خالصة ، فعند زيارة زكريا للسيدة مريم العذراء وجد لديها معجزة لم يسبق له ملاحظتها ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾ [آل عمران]

هذا توهجت حقيقة أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فى قلبه فسارع بالدعاء ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)﴾ [آل عمران] » فها هو يدعو بالذرية الطيبة ويثق فى قدرة الله على الاستجابة ، وها هو مرة أخرى يوضح هدفه وغايته من طلب الذرية ، ويبين ألا قدرة على تحقيق هذه الرغبة واستجابة ذلك الدعاء إلا الله فقط ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) ﴾ [مريم] .

إن إدراك بلاغة القرآن الكريم فى بيان حال زكريا عند طمعه فى الولد لأمر عجز عن بيانه كل الكتب السماوية «المحرفة الحالية» وغيرها، فها هو زكريا يصف نفسه «بوهن

العظم منه » لقد بلى العظم الذى لا يبلى إلا فى القبور نتيجة لكبر السن وما تبعه من ضعف وفتور ، وها هو الرأس أصبح أبيض حتى وكأنه من ضياء نار مشتعلة ، ولكن ظل الأمل فى الولد والثقة الكاملة فى استجابة الله لدعائه ، وهو لا يريد إلا استمرار النبوة والرسالة فى آل يعقوب وخاف تفرق قومه من بعده وضلالهم .

وكانت البشرى قوية قوة الدعاء ، صادقة صدق الثقة بالله ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم] .

كذلك نادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ، ومع هذه البشارات إلا أن هول المفاجأة السارة أنساه أنه دعا ربه موضحا له حاله من الضعف والشيب والكبر العاتى فتعجب من قبول الدعاء قائلا لربه :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾ [مريم] . كذلك ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آل عمران] .

وهنا تجلت قدرة الله التى سبق أن آمن بها زكريا ويؤمن بها كل من شهد بالله ربا ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ ﴾ [مريم] ، وكذلك ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آل عمران] .

أما عن زوجته فقال تعالى عنها : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء] ، كما أوصى الله يحيى بوالديه ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ [مريم] فالوصية شملت الزوجة لسابقة صلاحها ، وهل هناك تزكية لصلاح امرأة تفوق شهادة الله لها! .

١٠ ـ زوجة أيوب عليه السلام :

إنها مثال المرأة الصابرة ، التى تحملت مرض زوجها فلم تهجره ، وضحت من أجله بجزء من أغلى ما تملك المرأة وهو جمالها ، فكانت لزوجها فى السراء السكن والسعادة ، وفى الضراء الرحمة والرأفة ، بل والمعينة على إطعامه والسهر عليه .

وقد جاء ذكر امرأة أيوب فى قوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص] .

جاء ذكرها ضمن « أهله » فهى من الأهل ، وجاء أيضا فى ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب ﴾ وهى المقصودة بالضرب .

ومن المعلوم أنه قد ضرب بأيوب المثل فى الصبر على الابتلاء ، وبلغ من درجة الابتلاء تخلى الأهل والأصدقاء والندماء عنه ، واعتبروا شدته بعد نعيم ، وفقره بعد غنى ، ومرضه بعد صحة ، وذلته بعد عزه « دليل غضب الله ، لا دليل ابتلاء وامتحان واختبار ، ولم يصبر معه فى شدته إلا زوجته « فإنها كانت لا تفارقه صباحا ولا مساءاً إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود قريبا ، فلما طال المطال ، واشتد الحال ، وانتهى القدر، وتم الأجل ، تضرع لرب العالمين وإله المرسلين فقال : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء] (١) .

إنه دعاء بأدب جم ، فلم يشكُ حاله لربه ضر الشكوى ، بل قال : مسنى أى نالنى اليسير القليل من الضر ، ولولا طمعى فى الرحمة لما طلبتها ، وكيف لا أطمعها وأنت أرحم الراحمين . وقد قيل : إن أيوب « كان قد غضب على زوجته ووجد عليها فى أمر فعلته ، قيل : باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربها مائة جلدة » (٢) .

فلما شفى أراد أن يفى بنذره وقد ندم عليه ، فزوجه لا تستحق منه الضرب بل الوفاء، فأفتاه الله عز وجل ؛ أن يأخذ حزمة من الخوص أو ما شابهه ، بها مائة قضيب ويضرب بها زوجته ضربة واحدة برفق ، فيكون قد أوفى بنذره ولم يعرضها لأذى لا تستحقه .

إن الله المطلع على أعمال العباد لم يغب عن علمه ما فعلته الزوجة الصالحة من بر وصلاح وتضحية مع زوج مقعد نال منه المرض والفقر والشقاء « فخفف عنها الضرر وجعلها قدوة وعبرة للصالحات من نساء العالمين .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٠ .
(٢) المرجع السابق ٤ / ٤١ .

١١ ـ ملكة سبأ « بلقيس » :

إذا جاز لنا أن نصف امرأة ملكت قومها فأحسنت القيادة وكَمُلَ عقلها : فكان لها الريادة ، وتعالت حكمتها فأحسنت المشورة ، ونضج وعيها فآمنت بالله ربا وبسليمان نبيا مبعوثا من الله ، لما نازعت امرأة ملكة سبأ فى ذلك . وقيل : إن اسمها : بلقيس، وفقًا لما ذكره التاريخ وما جاء بالتوراة ـ كما سبق الإيضاح ـ فى قصتها مع سليمان ، وإن لم تبلغ القصة عظمتها فى التوراة كما جاءت فى القرآن الكريم ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم والدين الإسلامى لا يهضم حق المرأة إن أجادت واستحقت الإشادة .

وقد جاء بسورة النمل قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام ونذكر منها ـ وليس كلها.

١ ـ عظمة ملكها وقوتها :

قال الهدهد موضحا لسليمان عليه السلام بشأنها :

﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾ [النمل] .

والآيات توضح أنها ملكة مدينة سبأ العظيمة ، وأن مملكتها واسعة الحدود ، مترامية الأطراف ، وافرة الخيرات ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، إنها صاحبة عرش عظيم.

٢ ـ كان يعيب هذه الملكة عبادة الشمس من دون الله :

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)﴾ وهنا تعجب الهدهد وهو طائر خفيف اللحم ، كثير الريش كيف يتسنى لعقلاء عبادة غير الله الذى لا يغيب عن علمه شيء فى الأرض أو فى السماء ، وحيث إنه سبق أن وصف عرشها فقال : ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾ [النمل] ، فقد أوضح تفرد الله فى ملكه فقال عنه : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴾ [النمل] .

فقرر سليمان دعوة هذه الأمة التى تملكها امرأة ذات شأن توسم فيها الخير كله فقال

للهدهد : ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾ [النمل].

٣ ـ حكمة بلقيس فى إدارة ملكها :

أ ـ استشارت أهل العلم والحكمة والشورى فقالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) ﴾ [النمل] ، وكان حكم هذه المرأة العاقلة ينم عن سعة أفقها واكتمال ذكائها ووافر فطنتها حيث وصفت الكتاب بأنه «كريم» ، وذلك لأن مرسله اختصر هدف الرسالة وأوضح غرضه منها وهو ليس بغرض مادى أو دنيوى ، بل دعوة إلى الله ربه الذى يعبده ولذلك قال : ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) ﴾ [النمل].

ب ـ استحيى سليمان الملك ذائع الصيت القوى المهاب ، الذى سُخر له الريح والجن أن يذكر أى صفة عظمة له قبل إلهه وخالقه فقال : ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ ﴾ ثم أوضح أسمى صفات إلهه ومعبوده وأنه يتكلم باسمه فقال : ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل] ، فذكر رحمة الله الشاملة الكاملة فى الدنيا والآخرة ، ثم بعد ذلك ذكر قوته الشخصية كملك فقال : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾ [النمل] .

وهذه الآيات توضح لقومها خطورة طلب سليمان « عليه السلام » وإصراره على إيمانهم بربه ، وقدرته على عقابهم إن لم يسلموا لله معه . ولأهمية قرار الحرب استشارتهم ، ليتحملوا نتيجة القرار معها فقالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) ﴾ [النمل] .

٤ ـ رأى المستشارين وإيمانهم بحكمتها :

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) ﴾ [النمل] . وهنا يظهر الإيمان العميق من أولى الأمر فى مملكتها فيما تملكه من حكمة وحسن إدارة وتمكن من الملك واتخاذ القرار .

٥ ـ حكمة بلقيس البالغة فى اتباع السليم ودراسة أمر عدو محتمل :

أعلنت هذه الملكة العظيمة لقومها خطورة التسرع وخوض غمار حرب لا يؤمن عواقبها ، كما أرادت أن تذكرهم بأن القادة والوزراء والأغنياء وأولى الأمر هم أول من يضار من نتائج الهزيمة فقالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) ﴾ [النمل] .

إنها سُنة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو البشر وعلى ذلك لجأت للحيلة

واختبار النوايا ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل] ، فإن كان سليمان يريد مالاً فقد بذلته ، وإن كان يريد نشر دين وشريعة ومنهج ، فالأمر يستحق الدراسة ، فكان رد سليمان ﷺ : ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النمل] وهنا تبين للرسل صدق الدعوة لله لا للمال ، وبين لهم سليمان عليه السلام إصراره على إيمانهم بربه فقال للرسل : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النمل]

٦ ـ زيارة بلقيس لسليمان ﷺ :

ما زالت هذه المرأة العظيمة والحاكمة المُجيدة ، لا ترغب فى حرب تأكدت من خسارتها لا محالة ، فلجأت إلى آخر وسيلة قد تكف عنها ويلات الحرب ، وقررت زيارة سليمان ﷺ فى ملكه لتهدئة الأوضاع أو التفاوض أو استخدام سلاح الضعف والقوة معا وهو سحر المرأة .

وأراد سليمان أن يثبت لها قدرة ومقدرة إلهه بمعجزة لا تستوعبها العقول مهما كمُلت ، وهذه المعجزة هى إحضار عرشها العظيم «كرس الملك» قبل وصولها هى نفسها للقائه ، هذا وقد استطاع سليمان ﷺ أن يأتى بعرشها بواسطة أحد الصالحين ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النمل] .

٧ ـ إيمان بلقيس بالله ونبذها ما كانت تبعد من دونه :

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل] لم تصدق المرأة أن هذا العرش هو ذاته عرشها فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل : ٤٢] ، ولكن تسلل إلى قلبها بعض الإيمان الذى لم يستطع بسهولة نزع معبودها السابق .

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) ﴾ [النمل] .

ومن ثم كان لابد من انتزاع معبودها من قلبها وإفساحه لله رب العالمين ، وقد استوجب ذلك معجزة أخرى ليس لها شبيه يُمكن أن يتبادر إلى الذهن كعرشها ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ [النمل] فهذه المرأة الفاضلة الكاملة أوتيت مُلكا وحكمة ثم اهتديت بحكمتها وعقلها إلى الله رب العالمين .

١٢ ـ زوجة الرسول ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها :

هى أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنه تزوجها رسول الله ﷺ بمكة وهى بنت سبع سنين ودخل بها المدينة المنورة بنت تسع أو عشر ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت من أحب زوجاته ، روى عنها البخارى فى صحيحه (٢٤٢) حديثا ، تربت فى منزل النبوة ، وعاينت الوحى ، وتزودت من سنة الرسول ﷺ فوسع علمها وفاض فقهها حتى كانت مرجعا للصحابة بعد موت رسول الله ﷺ .

ولم تذكر بالاسم فى القرآن الكريم ، ولكن جاء ذكرها تلميحا لا تصريحا فى حادثة أو حديث الإفك الذى جاءت قصته فى القرآن الكريم لتكون شاهدة على ألوهية وحيه وصدق تنزيله فقال تعالى فى ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾ [النور].

ويقول ابن كثير فى تفسيره :

« هذه العشر الآيات كلها نزلت فى شأن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحث والفرية ، التى غار الله عز وجل لها ولنبيه ﷺ ، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ » .

والقصة مختصرة : أن السيدة عائشة ﵂ خرجت فى غزوة بنى المصطلق مع رسول الله ﷺ ، وبعد الانتهاء من الغزوة أذن الرسول ﷺ بالراحة والمبيت ليلة فى الطريق ، فخرجت السيدة عائشة لقضاء بعض حاجتها ، وعندما رجعت تبين لها ضياع عقد كانت ترتديه ، فرجعت تبحث عنه ، وتأخرت فى البحث ، فظن المكلفون بهودجها أنها فيه ، فرحلوا وبعد أن وجدت العقد رجعت فلم تجد أحدًا فى معسكر رسول الله ، فقد ارتحلوا ، فظلت جالسة فى موضعها لعل القوم يكتشفون غيابها فيرجعون لالتماسها والبحث عنها ، فرآها صحابى جليل هو : صفوان بن المعطل السلمى وكان يعرفها قبل الحجاب ، فحملها على بعيره ليلحقها برسول الله ﷺ ورجاله، وانتهزت ألسن السوء هذه الواقعة ، فلاكت فى سيرة عائشة ﵂ وطعنوا فى شرف الرسول ﷺ ونالوا من كرامة الصديق ، وتولى هذا الأمر رأس المنافقين عبد الله ابن أبى بن سلول ، والسيدة عائشة لا تعلم شيئا مما مس سمعتها كذبًا ونفاقًا ، فمرضت شهرا أو نحوه وهى لا تدرى ما يقال عنها ، ولكنها تعجبت من تغيير معاملة الرسول ﷺ فكان يعودها قائلا : « كيف تيكم » أى كيف شأنكم ، وفى ليلة علمت من « أم مسطح» ما يقال عنها ، فاستأذنت الرسول فى الإقامة لفترة نقاهة فى منزل أبويها فأذن لهما، فسألت أمها عن حقيقة الأمر: أمتاه ما يتحدث الناس به ؟ فقالت : أى بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها «تريد نسب الكلام إلى الضرائر لتهون الأمر عند عائشة وتبرر حدوثه » قالت : فقلت : سبحان الله أو قد تحدث الناس بها ؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكى ، وقد تحقق رسول الله ﷺ من براءتها وخطب فى الناس مشيدًا بها وبصفوان » وفى النهاية قال لها الرسول ﷺ : « إن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله لذنبك » ، فأنكرت ما قيل عنها وقالت: والله لا أجد لكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١٨) ﴾ [يوسف] ، فأنزل الله براءتها بقرآن يقرأ إلى يوم الدين .

١٣ ـ أم المؤمنين السيدة حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب :

إن هذه السيدة الكريمة الأصل والمكرمة الزوج ، لهى المثال الحى والباقى الدائم ، لقوة الإيمان وصدق العقيدة ، والصبر على الشدائد ، والثبات على الموقف ، فقد هجرت الأهل والوطن وهاجرت فى سبيل الدعوة إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش ، الذى تخلى عن قومه ووطنه ثم عن دينه واعتنق المسيحية ومات عليها ، وقد طلب منها أن تتبع دينه فرضت بإباءة وشمم وهجرته بشركه ، فأصبحت فى أرض الغربة لا معين لها من أهل وهى ابنة شريف من شرفاء مكة المعدودين ، ولا عائل لها أو سكن، فقد هجرت زوجها بعد تنصره ، ومع ذلك لم يتزعزع منها الإيمان ولم تيأس من رحمة الله ، وأيقنت أن جزاء الإحسان لا يكون إلا بمثله ، فصبرت وصابرت ، وجاهدت ولم تجهد حتى خطبها رسول الله ﷺ وهى فى غربتها وزوجها له ملك الحبشة النجاشى وأنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الممتحنة] .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير الآيات : « عادى المسلمون أقرباءهم من المشركين ، فعلم الله شدة وبعد المسلمين فى ذلك فنزلت ، وهذا بأن يسلم الكافر ، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون : كأبى سفيان بن حرب والحارث بن هشام . . . وقيل : المودة : تزويج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلانت عند ذلك عريكة أبى سفيان ، واسترخت شكيمته فى العداوة ، وكانت هى وزوجها ـ عبد الله بن جحش ـ من مهاجرة الحبشة ، فأما زوجها فتنصر وسألها أن تتابعه على دينه فأبت ، وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانية فبعث النبى ﷺ إلى النجاشى فخطبها . . . وأمهرها من عنده أربعمائة دينار . . . فقال أبو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج النبى ﷺ ابنته : ذلك الفحل لا يقدع أنفه : أى لا يضرب أنفه ، وذلك إذا كان كريما» .

وقال ابن كثير فى تفسيره من مقاتل بن حيان : « إن هذه الآية نزلت فى أبى سفيان ـ صخر بن حرب ـ فإن رسول الله تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه» .

وقد حَسُنَ وصدق إسلام أبى سفيان بن حرب حتى أنه جاء عن ابن عباس ﷺ : إن أبا سفيان قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال : « نعم » قال :

تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » قال : ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال : « نعم » قال : وعندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها .

١٤ـ زينب بنت جحش ﷺ ابنة عمة رسول الله ﷺ :

هى ابنة عمة رسول الله ﷺ ، وقد تزوجت زيد بن ثابت مولى رسول الله ﷺ ، وقد خطبها له الرسول ﷺ حيث كان من أحب الناس إليه ، فقد كان الناس ينادونه بابن محمد .

ولكن الرجل لم يكن من أمنيات زينب ، وكانت ترى أنه أقل منها منزلة فى النسب، فهى سيدة أبناء عبد شمس ولها من الجمال ما يؤهلها لاختيار ما تشاء من الرجال، ولكنها كمؤمنة لم ترد رسول الله ﷺ طلبًا ، لعل وعسى حُسن العِشرة والأيام الهنيئة أن تولد فى قلبها حبًا خاصًا وإعزازًا لزوجها زيد ، ولكن تبين بعد الزواج استحالة اللقاء ، وصعوبة الرضا ، فأخذت تترفع على زوجها وتذكر فضل نسبها وقيمة جمالها . ومن ثم ساءت العلاقة الزوجية ، فبدأت المودة والرحمة تضيع سوى ، فذهب زيد يشكو أمرها إلى رسول الله ويستشيره فى طلاقها ، وتعلم رسول الله ﷺ أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، فكان يقول له : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

ولكن زيدا صمم على الطلاق ونفذه ، فلما انقضت عدتها قال الرسول ﷺ لزيد: «ذكرها عليّ » أى اخطبها لى » قال: فانطلقت ، قلت : يا زينب أبشرى أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، أى يريد خطبتك ، فقالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربى وقامت إلى مسجدها (١) .

ويرجع طلب زينب لأمر الله فى زواجها ؛ أن العرب كانت تُحرم زواج التبنى من زوجة متبناه حيث كانوا يعتبرونهم كوالد وولده ، فأنزل الله تبارك وتعالي قوله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) ﴾ [الأحزاب] .

---

(١) اخرجه احمد ٣/ ١٩ ، ومسلم (١٤٢٨).

الحكمة من هذا الزواج :

١ ـ كراهية الطلاق ومحاولة الاصلاح بين الزوجين قدر الإمكان .

٢ ـ الرسول ﷺ كان يعلم أن الله قد كتب له الزواج من زينب ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] .

ومع ذلك خشى تقول الناس عليه والادعاء بأنه قد تزوج بزوجة متبناه ، وهذا ما حدث فعلاً رغم تشريع الله بصحة هذا الزواج ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) ﴾ [الأحزاب] . ومع هذا فقد خاض المنافقون فى ذلك فقالوا : كيف ينهانا محمد عن زوجات الأبناء ويتزوج هو زوجة ابنه بالتبنى فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

ثم حرم الله التبنى بمعنى إلحاق الرجل من يرعاه ويتكفل بتربيته باسمه واسم عائلته كابن شرعى من الصلب فقال تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥) ﴾ [الأحزاب] . وقد أكد الله تشريعه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ﴾ [الأحزاب] .

ونود الإيضاح : إن الإسلام لم يمنع كفالة اليتيم وحُسن تربيته كالولد تماما ، ولكنه منع إلحاق اسم المتبنى باسم ولقب مُتبنيه ، حتى لا تختلط الأنساب . هذا وما زال أعداء الإسلام ليومنا هذا يطعنون فى هذا الزواج التشريعى الذى نظم أمور التبنى فى الإسلام فأجلاها كحقيقة وأوضحها كتشريع.

والجدير بالذكر أن آيات الحجاب أنزلت أيضا بسبب زينب بنت جحش ، فقد احتفل الرسول ﷺ بزواجه من زينب فأطعم الخبز واللحم ، ويقول أنس فى ذلك : ولقد رأيتنا حين دخل عليها « زينب » رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس ـ يريد بعد الأكل ـ وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام . . . فنزلت آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ

فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب] (١) .

١٥ ـ مارية القبطية سرية الرسول ﷺ وبعض نسائه :

إن من عظمة القرآن الكريم وصدق وحيه ، ما جاء بين دفتيه من حقائق توضح وتبرز أغوار النفس الإنسانية وإن كانت لبعض أزواج رسول الله ﷺ .

وقد جاء فى مطلع سورة التحريم ما يفيد ذلك ويجليه حتى تعرف تمام المعرفة : أن أغلب طبائع النساء ثابتة ، ومن الصعب أو المستحيل نزعها من أعماق المرأة حتى لو كانت زوجة لرسول الله وأم المؤمنين حيث قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴿١﴾ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ﴿٢﴾ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ﴿٣﴾ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿٤﴾ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ﴿٥﴾ ﴾ [التحريم] .

وهذه الآيات الكريمات المعجزات كان لها أكثر من سبب للتنزيل وهى كلها تشير إلى ما يحدث للمرأة إذا تمكنت منها الغيرة ، ومن هذه الأسباب وفقًا لما جاء بتفسير ابن كثير:

١ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : بدء الحديث فى شأن أم إبراهيم مارية أصابها النبى ﷺ فى بيت حفصة فى نوبتها فوجدت حفصة «أى غضبت وكتمت غيظها»، فقالت : يا رسول الله ، لقد جئت إلىَّ شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك فى يومى وفى دورى وعلى فراش قال : « ألا ترضين أن إحرمها فلا أقربها » ، قالت : بل فحرمها ، وقال لها : « لا تذكرى ذلك لأحد ، فذكرته لعائشة » فأظهره الله عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ... ﴾ الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله ﷺ

---

(١) رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا : د / عبد الرحمن عميرة ١/ ١٣٧ ، ١٣٨ ، بتصرف يسير .

كفر عن يمينه وأصاب جاريته .

٢ ـ قال البخارى فى كتاب الطلاق . . . عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس « مكث عندها » أكثر مما كان يحتبس ، فغرت فسألت عن ذلك ، فقيل لى : أهدت لها امرأة من قومها بمكة عسلا ، فسقيت النبى ﷺ منه شربة ، فقلت : أما والله لنحتا لن له ، فقلت لسودة بنت زمعة : إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولى : أكلت مغافير « زهر منكر الرائحة قد يتغذى عليه النحل» فإنه سيقول لك : لا ، فقولى له : ما هذه الريح التى أجد ، فإنه سيقول لك : سقتنى حفصة شربة عسل ، فقولى : جرست نحلة العرفط ، وأقول ذلك « وقولى له أنت يا صفية ذلك .

المهم أن الخطة نجحت فظن الرسول ﷺ أن سبب هذه الريح الخبيثة هو العسل ، فحرم على نفسه أكل العسل فأنزلت الآيات .

٣ ـ وجاء فى تفسير القرطبى :

أن الرسول ﷺ لما حرم على نفسه سريته مارية القبطية ، وقال لزوجه حفصة بنت عمر : « لا تذكريه لأحد » فذكرته لعائشة ، فآلى لا يدخل على نسائه شهراً ، فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم :١].

وعند الجمع بين هذه الأحاديث الخاصة بأسباب النزول يتضح إنها جميعا متفقة على أن التحريم كان نتيجة لحيلة نسائية أفرزتها غيرة نساء النبى ، وهذا الأمر وإن كان متفشيًا بين النساء فى كل زمان ومكان ، إلا أنه لا يليق بنساء النبى اللائى لسن كباقى النساء ، وعلى ذلك ، فقد استوجب هذا التدبير التوبة : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ٤] .

وإن عادوا إلى الحيلة والتضامن ضد رسول الله ﷺ فإن الله ناصره وجبريل والمؤمنين والملائكة ، وفى حالة عدم التوبة أو العودة فيجوز للرسول ﷺ طلاق نسائه واستبدالهن بما شاء من نساء عذراوات أو ثيبات وكلهن مسلمات مؤمنات عابدات .

١٦ ـ زوجات رسول الله ﷺ وقد وهبن أنفسهن له ﷺ :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ

وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٠)﴾ [الأحزاب] .

يقول ابن كثير فى تفسير ذلك :

قال مجاهد وغير واحد : قد كان مهره ﷺ لنسائه اثنتى عشرة أوقية ونشا وهو نصف الأوقية . . . إلا أم حبيبة بنت أبى سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشى رحمه الله أربعمائة دينار ، وإلا صفية بنت حيى فإنه اصطفاها من سبى خيبر ، ثم أعتقها وجعل عتقها وصداقها ، وكذلك جويرية بنت الحارث أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها . . . وقد أباح لك التسرى مما أخذت من الغنائم ، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام وكانتا من السرارى رضى الله عنهما .

وقوله تعالى : ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فهذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط ، بمعنى أن الله أحل الزواج من هؤلاء .

وعن قتادة قال : ﴿ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب : ٥٠] أى أسلمن . . وقوله تعالى ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ﴾ [الأحزاب : ٥٠] أى ويحل لك أيها النبى المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر .

أما من عرضن أنفسهن على الرسول ﷺ فهن أكثر من واحدة ، طمعت فى أن تكون أما للمؤمنين ، منهن خولة بنت حكيم ، ويؤكد هذه الكثرة حديث عائشة ﷺ: كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها لرجل ! حتى أنزل الله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ [الأحزاب: ٥١] فقلت : والله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك [١] .

ويستطرد الطبرى فيقول : روى البخارى عن عائشة أنها قالت : كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ . . . وقيل: الموهوبات أربع : ميمونة

---

(١) تفسير الطبرى والحديث رواه مسلم .

بنت الحارث ، زينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية ، وأم شريك بنت جابر ، وخولة بنت حكيم .

١٧ ـ خولة بنت ثعلبة ﷺ :

إنها قصة المودة والرحمة فى أسمى معانيها ، ممزوجة بفضيلة الخوف من الله والحرص على رضاه والتمسك بتنفيذ شريعته .

كانت زوجة لصحابى جليل هو أوس بن الصامت ، الذى كان ابن عم زوجه خولة، وعاشا فترة الشباب كأسعد زوجين ، ثم أصابه الكبر والضعف وأصيب بلمم، فتشاجر مع امرأته مرة فقال لها : أنت على كظهر أمى ، ثم دعاها دعوة الرجل لزوجته فرفضت لسابق قوله ، فخافت استجابة دعوته ، فقد يكون فى قوله لها : أنت على كظهر أمى ما يستوجب التحريم .

فذهبت لتسفتى الرسول ﷺ وهو فى بيت عائشة فقالت: يا رسول الله ، إن أوسًا من قد عرفت ، أبو ولدى وابن عمى، وأحب الناس إلى ، وقد عرفت ما يصيبه من اللمم وعجزمقدرته وضعف قوته وعى لسانه وقد قال كلمة ، والذى أنزل عليك الكتاب بالحق ما ذكر طلاقا ، قال : أنت على كظهر أمى ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أراك إلا قد حرمت عليه ».

فلم تقتنع المرأة بالفتوى وحكم الرسول وجادلته مرارا ، ثم قالت : اللهم إنى أشكو إليك شدة وجدى وما شق على من فراقه اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج ، وكانت المرأة فى غاية التأثر حتى أن عائشة ومن كن معها بكين من شدة التأثر فالمرأة تريد إرضاء زوجها مع سنه المتقدم ، ولا تريد غضب ربها للكلمة التى قالها الزوج ، ورحمة من الله بعباده أنزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① ﴾ [المجادلة] .

ثم بين حكم الظهار فى باقى الآيات ، فرجعت المرأة إلى زوجها وبيتها هنيئة مرضية، بعد أن نفذت أحكام الله فى الظهار ، ومن العجيب أنها يوما قابلت عمر بن الخطاب ﷺ وهو أمير المؤمنين ، فسلم عليها عمر ﷺ وردت عليه السلام . ثم قالت له : هيهات يا عمر ، عهدتك وأنت تسمى عميراً فى سوق عكاظ ؛ ترعى الضأن بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف

الموت خشى عليه الفوت ، فقال الجارود وكان يصحب عمر رضي الله عنه : قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين ، فقال عمر رضي الله عنه : دعها أما تعرفها ، فهذه خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت ؛ التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، فعمر والله أحق أن يسمع لها (١) .

١٨ ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضي الله عنها :

أسلمت وهاجرت بعيداً عن أعين قريش ، فتركت وطنها فى مكة المكرمة وهاجرت إلى المدينة المنورة ، وكان رسول الله ﷺ قد عاهد قريشًا برد كل من يلجأ إليه مهاجراً من مكة إلى المدينة .

وعلى ذلك انطلق أخواها الوليد وعمارة ليرجعانها وقالا لرسول الله ﷺ : يا محمد ، ف لنا بشرطنا وما تعاهدنا عليه معك . . . وقالت المرأة : إنما أنا امرأة ، وحال النساء كما علمت ـ تريد أنها امرأة ضعيفة ، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) ﴾ [الممتحنة].

فقال الرسول ﷺ لأخويها : « قد نقض الله العهد فى النساء » .

١٩ ـ امرأة قيس بن صرمة الأنصارى وغيرها :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

وهذه الآية من آيات الرفق والرحمة بالمسلمين رجالاً ونساءً فقد جاء فى تفسير الطبرى :

« روى البخارى عن البراء قال : كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى ، وأن قيس بن

---

(١) انظر كتابنا : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ص١٥٩ ، ١٦٠ ، دار الوفاء بالمنصورة .

صرمة الأنصارى كان صائما ـ وفى رواية : كان يعمل فى النخيل بالنهار وكان صائما ـ فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك . . . فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك ، فلما انتصف النهار غشى عليه ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ ففرحوا فرحا شديدا ، فنزلت : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] » .

وفى البخارى أيضا عن البراء قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان رجال يخونون أنفسهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

٢٠ ـ أخوات جابر بن عبد الله ﷺ وعنهن :

يقول الصحابى الجليل جابر بن عبد الله ﷺ :

مرضت فأتانى النبى ﷺ هو وأبو بكر وهما ماشيان ، فوجدانى قد أغمى على ، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب على من وضوئه ، فأفقت فقلت : يا رسول الله ، كيف أقضى فى مالى ؟ أو كيف أصنع فى مالى ؟ وكان لى تسع أخوات ولم يكن له والد ولا ولد قال : فلم يجبنى شيئا فنزلت آية الميراث : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦) ﴾ [النساء] (١) .

ومعنى الكلالة : من يموت ولا ولد له أو والد .

ويلاحظ أن جابر بن عبد الله شفى من مرضه وتزوج وأنجب بعد مدة من الزمن ، ويبدو ذلك جليا فى قوله فى حديث آخر : ولى تسع أخوات أو سبع . كما أن الرسول قال له فى حديث آخر : « لا أراك ميتا من وجعك هذا » .

٢١ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ :

روى الإمام أحمد بسنده عن أنس ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب

---

(١) رجال ونساء أنزل الله فيهن قرآنا ٦ / ١٧٣ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٤٦٥ .

فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول : « الصلاة يا أهل البيت ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » [1] .

فأنزلت الآيات : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب] .

ويرى بعض العلماء أن نساء رسول الله يدخلن في معنى : أهل البيت حيث إن بداية الآيات ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب] .

٢٢ ـ امرأة سعد بن الربيع وابنتاها رضي الله عنهن :

جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى الرسول ﷺ فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع أبوهما قاتل معك واستشهد في « أحد » ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ، ولا تنكحان إلا ولهما مال ، فقال ﷺ : « يقضي الله في ذلك » ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ [النساء] .

فأرسل الرسول ﷺ إلى عمهما وقال : « أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك » [2] .

٢٣ ـ أخت معقل بن يسار رضي الله عنهما :

عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلا من المسلمين على عهد رسول الله فكانت عنده ما كانت ، ثم طلقها تطليقة ، لم يراجعها حتى انقضت عدتها ، فهويها وهوته ،

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) ابن كثير ١/ ٤٣٣ .

ثم خطبها مع الخطاب ، فقال له أخوها : أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ، والله لا ترجع لك أبدًا ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾ [البقرة] .

فلما سمعها معقل قال : سمعًا لربي وطاعة ، ثم زوجها لزوجها ، وقيل : إن اسمها جميلة بنت يسار ، وقيل : أنزلت في جابر بن عبد الله وابنة عم له ، والصحيح الأول والله أعلم (١) .

٢٤ ـ أمة عبد الله بن رواحة ﷺ :

عبد الله بن رواحة صحابي جليل كانت له أمة سوداء ، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها ، فقال له النبي ﷺ : « ما هي يا عبد الله ؟ » يريد أن يتعرف على درجة تقواها ، فقال : يا رسول الله هي تصوم وتصلي ،وتحسن الوضوء ، وتشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، فقال له الرسول ﷺ : « يا عبد الله هذه مؤمنة » ، فقال عبد الله : فوالذي بعثك بالحق نبيا لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل ، فطعن عليه ناس من المسلمين ذلك ، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (٢) [البقرة : ٢٢١] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٧ بتصرف يسير ، ومرجعه صحيح البخاري .
(٢) رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا ٢/ ١٣٢ .

المبحث الثانى
العاصيات فى القرآن الكريم

أعز الله المرأة فى قرآنه الكريم ، فلم يذكر من العاصيات إلا ثلاثًا هن : زوجتا نبيين مرسلين وزوجة عم الرسول ﷺ ، ومن رحمة الله بهن وفضله عليهن أنه لم يذكر أيا منهن بالاسم بل أشار إليهن تلميحا فنسبهن إلى أزواجهن حتى لا يظن أحد من العالمين بهن السوء لاقتراف فاحشة الزنا والخيانة الزوجية ، ولكن الخيانة كانت لعدم اتباع دعوة الله ومنهجه ومؤازرة أنبيائه .

١ ، ٢ ـ امرأتا نوح ولوط عليهما السلام :

يقول تعالى عنهما : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) ﴾ [التحريم] .

يقول ابن كثير فى تفسيره :

ليس المراد بقوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ فى الفاحشة بل فى الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة لحرمة الأنبياء . . . وقال ابن عباس فى ذلك : ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه .

وقد يبدو أن امرأة لوط كانت أكثر إثما فى خيانة دعوة زوجها إلى الله ، حيث ذكر الله استحقاقها للعذاب أكثر من مرة منها :

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ﴾ [الصافات] .

وربما لفظ « عجوزا » يوضح أنها لم تكن شابة يطمع فى أنوثتها ومن ثم نفى أن خيانتها بسبب الزنا .

كما قال تعالى عن نوح : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) ﴾

[الأعراف]. كما قال تعالى : ﴿ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ [الحجر] .

وقد تكررت لفظة «الغابرين» سبع مرات فى آيات مختلفة فيما يتعلق بامرأة لوط عليه السلام ، ومعنى الغابرين : الباقين فى العذاب مع أمثالها من منكرى الألوهية المقاومين لدين الله .

٣ ـ امرأة أبى لهب عم الرسول ﷺ :

لم تقم الدعوة الإسلامية على أساس قبلى أو عائلى أو إقليمى مرتبطة بأرض معينة أو وطن خاص ، ولكن قامت على أسس من العالمية الشاملة الكاملة ، فكل البشر لها رجال وكل الأراض لها موطن .

ودليل ذلك : أن أول من قاوموا دعوة الرسول أهله ، ومن طرده من موطنه إلى أرض غريبة هم قومه .

ولو كان القرآن الكريم من صنع رسول الله ـ كما يدعى أعداء الإسلام ـ لاستحى أن يذم عمه ويهجو امرأته فى قرآن يتلى إلى يوم الدين . فقد جاء فى سورة المسد .

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ [المسد] .

وامرأة أبى لهب كانت من سادات نساء قريش ، واسمها أروى « أم جميل » بنت حرب بن أمية أخت أبى سفيان ، وكانت تلقى الشوك فى طريق رسول الله ﷺ ، ويوم القيامة تصلى جهنم مع زوجها وسيكون فى عنقها حبل من نار ، وهذا قمة الازدراء بها وغاية السخرية منها ، وهى المرأة المعجبة بنفسها ذات الحسب والنسب .

وسبب نزول الآيات :

أنها كانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه فى عذابه فى نار جهنم ، وإن كان عمّا للرسول ﷺ .

كما كانت تضع الشوك فى طريق رسول الله ﷺ ، وتمشى بالنميمة وقيل : إنه كان لديها قلادة فاخرة فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد ، فأعقبها الله منها حبلا فى جيدها من مسد النار .

وقد قال العلماء : في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ أنزلت هذه السورة ، وإخبار الله عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ، لم يؤمن أيٌّ من أبي لهب أو زوجته ، لا إيمان ظاهراً أو مستتراً ، ولا سراً ولا علنًا » .

وعلى ذلك استوجبا العذاب الذي ليس له دافع .

٤ ـ أم سعد بن أبي وقاص :

أسلم سعد بن أبي وقاص وهو في السابعة عشرة من عمره ، وقيل : إنه ثالث من أسلم من الشباب ، ولما أسلم سعد قالت له أمه : يا سعد بلغني أنك صبوت ، فوالله لا يظلني سقف ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه ، وكان أحب ولدها إياها فأبى سعد ، وصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ، ولم تستظل بظل حتى غُشي عليها ، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه فأنزل الله تعالى قوله :

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان] .

فلما قرأ سعد ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [لقمان : ١٥] ذهب لأمه وقال لها : تعلمين والله يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ، ما تركت ديني هذا لشيء ، إن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي ، فلما رأت ذلك أكلت(١).

٥ ـ « عشيقة » مرثد بن أبي مرثد :

كان رجل من الصحابة يقال له : « مرثد بن أبي مرثد » ، وكان يعشق في الجاهلية

---

(١) رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنًا . د. عبد الرحمن عميرة ١/١٨٩ ، ١٩٠ ، مكتبة الأسرة .

قبل إسلامه امرأة من مكة تسمى « عناق » فأرسله رسول الله ﷺ فى مهمة إلى مكة بعد الهجرة للمدينة ، فقابلته خليلته وعرضت عليه نفسها كما كانا ، فقال لها : يمنعى من ذلك الإسلام ، فقد حرم الله على المسلمين الزنا ، ولكن إن شئت تزوجتك بعد استئذان رسول الله ﷺ ، فرأت ذلك المرأة جحوداً وإعراضًا وإهانة لها ، فحرضت على ضربه وإيذائه ، فرجع الرجل إلي الرسول ﷺ واستأذنه فى زواجها فأنزل تعالى قوله : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) ﴾ [البقرة] (١) .

٦ ـ عناق بغى مكة ونساء أخريات ارتكبن الفاحشة :

يقول تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) ﴾ [النور] .

جاء فى تفسير ابن كثير : جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى أن أعرابيين أتيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله ، إن ابنى هذا كان عسيفا ـ يعنى أجيرا ـ على هذا فزنى بامرأته ، فافتديت ابنى منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال الرسول ﷺ : « والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام ، واغد يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » فغدا عليها فاعترفت فرجمها .

وآية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها وبقى حكمها معمولاً به والله أعلم . . . كما رجم الرسول ﷺ ماعز والغامدية .

وقال عن قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور : ٣] . قال الترمذى : كان رجل يقال له : مرثد بن أبى مرثد وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتى بهم إلى المدينة ، وكانت امرأة بغى بمكة يقال لها : عناق وكانت صديقة له ، وأنه واعد رجلاً من أسارى مكة يحمله . . . فقالت المرأة : هلم فبت عندنا الليلة ،

(١) رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا ٢/ ١٣٣ بتصرف.

قال: فقلت : يا عناق حرم الله الزنا فقالت : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم واستعدت عليه القوم ليؤذوه ولكنه هرب منهم ... حتى أتيت به « الأسير» المدينة ... فقلت : يا رسول الله أأنكح عناقا ، أأنكح عناقا مرتين ؟ فأمسك الرسول ﷺ ولم يرد حتى نزلت الآيات ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور : ٣] .

٧ ـ امرأة هلال بن أمية :

قيل : إنه أنزلت بسببها هذه الآيات ، كما جاء بتفسير الطبرى : أن هذه الآيات أنزلت في غير واحدة مما اتهموهم أزواجهم بارتكاب الفاحشة حيث يقول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [النور] .

جاء فى أسباب التنزيل :

« أن هلال بن أمية جاء رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى جئت أهلى عشيا فوجدت عندها رجلاً ، فرأيت بعينى وسمعت بأذنى ، فكره رسول الله ما جاء به واشتد عليه ، فقال سعد بن عبادة : الآن يضرب ... ويبطل شهادته فى المسلمين ، فقال هلال : إني لأرجو أن يجعل الله لى منها مخرجًا ... فأنزلت الآيات ، فسرى عن رسول الله ﷺ فقال : « أبشر يا هلال ، فقد جعل الله لك فرجًا ومخرجًا».

الباب الثانى
بعض أحكام المرأة
في الكتب والأديان السماوية

الفصل الأول : القوامة فى الكتب والأديان السماوية .

الفصل الثانى : عمل المرأة فى الكتب والأديان السماوية.

الفصل الثالث : إرث المرأة فى الكتب والأديان السماوية .

الفصل الرابع : الختان فى الكتب والأديان السماوية .

الفصل الخامس: الحجاب فى الكتب والأديان السماوية .

الفصل السادس : الطلاق فى الكتب والأديان السماوية .

الفصل السابع : تعدد الزوجات فى الكتب والأديان السماوية .

الفصل الثامن : العبادة وجزاء الأعمال فى الكتب والأديان السماوية .

الباب الثانى

بعض أحكام المرأة فى الكتب والأديان السماوية

توطئة :

إن إيمان الإنسان بصدق وحى كتابه المقدس ، يؤدى بالضرورة إلى الإيمان بما جاء به من أحكام أو أفكار قد تكون سقيمة ، ولكن علماء الدين يحاولون تفسيرها بحيث تتفق مع المنطق ويقبلها العقل ، وقد يعتبرونها أفكاراً فوق اللغة وأعلى من الفكر ـ كالتثليث فى المسيحية .

وبالرغم من أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى لم يبدل أو يغير كتابه ، وأيضا لم تتبدل شرائعه ، وهو الدين الوحيد الذى أكرم المرأة فى كل أحكامه وإن تشدد فى بعضها فلحمايتها أمنًا وكرامة وعرضًا ، إلا أن أعداء الإسلام ـ الذين أهانت دياناتهم المرأة ـ ادعوا أن الإسلام هو بحق دين الظلم والقهر والاستبداد للمرأة ، الذى ذهب بذهبها وفضتها.

وفى هذا الباب سنعرض بعض الأحكام الخاصة بالمرأة فى الكتب الثلاثة (١) : التوراة والإنجيل والقرآن الكريم فى حيدة تامة .

حتى نوضح ونبين ونظهر ما خفى من مهانة للمرأة احتوتها كتب التوراة والإنجيل وبالتالى اليهودية والمسيحية ، وأيضا نرد على مزاعم أعداء الإسلام فيما يخص الادعاء بظلم المرأة فى الإسلام .

وأنا أعلم أن القارئ ربما يصدم بمعلومات يقرؤها لأول مرة عن الأديان الأخرى ، ولكنها حقيقية من واقع كتبهم ، كما أود الإشارة إلى أننى لم أتكلم بعد عن التطبيق الفعلى لهذه الأحكام ونقدها ، وسأترك ذلك للكتاب القادم .

وأتمنى أن يوفقنى الله لإظهار الحق والدفاع عنه .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) نقصد الكتب السماوية الحالية ـ المحرفة ـ والأديان اليهودية والمسيحية الحالية ، والإسلام الذى لم يبدل أو تغير شريعته أو منهجه أو كتابه .

الفصل الأول

القوامة فى الكتب والأديان السماوية

المبحث الأول

القوامة فى التوراة والديانة اليهودية

تؤمن التوراة وبالتالى الديانة اليهودية بأحقية قوامة الرجل على المرأة ، والقوامة معناها : أن المرأة خلقت لكى تكون معينة للرجل ، فالتعاون بينهما متبادل ، ولكنه هو الأصل الذى أخذت منه ، ونتيجة لفشلها فى إدارة حياة الرجل فى الجنة والناتج عن معصيتها أولاً ، ثم عصيانه بعدها ، فكان جزاؤها هو أن يتسلط الرجل عليها ، بمعنى أن يكون هو القائد لا التابع .

والمتتبع للتوراة يجد أن علاقة الاحترام المتبادل وجدت بين الرجل والمرأة ، سواء كانت بين الزوجة وزوجها ، أو الوالد وابنته ، أو الأخ وأخته ، أو الرجال وأرحامهم من النساء ، ولكن القيادة واتخاذ الرأى للرجال ، الذين يمكنهم الاستفادة من آراء النساء إذا صلحت ، ولكن على سبيل التعاون وحرية الاختيار، لا على سبيل الجبر والإكراه .

ويمكن إيضاح ذلك فيما يلى :

١ ـ خَلق المرأة لمؤانسة الرجل ومساعدته كمعينة :

« (١٨) ثم قال الرب الإله : ليس مستحسنًا أن يبقى آدم وحيدا ، سأصنع له معينًا مشابها له » [التكوين ٢ : ١٨] .

٢ ـ خلق المرأة من آدم ليكون هو أصلها :

« (٢١) . . . ثم تناول « الرب» ضلعًا من أضلاع آدم وسد مكانها باللحم (٢٢) وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها لآدم » [التكوين ٢ : ٢١ ، ٢٢].

٣ـ معصية الرب وأكل المرأة من الشجرة المحرمة ثم إغواؤها للرجل :

« (٦) وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل ومشهية للعيون ،

ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت ثم أعطت زوجها أيضا فأكل » [التكوين: ٣ : ٦].

٤ ـ عقاب المرأة :

« (١٦) ثم قال « الرب » للمرأة : « أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبين بالمخاض أولاداً ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك » [التكوين ٣ : ١٦].

ووفقًا لهذه الفقرة تحددت وظيفة المرأة وعلاقتها بالرجل حسب التوراة والتشريع اليهودى » فهى :

أ ـ زوجة وحاملة للأولاد وحاضنة ومربية لهم .

ب ـ ميل المرأة الفطرى للرجل وحبها لإظهاره رجولته ونشأة الرغبة الجنسية وإقامة العلاقة الزوجية على أساسها .

جـ ـ الرجل صاحب الرأى والنهى والإدارة واتخاذ القرار ، وإن استشار فمن باب التعاون معها لا من باب الأمر منها ، وتعبير « تسلط » يوضح قوة الإلزام فى اتباع الرجل وعدم معارضته فالرجل فى مجال أسرته هو الحاكم الآمر ، والمرأة المحكومة الخاضعة .

وقد جاء بالموسوعة اليهودية عن ذلك :

« وكانت الوظيفتة الرئيسية للمرأة هى حمل الأطفال ، وكانت الزوجة الجيدة والأم الجيدة تتمتع بالمديح من زوجها وأولادها » . . . ويقال : إن الرجل بدون زوجة يعيش بدون بهجة ، ولا بركة ولا خير ، وإن الرجل يجب أن يحب المرأة كما يحب نفسه ويحترمها أكثر من نفسه . . . وعلى الرجل أن يكون حذراً وألا يتحدث باستخفاف إلى زوجته ؛ لأن النساء قريبات إلى الدموع وحساسات إلى الخطأ ، وأن النساء إيمانهم أقوى من إيمان الرجل وهن رقيقات القلوب بصفة خاصة».

ومع كل ذلك الاحترام للمرأة كزوجة ، إلا أن التوراة لم تخل من أمور وشرائع جعلت حق القوامة يعنى التسخير والذل والعبودية .

وقد جاء بالموسوعة اليهودية :

« مرجع ذلك فقد كان هناك قوانين معينة تكشف عن حالة متدنية للمرأة فى المجتمع الإسرائيلى ، حيث كان للرجل أن يبيع ابنته لكى يدفع الدين (١) ولكنه كان ممنوعًا أن يضطرها للبغاء » وإذا تم بيعها فى الأسر ، فإن سيدها لا يسمح له ببيعها مرة أخرى ، وإذا لم يرض عنها ، فإنه يمكن تحريرها ؛ وإذا أعطاها لابنه ، فإنه يعاملها كأخته ، وقد يطلق سراحها إذا لم يقدم لها سيدها الصيانة الكافية ، ولكن إطلاق سراحها فى العام السابع لم يكن متاحًا لها » .

ومع هذا الاحترام والتبجيل للمرأة الصالحة كزوجة ، فإن حق القوامة للزوج أعطى له حق لواطها حتى وإن تأذت ولم ترغب.

فقد جاءت امرأة تشكو زوجها إلى الربان (الرئيس الدينى) وقالت له : إن زوجها ارتكب الصادومية فى حقها فما كان جواب الربان إلا أن قال « ابنتى أنا لا أقدر أن أصنع لك شيئا لأن الشريعة قد جعلتك مأكلاً للغير» (٢) .

كما أنه إذا امتنعت المرأة عن أداء واجبها انقص سبعة دينارات من مؤجل صداقها فى حين أن غرامة الزوج هى ثلاثة دينارات لكل منهما فى الأسبوع ، وكان الأولى أن يكون العكس حيث إن الرجل يحصل على دخل الزوجة ، ولكنها شريعة الغاب والظلم والاحتقار لمركز المرأة فى المجتمع اليهودى (٣) .

وقد سمح للأب أن يزوج ابنته لمن يشاء ولم يعط للأم هذا الحق إلا فى حدود ضيقة حددها رجال التلمود مثل: أن يكون الأب متوفيا ، وقد جاء فى

---

(١) ولكن إذا باع رجل ابنته كأمة، فإنها لا تطلق حرة كما يطلق العبد » (٨) فإذا لم ترق لمولاها الذى خطبها لنفسه ، يسمح بافتدائها ولا يصح بيعها لقوم أجانب لأنه غدر بها فلم يتزوجها (٩) وإن خطبها لابنه فإنه يعاملها كابنة له (١٠) أما إذا أعجبته وتزوجها ، ثم عاد فتزوج من أخرى ، فإنه لا ينقص شيئا من طعامها وكسوتها ومعاشرتها ، (١١) فإذا قصر فى واحدة من هذه الأشياء الثلاثة ، عليه أن يطلقها مجانًا حرة [الخروج ٢١].

(٢) السيد محمد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ص٩١ ومرجعه : همجية التعليم الصهيونية : بولس حنا مسعد ص١٠٧.

(٣) المرجع السابق ص٩٨ عن تلمود أورشليم باب كتوبوت نقلا عن كتاب الأسرة بين الاقتصاد والدين ص٢٥٤.

كتاب «الأسرة بين الاقتصاد والدين» ما يأتى : « يستطيع الأب تزويج ابنته القاصر ويعتبر الزواج صحيحا فى نظر الشريعة التلمودية ولازما بالنسبة إلى الصبية رضيت به أم لم ترض ، لكنها تسترد حريتها إذا طلقها زوجها أما إذا كانت الصبية يتيمة وزوجتها أمها أو زوجها أخوها دون رغبتها ؛ كان الزواج باطلا ولم يعتد به ، فإذا تم برضاها جاز لها مع ذلك طلب فسخه بأن تعلن أمام المحكمة رفضها البقاء مع زوجها » (١) .

ولذلك جاء بدائرة المعارف اليهودية : الرجل سيد على المرأة وأنها ملك له وإن كانت تستشار فى بعض الوقت (٢) .

ومن آثار القوامة والتى تحط من قيمة المرأة أنها لا تحتفظ المرأة اليهودية بنسبها إلى عائليها بعد زواجها بل تنتسب إلى زوجها وعائلته ، وبذلك تفقد انتسابها إلى عائلتها وهذا مما يضعف مركز المرأة أمام زوجها ويضعف من شخصيتها المدنية ويؤدى بها إلى وصاية الزوج عليها ، وإليك مثالا ما زلنا نراه اليوم فمثلاً «جولدا مائير » رئيسة الوزراء فى إسرائيل المزعومة كان اسمها قبل زواجها «جولدا مايوفنز» ولكن بعد زواجها من المدعو « مائير سون » سميت على اسم زوجها وأصبح اسمها جولدا مائير .

كذلك ليس للمرأة اليهودية المتزوجة أن تدير أموالها بنفسها وليس لها أن تحتفظ بكامل حقوقها المدنية أو بكامل أهليتها ، وليس لها أن تباشر إجراء مختلف عقود البيع والشراء ، والرهن والهبة والوصية .

جاء فى كتاب « اليهود فى مصر » للدكتور مصطفى عبد العليم ما يدل على عدم مباشرة الزوجة لحقوقها « إن المرأة اليهودية كانت فى العصر البطلمى مثل المرأة الإغريقية والمصرية ناقصة الأهلية فى نظر القانون ، إذ كانت لا تستطيع مباشرة شؤونها القانونية إلا إذا كان لها وصى ، وبالرغم من أن التوراة أعطتها الأهلية القانونية الكاملة فى كثير من شؤونها ، ثم أضاف يقول : تزودنا بعض البرديات بأمثلة لسيدات يهوديات مثلن أمام « بوونا رخوس » رئيس مكتب

(١) السيد محمد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ص ٩٧ عن كتاب نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين : د. أنيس الأسيوطى ص٢٠٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩٤.

التسجيل القانونى الإغريقى فى الإسكندرية بصحبة أوصياء عنهن مثلا سجلت سيدة أخرى عقدًا للعمل كمرضع لدى أسرة بالإسكندرية وكان زوجها شاهدًا على العقد بصفته وصيًا عليها .

وحضرت سيدة يهودية أخرى أنها فارسية بصحبة وصيها لتسجيل عقد استدانة وأمام نفس الموظف جاءت سيدة أخرى وصى لتسوية مسائل مالية متعلقة بوصية زوجها وطريقة تسلمها لنصيبها من تركة [1] .

ومن حق القوامة أيضا : أن الزوج يرث زوجته وهى لا ترثه وكذلك يحصل الرجل على كل ما يدخل للمرأة من موارد وما تجده من لقية ، وجاء بالمادة ٨٢ من الأحكام الشرعية للإسرائيليين ما يأتى « إذا عثر للزوجة على لقية فهى من حق زوجها ما دام قائما بما عليه من الواجبات » .

وفى هذا ما يدل على أن المرأة لم تصل إلى مركز الخادمة ؛ إذ إنها تعمل مقابل الإتفاق عليها ، إذن حق القوامة لا يحقق المساواة بين الرجل والمرأة .

---

(١) السيد محمد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ـ ص ٩٩ ، وللأسف بعض المسلمين يفعلون ذلك من باب الرقى والتحضر وهم واهمون.

المبحث الثانى

القوامة فى الإنجيل والديانة المسيحية

تؤمن المسيحية بقوامة الرجل على المرأة ، بمعنى : أن الرجل هو السيد المطاع للمرأة وهى المسودة والطائعة لأوامر الرجل ونواهيه ، وهذا فى مجال إدارة الأسرة وأيضا إدارة الحياة ، أما فى الحياة الزوجية كعلاقة محبة ورحمة وتبادل معاشرة زوجية فالاثنان متساويان تماما ، مساواة كاملة بلا تفضيل .

وسيتضمن هذا المبحث ما يلى :

١ ـ أسباب القوامة ومعناها .

٢ ـ مظاهر القوامة .

أولا : أسباب قوامة الرجل على المرأة :

تأثرت المسيحية بما جاء فى التوراة من أن المرأة هى أول خاطئ [١] ، فهى أولاً التى تناولت من الشجرة المحرمة فأكلت ثم أطعمت زوجها ، وعلى ذلك فإنها عندما قادت آدم أورثته الخطيئة ولم تكن معينًا له كما كانت مشيئة الله فى خلقهما، ولكنها كانت عثرة له ، وعلى ذلك كان عقابها شديدًا ، فأصبحت هى التابعة للرجل » وصار هو الآمر الناهى الذى لا يرد له أمر ولا يُناقش له مطلب .

وقد تكرر كثيرًا فى الأناجيل : أن المرأة التى خُلِقت من الرجل خدعته وأغوته وسببت الهلاك للبشرية كلها .

فيقول بولس فى رسالته إلى تيموثاوس :

« (١٣) ... ذلك لأن آدم خُلِق أولاً ثم حواء (١٤) ولم يكن آدم هو الذى انخدع « بمكر الشيطان » بل المرأة انخدعت ، فوقعت فى المعصية » [١ تيموثاوس ٢ : ١٣ ، ١٤].

---

(١) انظر : التوراة : سفر الخروج .

ويقول فى نفس الرسالة « بل لست آذن للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت لأن آدم جعل أولا لم يغو ولكن المرأة أغويت » [١ تيموثاوس ٢ : ٩].

ويشرح ذلك يوحنا ذهبى الفم فيقول :

« (٢) . . . من العدل أن تكون المرأة خاضعة للرجل ؛ لأن المساواة فى الكرامة يجلب الصراع ، وهى ليست مخضعة له لهذا السبب فقط ، ولكن أيضا بسبب الخيانة التى حدثت فى بداية العالم . . . عندما أساءت استخراج السلطة المخولة لها ومع أنها خُلِقت كمعين اكتشف أنها خائنة وقد دمرت كل شىء ».

ويؤكد ذلك مرة ثانية فيقول :

« لقد مارست « المرأة » سلطتها ذات مرة ، فمارستها ممارسة سيئة، فهى يجب أن تبقى فى سكوت . . . آدم لم يغير ، ولكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى . . لذلك دعها تنزل من كرسى الأستاذية . . . ولذلك فواضح أنها مخضعة للرجل ، وأن الخضوع بسبب الخطيئة . وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك »(١) .

إذن بسبب خلق المرأة من الرجل وتسببها فى خطأ الرجل وعصيانه أصبح للرجل عليها حق القيادة أى القوامة وعبر عنها بولس فقال :

« (٢٢) أيها الزوجات اخضعن لأزواجكن كما للرب (٢٣) فإن الزوج هو رأس الزوجة كما أن المسيح أيضا هو رأس الكنيسة . . . (٢٤) فكما أن الكنيسة قد أخضعت للمسيح ، فكذلك الزوجات أيضا لأزواجهن فى كل شىء» [أفسس٥ : ٢٢ـ ٢٤].

ويؤكد ذلك فى رسالته إلى أهل كورنثوس فيقول :

« (٣) . . . المسيح هو الرأس لكل رجل ، أما رأس المرأة فهو للرجل ، ورأس المسيح هو الله . . . » [١ كورنثوس ١١ : ٣] .

ومعنى الفقرات السابقة : أن خضوع المرأة للرجل كخضوعها لله فهو خضوع

---

(١) إليزابيث . أ. كلارك : الآباء والمرأة ص ٣٦ ، ٣٧ فى اليقظة والخطبة ورقم ٢٦.

مقدس » ولذلك تعددت وصايا بولس للنساء باتباع الرجال والخضوع للرجال.

« (١٨) أيها الزوجات اخضعن لأزواجكن كما يليق (بالمعيشة فى الرب) «وأما الزوجة فعليها أن تهاب زوجها » [أفسس ٥ : ٣٣ وكولوس ٣ : ١٨] .

ويوصى بطرس بنفس الوصايا فيقول :

« (١) كذلك أيها الزوجات اخضعن لأزواجكن ، حتى وإن كان الزوج غير مؤمن بالكلمة ، تجذبه زوجته إلى الإيمان » بتصرفها اللائق دون كلام (٢) وذلك حين يلاحظ سلوكها الطاهر ووقارها » [١بطرس ٣ : ١ ، ٢] .

ويضرب المثل للنساء بالطاعة فيقول عن نساء العهد القديم :

« (٥) . . . فكانت الواحدة منهن تتكل على الله وتخضع لزوجها (٦) فسارة مثلا كانت تطيع زوجها إبراهيم وتدعوه سيدى » [رسالة بطرس الأولى ٣ : ٥ ، ٦] .

ويقول : أمبروز شارحا ذلك [١] :

« لأن حواء نفسها اعترفت بغلطتها فقد صدر ضدها حكم مخفف لإدانة خطئها ، وهو حكم لا يحول دون الغفران ، وكان القصد منه : أن تكرس نفسها لزوجها لكى تخدمه، وهناك سببان لذلك: أولهما: حتى لا تسر بارتكاب الذنب . وثانيهما : أنه بعد أن وضعت تحت سيطرة الإناء الأقوى لا تعرض زوجها للازدراء ، بل بالأحرى تمتثل لنصائحه .

ثانيا : مظاهر قوامة الرجل على المرأة :

حيث إن الأمر بتسلط الرجل على المرأة ، هو أمر إلهى واجب النفاذ وله ما يبرره من أسباب ، فهناك أمور ينبغى عدم تجاوزها حتى تخرج هذه القوامة إلى حيز التنفيذ ومن هذه المظاهر :

١ ـ لا يجب أن تقوم بدور المعلمة للرجل ، بل هى التى تأخذ عنه :

ويقول بولس فى ذلك :

« . . . على المرأة أن تتلقى التعليم بسكوت وبكل خشوع(١٢)لست أسمح للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرجل،بل عليها أن تلزم السكوت. . .» [١ تيموثاوس٢ :

---

(١) إليزابث . أ. كلارك : الآباء والمرأة ص ٣٦.

١١-١٣] .

٢ - الصمت فى الكنائس وتلقى العلم عن زوجها فى المنزل :

« (٣٤) لتصمت النساء فى الكنائس ، فليس مسموحًا لهن أن يتكلمن ، بل عليهن أن يكن خاضعات ، على حد ما توصى به الشريعة أيضا (٣٥) ولكن إذا رغبن فى تعلم شىء ما فليسألن أزواجهن فى البيت ، لأنه عار على المرأة أن تتكلم فى الجماعة » [١ كورنثوس ١٤ : ٣٤ ، ٣٥] .

٣ - تغطية الرأس للمرأة وليس للرجل فى الصلاة :

يأمر بولس النساء فيقول :

« . . . كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شىء واحد بعينه (٦) إذا المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها (٧) الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل (٨) الرجل لم يخلق من أجل المرأة (٩) بل المرأة من أجل الرجل » [١ كورنثوس ١١ : ٥ - ٩] .

ويقول يوحنا ذهبى الفم فى ذلك :

« وهذا السلطان مُنِحَ للرجل فقط ، أما المرأة ، فليس لها سلطان ؛ لأن الرجل لا يخضع لأحد بينما المرأة تخضع له ، كما قال الله : إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » [تكوين ٣ : ١٦] ، لذلك فالرجل مخلوق على صورة الله لأنه لا سيطرة لأحد عليه تماما كما أن الله لا يرأسه أحد ، بل يسود على كل شىء ومع ذلك فالمرأة مجد الرجل من حيث إنها خاضعة له .

وهذه القوامة لا تمنع الحب المتبادل والعلاقات الأسرية والزوجية السليمة لأنها تعنى الطاعة للرجل ، وإن كان التعبير عنها بلفظ قاسٍ وهو التسلط ، ولذلك يوصى بولس الأزواج فيقول :

« وأنتم أيها الأزواج ، إذ تساكنون زوجاتكم عالمين ، بأنهن أضعف منكم ، أكرموهن باعتبارهن شريكات لكم فى وراثة نعمة الحياة ، لكن لا يعوق صلواتكم شىء » [١ بطرس ٣٠: ٧] .

وعلى ذلك فالمسيحية تؤمن بحق حسن المعاشرة المتبادل بين الزوج وزوجته .

أرسلت إحدى النساء رسالة إلى القديس : أوغسطينوس أوضحت فيها أنها قررت ضبط النفس والابتعاد عن العلاقة الجنسية مع زوجها ولم تتفق معه على ذلك ، فلم يستطع الزوج كبح نفسه واضطر للزنا ، وقد عاب القديس عليها ذلك فقال: « إنى أعرف أنك اتخذت قرار ضبط النفس والابتعاد عن الممارسة الجنسية، بينما لم يكن هو قد أعطى موافقته ، ومثل هذا القرار لا يتفق مع التعليم الصحيح ؛ لأنه ما كان ينبغى أن تخدعيه فى وديعة جسدك بكل أن تتخذا أرادتكما فى اتخاذ هذا القرار الصالح الذى يفوق الطهارة الزوجية ، وهذا ربما لأنك لم تقرئى أوربها لم تعيرى الالتفات إلى ما قاله الرسول بولس .

« وحسن للرجل ألا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ، وليوف الرجل المرأة حقها الواجب ، وكذلك المرأة أيضا الرجل ، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل ، وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة ، لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكى تتفرغوا للصوم والصلاة ثم يجتمعوا معا لكى لا يجر بكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم » [١ كورنثوس ٧ : ١ ـ ٢] .

المبحث الثالث

القوامة فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية

مفهوم القوامة فى الإسلام :

جاء فى لسان العرب لابن منظور (١) :

القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣٤] وبمعنى الملازم والمحافظ ﴿ إلا ما دمتَ عليه قَائمًا ﴾ أى ملازما ومحافظا .

إذن القوامة ليست بمعنى التسخير كما يظن البعض وإنما : حق الطاعة الواجبة على المرأة تجاه زوجها ، وهى طاعة عطاء وبذل متبادل بين الزوج وزوجته ، لا تنافس فيها ولا شحناء ، ولكن توجيه وتقويم ، فالقائد هو الرجل والقوة العاملة الفعالة هى المرأة التى لو أرادت المخالفة لتقوض بناء الأسرة ، والحديث عن أبى أمامة ﷺ عن النبى ﷺ قال : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » (٢) .

فالرسول ﷺ أثنى على الزوجة الصالحة وجعلها أول نعمة للزوج بعد تقوى الله ، وحدد الحديث القوامة فى أربعة عناصر نواصيها بيد المرأة إن أقامتها زانت الرجل وإن هدمتها شانته ثم أضاعته ، وهى : الطاعة فى غير معصية ، والزينة والتزين للاستمتاع معًا بمعاشرة أساسها المودة والرحمة والحب والتوافق العاطفى والجنسى ، ومراعاة تفقد رضاه حتى لو خالفته فى الرأى ، ثم حافظت على حقوق غيبته من سلوك عفيف ومحافظة على عرضه وماله وولده .

إذن القوامة فى الإسلام هى عين التكريم للمرأة مع حق الإدارة والرياسة والقيادة للرجل ، وكل ذلك فى حدود أوضحها الحق تبارك وتعالى فى قوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي

(١) ٢ / ٤٩٧ .

(٢) رواه ابن ماجه .

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم] .

إذن القوامة فى الإسلام قوامة تكليف للرجل وتشريف للمرأة .

١ ـ أدلة فرض القوامة من القرآن والسنة ومفهومها :

الأصل فى القرآن الكريم : يقول تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤] ، كما يقول تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ﴾ [البقرة].

كما يقول تعالى : ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)﴾ [النساء] .

الأصل فى السنة المطهرة : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الرجل راع ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤولة عن رعيتها».

وهذه الرعاية ألزمت الرجل بتكاليف منها :

أ ـ حق الإنفاق :

ـ سأل معاوية القشيرى رسول الله ﷺ : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت » وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت » (١) .

وقال رسول الله ﷺ فى الحديث المروى عن عامر بن سعد عن أبيه «إنك ـ إن شاء الله ـ لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك»(٢).

فما أجل وأعظم الدين الذى يجعل إطعام الرجل لزوجته بيده عبادة لها أجر.

(١) رواه أبو داود والنسائى .

(٢) رواه البخارى .

ب ـ حق النصح والإرشاد :

سأل عمر الرسول ﷺ عن معنى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ [التحريم] فقال الرسول ﷺ : « تنهوهم عما نهاكم الله، وتأمرونهم بما أمر الله ».

إن القوامة بهذا المعنى هى إرشاد لصلاح لأمر الدنيا والآخرة .

أوضحت الآيات ما يلى :

* أصل ومنشأ حق القوامة هو ما وهبه الله للرجل من مزايا لم تؤت للنساء، وهى مزايا ثابتة وراسخة .

* مكافأة الرجل على سعيه وكده للإنفاق على أسرته فإذا كانت المرأة أغنى فقد يضمحل هذا السبب ولكنه لا يزول ، ومع ذلك القوامة للرجل لما وهبه الله من مزايا ليست لحواء ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وهذه الدرجة مرجعها الفطرة وحكمة الله فى خلقه ، فهو تعالى شاء أن يخلق المرأة من الرجل ، فآدم أصل حواء ودائما الأصل هو الأقوى وهو الأساس.

والدرجة تعنى : حق قيادة الأسرة بمشاركة المرأة باعتبار الرجل الربان والمرأة الجهاز التنفيذى الذى لا غنى عنه . وليس معنى الدرجة : الحط من قيمة المرأة بالنسبة للرجل ، فإن الدرجة الواحدة لا تؤدى إلى ذلك ، ولكنه تفضيل بين الأفضل ومن دونه فضل ، وتفضيل قائم على التشاور والتراضى ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [البقرة : ٢٣٣] وانظر لمعنى «تراض وتشاور » منهما ، فتظهر الديمقراطية والمساواة فى اتخاذ القرارات ولكن فى حالة الخلاف فالرأى للرجل ، بلا استبداد أو ظلم أو قهر .

فالرجل والمرأة فى الإسلام كطرفى دائرة يكمل كل منهما الآخر ، وعلى هذا الأساس تقوم الأسرة ، وتقوى أركانها ، وتزدهر المجتمعات ، وتعلو حضارتها .

ولا يعقل أن تقاد دفة حياة الأسرة بقائدين متساويين ولكن بقائد واحد ، وهيئة استشارية تنفيذية وهى المرأة ، إذن لا يفهم من القوامة الحط من قدر المرأة، ولكنها توزيع مسؤوليات ، يحمل فيها الرجل النصيب الأكبر كقائد ، والمرأة النصيب الأوفر كأداة تنفيذ ، وكل يملك من المواهب ما يسره الله له ، فيستحيل على الرجل القيام ببعض أعمال المرأة الهامة ، المخلوقة لها ، وأيضا من الصعب على المرأة النهوض ببعض مهام الرجال ، فالاختلاف الجنسى ووظائف الأعضاء تجعل كليهما قد ينفرد بخصائص لا يمكن أن ينازعه فيها آخر ، ولذلك يقول تعالى فى ذلك : ﴿ وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: ٣٢].

٢ ـ ما فُضل به الرجال على النساء :

كما سبق الإشارة ، فإن المرأة خُلقت من الرجل ، ومن ثم فالرجل هو الأصل وأصل الشجرة دائما أقوى من الفرع ؛ فالرجل أقوى بدنيا وعقليا ولديه الاستعداد الجسدى لتحمل مشاق الحياة ، والإمكانات العقلية لقيادة سفينة الحياة .

فقوة التكوين الجسدى ، وضخامة العضلات ، والطول الفارع ، والعرض الواسع، والهيكل العظمى الداخلى المتين ، وقلة الشحوم وحُسن توزيعها على العضلات والأعضاء ، كل ذلك من سمات الرجولة التى لا يمكن لذى لب إنكارها؛ لأنها مما حبا به الله الرجل من خصائص ليمكنه من السعى بجد فى الأرض وتحمل المشاق لكسب العيش وإعالة الأسرة ثم إعمار الأرض .

كما أن القوة العقلية ومستوى الذكاء للرجال بصفة عامة أعلى من النساء ، وربما يرجع ذلك لا إلى التكوين الطبيعى فحسب ، ولكن لسيطرة عواطف المرأة ورقتها على قراراتها الذهنية .

وكانت حكمة الله بالغة فى جعل هذه المزايا فى الرجال فى كل وقت وحين ـ ما عدا حالات المرض ـ أما المرأة فهى تتأثر جسديا وصحيا ونفسيًا وذهنيًا خلال فترات الطمث «العادة الشهرية » وخلال أشهر الحمل.

٣ ـ ما فضل به النساء عن الرجال :

شاء العليم الخبير الذى خلق كل شىء فأحسن خلقه ، أن يعطى للمرأة مزايا

وفضائل ليست للرجل ولن تكون له ، والحكمة الإلهية من ذلك أن يُيَسر كل جنس لما خلق له . وحيث إن مهمة المرأة الأساسية فى الحياة هى الحمل والإنجاب وتربية ورعاية النشء وهى أعظم مهمة فى الوجود ، والاستهانة بها هو عين الاستهانة بحق الحياة وحق الطفولة ، فقد وهبها الله من عواطف الحنان والرحمة والبر للقيام بوظيفة الأمومة بصفة عامة ما لا يمكن أن يكون للرجال بحال من الأحوال.

كما منحها من قوة التحمل فى الحمل والولادة ما يحال أن يكون للرجال مهما بلغ العلم غايته ، فالمرأة تحمل الأبناء لمدة تسعة أشهر تقريبا ، وهنا على وهن ، وتتحمل أكبر وألذ ألم فى الوجود وهو آلام الوضع والولادة ، وحتى تتمكن من القيام بمهامها الأساسية أعطاها الله صدرا بارزًا للرضاعة فى أعلى الجسم من الأمام، كما منحها إلية أضخم من الرجل من أسفل والخلف حتى تكون أكثر توازنا فى أشهر الحمل الطويلة وسنتى الرضاعة المهلكة ، فإذا طمع كل جنس فى لعب دور الجنس الآخر فى الحياة ، بدأت نهاية خراب الدنيا .

وهذا لا يمنع ظهور بعض النابغات فى كل عصر يتميزن بأعمال واختراعات يضارعن فيها الرجال وربما يتفوقن . وهذه حقيقة مؤكدة ولكن الأكثر تأكيدًا أنها استثناء من القاعدة وليست هى القاعدة ونستطيع القول :

إن قوة الرجل فى رجولته ، وقوة المرأة فى أنوثتها وضعفها ، وإن كانت صانعة الرجال .

ويقول الشيخ محمد الغزالى عن تنظيم الحياة الأسرية الزوجية ومعنى القوامة: « إن الذى يتدبر القرآن الكريم يُحس المساواة العامة فى الإنسانية بين الذكور والإناث ، وأنه إذا أعطى الرجل حقا أكثر فلقاء واجب أثقل لا لتفضيل طائش » وقوامة الرجل فى البيت لا تعنى ضياع حق المساواة الأصلية ، كما أن طاعة الشعب للحكومة لا تعنى الطغيان والإذلال » (١) .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص٣٦ مكتبة دار الشروق . مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٥.

٤ ـ نتائج قوامة الرجل على المرأة :

أ ـ له حق طلاقها وإن كان لها حق الخُلع .

ب ـ ليس لها السفر للخارج إلا بإذنه ومعه أو مع محرم لها .

جـ ـ له حق الطاعة عليها ولها حق التشاور والنصيحة فى حدود ما حلله الله أو حرمه .

وهذه الحقوق كلها تهدف إلى حماية الأسرة والمرأة .

والتعبير القرآنى القويم ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ١٢٨] . أوضح ضرورة الاحترام المتبادل بين الزوج وزوجه وعواطف الوفاء والتكريم والإعزاز والأمانة وصون الكرامة وحفظ العرض ، وهذا محله السبيل لحسن المعاشرة ، والتآلف والتراحم والمودة والرحمة منذ بداية الحياة الزوجية حتى انتهائها لا بوفاة أحد الزوجين بل بوفاتهما ، حيث إن الذكرى العطرة فى الحياة لكليهما ستظل عالقة بوجدان الآخر .

وقد فهم ابن عباس ذلك فقال : (والله إنى لأحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى) .

وقد عبر الحق تبارك وتعالى عن تكامل الزوج والزوجة فى كافة الشؤون بداية من الحقوق الزوجية الجنسية المشروعة حتى منتهى حقوق العشرة فقال : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، وهنا اللباس بمعنى الستر ، وكتمان الأسرار ، وإخفاء عيوب متبادلة، وتمتع طبيعى فى سرية تامة ، بلا إفشاء أسرار.

إذن القوامة فى الإسلام هى رعاية ربان الأسرة ـ الرجل ـ لسفينتها ، وهى مسؤولية وعطاء . . . وليست دكتاتورية أو استبداد ، ولذلك فالقوامة لا تضيع حق الشورى أو تنقصه ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) ﴾ [الشورى] ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾ [البقرة] .

والقوامة لا تكون إلا على المرأة التي تحتاج التوجيه ، وتحب إظهار الرجل لرجولته ، وتعشق إظهار قوته وشدته ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ (١) ﴾ [النساء : ٣٤].

(١) الضرب فى الإسلام له شروط شرعية حتى لا يقبح وجهًا أو يكسر عظمًا ومنه الضرب بالسواك ونحوه .

المبحث الرابع

أكاذيب ومطاعن عن قوامة الرجل فى الإسلام

توطئة:

القوامة فى الإسلام للرجل ، وهى قوامة تكليف وتشريف له ، وقوامة تكريم وتقدير للمرأة ، وكلاهما إنسان من خلق الله ، الذى خلق فسوى أى أعطى لكل خلق من الصفات ما ييسر له الحياة ، حتى تتكامل الدنيا بأسرها بتكامل من خلقت ليعمرها ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك] . وجميع العلاقات بين الرجل والمرأة لابد أن تكون فى إطار ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم] .

ومع ذلك فإن خصوم الإسلام يدعون ظلما وعدوانًا أن القوامة فى الإسلام أدت إلى ظلم بليغ بالمرأة فى عدة أمور منها :

١ ـ وحشية الإسلام فى الأمر بضرب النساء .

٢ ـ نقصان عقل ودين المرأة .

٣ ـ شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.

٤ ـ سفر المرأة وتحكم الرجل فيه .

٥ ـ شبهة : ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة .

ونظراً لأهمية الرد على هذه الأكاذيب سيتم الرد عليها لكل مطعن على حدة:

أولا : الإسلام وتهمة وحشيته فى ضرب النساء :

من المؤسف جدًا والمثير للأسى : أن أعداء الإسلام دائما يحاولون تحويل مزاياه وفضائله إلى عيوب ورذائل ، والسبب فى ذلك يرجع لعدم وجود ما يشين الإسلام وينتقص من كماله ، ومن مزايا الإسلام ومفاخره : توجيه الرجال لحُسن تقويم الناشز من النساء ، بحيث لا يخرج الإرشاد والتوجيه والزجر وأحيانا العقاب

عن هدفه ؛ وهو التقويم فى إطار إنسانى مضىء من المودة والرحمة ، وقد أرسى القرآن الكريم أسلوب علاج وتقويم المعوجة من النساء ـ فى قوله تعالى :

﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾ [النساء] .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية :

« أى النساء اللاتى تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن . . . المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له . . . فليعظها وليخوفها عقاب الله . . . فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته . . . قال رسول الله ﷺ : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد من دون الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها» (١) .

فإن ذهبت الموعظة أدراج الرياح ولم يؤثر فيها الترهيب من غضب الله وعقابه، فقد يكون ذلك دليل أنها ممن لا يخاف الله ، إذن لابد من أسلوب آخر وهو أسلوب دنيوى فيه الحرمان من شهوة ولذة ربما لو أحست وقعها لثابت لرشدها وعلمت أهمية زوجها وقيمة رجولته فيكون العقاب ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ .

يقول ابن كثير فى ذلك : « عن ابن عباس : الهجر هو ألا يضاجعها على فراشها ويوليها ظهره . . . وقال آخرون : لا يكلمها ولا يحادثها» (٢) ، فإن فشل دواءان فى علاجها يبقى العلاج الأقوى وهو : واضربوهن ، وكيفية الضرب أوضحها الرسول ﷺ فى خطبة حجة الوداع « . . . فاضربوهن ضربا غير مبرح»، وأجمع فقهاء المسلمين ألا يؤثر الضرب فى المرأة فيكسر لها عظما أو تظهر آثاره على وجهها .

أتى رجل من الأنصار بامرأة له فقالت : يا رسول الله « إن زوجها فلان ابن فلان الأنصارى وأنه ضربها فأثر فى وجهها فقال رسول الله ﷺ : « ليس له ذلك»(٣) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٦٦ دار الحديث ، والحديث رواه ابن ماجه وأحمد .

(٢) المرجع السابق ٢/ ٤٦٦. (٣) المرجع السابق ١/ ٤٦٥ .

وقال رسول الله ﷺ : « أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد . . . ثم يضاجعها فى آخر اليوم ».

ومن الحقائق المؤكدة نفسيًا وعلميًا وواقعيًا : أن هناك صنف من النساء يتلذذ إذا أظهر الرجل قوته وبطشه وجبروته ويعتبرون ذلك من أسس الرجولة والفحولة.

فإن فشل هذا العلاج المركب والمتدرج فى قوته ، وفشلت مساعى أهل الصلح «الحكمان » فى إصلاح ما فسد من علاقة زوجية ، يصبح الطلاق هو العلاج الناجح ، « فمن السموم الناقعات دواء » ، وقد يكون التفريق هو الصلاح والفلاح ، وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته .

إذن : التقويم فى الإسلام والضرب ليس وحشية ولا قوة ولكنه توبيخ بعمل يسير وإنذار بتصرف قويم ، قد يعتدل به معوج ومن المثير حقا أن من يتهم الإسلام بالقسوة مع النساء هم مبتدعوها فقد أجريت دراسة أمريكية سنة ١٩٨٧ وتبين منها أن ٧٩٪ من الرجال يقومون بضرب النساء ، وتزيد هذه النسبة بين الأزواج أكثر منها بين المرتبطين بلا زواج «الصداقة فى المفهوم الغربى».

«وأضافت دراسة أخرى أن الإصابات تتراوح بين كدمات وكسور فى العظام وحروق وجروح وطعن بالسكين وجروح طلقات نارية ، وضربات بالكراسى والسكاكين والقضبان المحماة » (١) .

فهل لنا أن ننصح الغرب المسيحى واليهودى باتباع أخلاق الإسلام وألا يوصم الإسلام بما ليس فيه ؟ !

ثانيا : نقصان عقل ودين النساء :

إن من العادات السيئة لأعداء الإسلام : هى محاولة الإساءة إلى مفاهيمه وثوابته ، وفضائل الأخلاق فيه ، فيحاولون إظهار الحسن قبيحًا ، والقويم معوجًا، ومن ذلك الادعاء بأن الإسلام ينظر إلى النساء نظرة احتقار وامتهان فيصفهن بناقصات العقل والدين .

---

(١) محمد رشيد العويد : من أجل تحرير حقيقى للمرأة ص١٧ ، دار حواء الكويت.

والمتتبع لأصل ومصدر هذه المقولة الظالمة ، التى ظلمت الإسلام أولاً ثم النساء ثانيا : يجد أن أصلها هو التراث الشعبى الشرقى الممتد الجذور إلى حضارات وثقافات ما قبل الإسلام ، والذى وصفه الإسلام « بالجاهلية » أما مصدر ذلك فهو الديانات السابقة على الإسلام من يهودية ومسيحية حيث صورت التوراة والإنجيل المرأة بأنها أصل كل فساد ومنبع كل خطيئة فهى أول من اقترف خطيئة أوردت الإنسانية كلها مورد الهلاك ، وأخرجت الإنسان من جنة عدن (١).

ثم جاء دين الهدى والحق ليعلى من شأن المرأة ، ويصحح مسار الأفكار المنحرفة الناتجة عن الديانات السماوية السابقة وكتبها الحالية ، والتى بنيت على ضلالها أفكار الحضارات والمجتمعات لما قبل الإسلام ، فحافظ على حياة المرأة بعد أن كانت تدفن حية وهى طفلة ، كما حافظ على حياتها حيث كانت سلعة تباع وتشترى ، ثم أمر بحفظ حيائها وعفتها وصون كرامتها ، فجعل المرأة كالجوهرة الغالية المكنونة ، التى لا يرى ضياءها وبريقها وجمالها وفتنتها إلا من يستحق من زوج أو أهل أو نساء أمينات مثلها ، وذلك لحفظ السر وصون العرض والحفاظ على الكرامة.

ولم يوص نبى سابق بالمرأة كما أوصى بها الرسول ﷺ ، فقد أوصى بها فى أعظم المواقف فى حجة الوداع فقال : « أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا . . . فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا» (٢) .

وشاءت إرادة الله ألا يبقى له حياة ولد ذكر ، فكلهم ماتوا ولم يبق سوى البنات ، ولم يشكو يوما ذلك ، حتى أن المشركين عيروه وسبوه بأنه أبتر ، أى عديم الولد الذكر ، وقد أنجب آخر بناته فقال لهم : «ريحانة أشمها » ، أى وردة طيبة الرائحة وهو فى حاجة دائمة إلى التزود من عبقها ورائحتها الذكية .

أساس الادعاء بنقصان عقل ودين النساء:

الأساس هو محاولة تشويه معنى الحديث الوارد فى الصحيحين والمروى عن

---

(١) انظر : سفر التكوين ، والباب الأول من هذا الكتاب.

(٢) رواه مسلم وغيره .

أبى سعيد الخدرى حيث قال : خرج الرسول ﷺ فى أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: « يا معشر النساء ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» . قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل» قلن: بلى . قال : «فذاك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم » قلن : بلى . قال : «فذاك من نقصان دينها » (١) .

وحديث الرسول ﷺ أوضح أن قوة المرأة فى ضعفها ، فبالرغم من ضعفها الجسدى عن الرجل لطبيعة التكوين ولظروف الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس ، وهو ما أسقط عنها بعض الفروض الدينية فى فترات هذه الظروف ، ورغم ضعف ذاكرتها بالنسبة للتذكر لفترة طويلة ، لانشغالها بأمور فى حياتها تأخذ كل فكرها وحنانها وجهدها وطاقتها وهى حسن التبعل وقيادة مملكة الأسرة من تربية أولاد . . . إلخ ، إلا أنها بما تملكه من جمال ودلال وقوة عاطفة وبحار من الحنان ، تستطيع أن تسلب عقل الرجل الحازم ، فتستولى على فكره ، وتحتل قلبه ، فيهيم بها شوقا ، ويذوب فيها عشقا ، فهل هذه الحقيقة هى إساءة للمرأة أم هى تكريم وتشريف ؟!

ومن المعلوم أن كيد النساء على ضعفهن أشد من بأس الرجال مع قوتهم ، وجميع الأديان والحضارات تؤمن بذلك ، ففرنسا بلدة الذوق والفن والرقة والأدب والثقافة ، واحترام المرأة ، إذا حدثت فيها جريمة أو كارثة قالوا : « فتش عن المرأة ».

والتاريخ يذكرنا كم من امرأة حكمت من خلف ملوك وسلاطين وأباطرة ، وكانت لهن الكلمة العليا واتخاذ القرار ، وكم من جارية مملوكة لدى سلطان أو أمير تحكمت فيه وحكمت من خلاله ، فـ «كليوباترا » حكمت مصر وأثرت على سياسات الرومان أعظم قوة فى حينها بالمكر والدهاء والجمال ، وشجرة الدر حكمت بعد زوجها ونالت الحكم بالدهاء والمكر والخديعة ، ونابليون العظيم كانت

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

نقطة ضعفه زوجته «جوزفين» فالرسول ﷺ فى الحديث الشريف يحذر الرجل من ضعف المرأة ، وعدم الاستهانة بضعفها .

وتجدر الإشارة إلى أن إثبات الرسول ﷺ لواقع المرأة ليس فيه إهانة لهما فتقرير الحقائق طالما لم يخرج عن الصدق هو عين الحق وليس فيه إهانة ، فقد وصف الرسول ﷺ العرب من قومه فقال : « إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب» (١) ، فوصف العرب بالأمية أى بعدم معرفة القراءة والكتابة والحساب ، هو حقيقة وليس فيها امتهان للأمة إلا لو استمرت عليها .

وأخيرا نقول : إن نقصان العقل والدين فى المفهوم الإسلامى والواضح سببه لا ينقص من شأن المرأة كمسلمة عليها حق التكليف من أوامر ونواه ، وأداء فرائض ، كما أن لها نفس حقوق الرجل من ثواب وعقاب وحساب ، يقول تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾ [النساء] ، كما يقول جل شأنه : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) ﴾ [آل عمران] .

كما قال جل وعلا: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ [التوبة] .

ثالثا : شهادة المرأة نصف شهادة الرجل :

إن ادعاء خصوم الإسلام بأنه حط من شأن المرأة وأذرى قيمتها ، عندما جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل لقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

وهؤلاء الأعداء الغير منصفين ، لا يفرقون بين المعانى والمفاهيم ، وقد يفرقون ويعلمون ولكنهم ـ كعادتهم حتى فى كتبهم ـ يحرفون الكلم عن مواضعه، بهدف الإساءة إلى الدين والنيل من أحكام شريعته ، وحتى نوضح ذلك يجب أن نفرق بين الشهادة والإشهاد :

فالشهادة : معناها إسلاميا : أقوال يعتمد عليها القضاء فى اكتشاف العدل المؤسس على البينة واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم ، والقضاء الإسلامى لا يتخذ الذكورة أو الأنوثة معيارًا للصدق أو الكذب ، ومن ثم قبول الشهادة أو رفضها ، وإنما المعيار هو تحقق اطمئنان القاضى لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد ، ذكرًا أكان أو أنثى ، وبغض النظر عن عدد الشهود . . . فالقاضى إذا اطمأن ضميره إلى ظهور البينة له أن يعتمد شهادة رجلين ، أو امرأتين ، أو رجل وامرأة أو رجل وامرأتين ، أو امرأتين ورجل ، أو رجل واحد ، أو امرأة واحدة ، ولا أثر للذكورة أو الأنوثة فى الشهادة التى يحكم القضاء بناء على ما تقدمه من البينات (١) .

وقد تم الاستناد فى ميراث الجدة بشهادة امرأة واحدة .

والإشهاد : لا يقصد به إثبات واقعة إمام القضاء ، ولكن إثابت دين لأجل مسمى «مدة محددة» وذلك بوثيقة مكتوبة ، أو إثبات حقوق أخرى ، وهو ما جاء ذكره فى سورة البقرة آية [٢٨٢] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [الآية] ، وقد حددت الآية شروط الدين والإشهاد ، ومن هذه الشروط :

* دين قائم فى حق الدين ، وقد يكون لإثبات بيوع عقارية طويلة المدى .

* سداد الدين بعد مدة طويلة قد تستمر عدة سنوات ويفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

* اشترطت الآية عدالة الكاتب وهو فى الغالب من الذكور ، ومع ذلك لم يدع أحد إهانة الرجل باشتراط عدالته ، فهناك الصالح والطالح .

---

(١) الأستاذ الدكتور محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ١ / ١٠٢ .

* من يُملى الوثيقة ـ الدين ـ حتى لا يستغل الدائن ضعفه ، فلا يلى بالعدالة ويتجاوزها .

* نوعية الشهود وهم رجلان أو رجل وامرأتان ، ويشترط فيهم العدالة والمروءة والصدق بلا تفرقة بين رجل وامرأة ، ولكن الحكمة من «امرأتان» ليس لأنهما أقل قيمة من الرجل بسبب أنوثتهن ، ولكن السبب هو تعرض النساء للنسيان أكثر من الرجل ، ومرجع ذلك لطبيعة المرأة وما تعانيه من إجهاد فى القيام بأعباء وظيفتها كزوجة وربة منزل وراعية لأسرتها .

هذا وقد كرم الله المرأة فى الشهادة حيث قال : ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] » فجعل التذكير ، أى إعادة التذكر بين المرأتين وليس للرجل شأن به ، حتى لا يقال : إن الرجل بقوته وضغطه عليها قد يُضلها ويجرها إلى غير الحق.

وكل ذلك على سبيل الوصية أو النصيحة التى يتم باتباعها القضاء على نسبة كبيرة من المشاكل الناتجة عن الديون الطويلة الأجل، وتوثيق البيوع النهائية العقارية وغيرها من التى تنقل العين من شخص لآخر ، والهدف إثبات صحة الكتابة والتأكد من حدوثها فقط ، لا فى أحكام القضاء ، ويوضح ابن تيمية ذلك فيقول فى شرح حديث الرسول ﷺ : « البينة على المدعى واليمين على من أنكر»[1]: «إن البينة فى الشرع ؛ اسم لما يبين الحق ويظهره ، وهى تارة تكون أربعة شهود ، وتارة ثلاثة ، وتارة شاهدين ، وشاهد واحد ، وامرأة واحدة وتكون نكولاً ـ أى امتناع عن اليمين ـ وقد تكون يمينًا ، أو أربعة أيمان ، وتكون شاهد الحال ، فقوله ﷺ : « البينة على المدعى » أى عليه أن يظهر ما يبين صحة دعواه ، فإذا ظهر صدقه بطريق من الطرق حكم له » .

وعلى ذلك يمكن القول :

« ليس فى القرآن ما يقتضى أنه لا يحكم إلا بشاهدين أو شاهد وامرأتين ،

---

(١) رواه البخارى وابن ماجه.

فإنه سبحانه وتعالى إنما أمر بذلك أصحاب الحقوق أن يحفظوا حقوقهم بهذا النصاب ، ولم يأمر الحكام والقضاة أن يحكموا به، ولهذا يحكم الحاكم بالنكول، واليمين المردودة والمرأة الواحدة ، والنساء المفردات لا رجل معهن » وبمعاقد القمط، ووجود الآجر ، وغير ذلك من طرق الحكم التى لم ترد بالقرآن، فطرق الحكم شيء وطرق حفظ الحقوق شيء آخر » .

هذا وقد أخذت السنة النبوية المطهرة بشهادة المرأة المفردة أو النساء بدون رجال معهن وذلك فى الأمور التالية :

١ ـ شهادة المرأة على نفسها فى اقترافها الزنا .

٢ ـ شهادة المرأة فى الرضاع ، ففى الصحيحين عن عقبة بن الحارث : أنه تزوج أم يحيى بنت أبى أهاب ، فجاءت أمة سوداء ، فقالت : قد أرضعتكما ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ ، فأعرض عنى ، قال : فتنحيت فذكرت ذلك له ، فقال: «فكيف ، وقد زعمت أن قد أرضعتكما ».

٣ ـ شهادة المرأة فيما لا يفقه فيه الرجال أو يطلعوا عليه : يؤخذ بشهادتها عند إثبات استهلال الصبى ، أى حدوث ما يدل على أنه ولد حيا من بكاء أو حركة أو غيره ، وهى هامة فى إثبات الحقوق والمواريث ، وفى الحمام الذى يدخله النساء، وما يكون فيه من أمور لا يطلع الرجال عليها ، كما يجوز شهادة المرأة الواحدة فى الحيض والعدة والسقط وكل ما لا يطلع عليه إلا النساء.

كما يرى بعض الفقهاء جواز شهادة المرأة ما دامت ثقة فى كل الأمور ، ما عدا الحدود والقصاص ، ويرى قلة منهم جواز شهادتها فى ذلك .

إذن الإسلام لم يهن المرأة فى الشهادة ، ولكن نظر نظرة موضوعية إلى طبيعة المرأة وإمكان تعرضها للنسيان بعد مدة طويلة من الإشهاد على العقود الهامة .

رابعًا : سفر المرأة وتحكم الرجل فيه :

يدعى خصوم الإسلام أن حماية الرجل للمرأة ومصاحبتها فى حالة السفر البعيد أو القريب هو انتقاص من قيمة المرأة ، وهو أسلوب ديكتاتورى للتحكم فى حريتها، وقد غضوا الطرف عن كونه أسلوب تكريمى شُرِع لحمايتها من أخطار

الطريق وذئابه البشرية قبل الحيوانية ، فكم من بار حُسِب بره خطيئة مما لا يعلمون.

والإسلام باحتفائه الزائد عن المرأة والاهتمام بصون عرضها ، والحفاظ على كرامتها ، جعل تأمينها جسداً وروحاً وكرامة أفضل من الجهاد ، ويقول الشيخ محمد الغزالي عن ذلك : قد روى الشيخان أن رجلا قال : يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني أكتتب في غزوة كذا وكذا ؟ قال : «انطلق فحج مع امرأتك ! » .

وتعطيل رجل عن الجهاد ليصحب امرأته في حجتها أمر له دلالته ! والقاعدة الشرعية « دَرءُ المفاسد مقدم على جلب المصالح » وانطلاق امرأة على ناقتها تطوى الطريق بالليل والنهار وحدها مظنَّة تهجُّم السفلة وقطاع الطريق عليها ، ولم تخل الدنيا قديما ولا حديثا من أولئك الأوباش الذين يستضعفون النساء وينتهزون فرصة لاغتصابهن!!

وقال رسول الله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، تسافر ثلاث ليالٍ إلا ومعها محرم » ، وفي رواية أبي داود : « لا تسافر بريداً - أي مسيرة نصف يوم » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ولا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها»[1] .

ومعنى هذه الأحاديث مجتمعة : أن أقل مدة لسفر المرأة بلا محرم هي نصف يوم ، وتكرار تعبير « لا يحل » يوضح التحريم الكامل الشامل .

وهذا العبء على الزوج أو المحرم هو من قبيل الجهد والمشقة ، ولكن في سبيل المحافظة على المرأة وحمايتها وصون كرامتها، وليس الهدف هو الحجر عليها، ولذلك أفتى الكثير من علماء المسلمين بجواز سفر المرأة مع من توفره الدولة لحمايتها من مشرفين ومشرفات بشرط صلاحهم ، وقد أثبتت التجارب الفعلية أن سفر المرأة بمفردها يعرضها لكثير من المخاطر منها الاغتصاب ، فياله من تكريم أكرم

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي.

الإسلام به المرأة » ثم يدعى من لا يعلمون أنه مجرد حبس حرية!

خامسا : شبهة ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة (١) :

معنى الولاية : « الوِلاية والوَلاية : هى النصرة ، وكل من وُلى أمر الآخر فهو وليه .

وقد جاء عن الولاية فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) ﴾ [الجمعة] .

فالولى هو الناصر والمعين ومن تهتم بأمر من ولاه .

ولقد انتصر الإسلام للمرأة ونصرها ، ففاق بذلك الأديان السابقة والحضارات الغابرة ، وسبق الثقافات والقوانين والحضارات الحالية ، التى مهما تطاولت وادعت إنصافها للمرأة كانت كالظلام الذى يدعى أنه ينير ويشع سنًا .

ومن مظاهر ولاية الإسلام للمرأة ونصرتها :

١ ـ حمايتها من القتل والمهانة :

فقد كان العرب والكثير من المجتمعات الغربية والشرقية وغيرها ، يجدون فى مولد الفتاة نذيرا للشؤم ومجلبة للعار ،وقد صور القرآن الكريم ذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) ﴾[النحل].

وعلى ذلك قد يفكر البعض من التخلص من البنت المولودة فيقوم بدفنها حية ـ يدسه فى التراب ـ وهو ما سمى بالوأد ، وقد نهى القرآن عن ذلك حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) ﴾ [التكوير] ، السؤال هنا للاستفهام التعجبى » فالله تعالى يسأل عن إجابة هو يعلمها ولكنه تعالى يتعجب من هذا التصرف اللاإنسانى ويستنكره وهو تصرف يرجع للخوف من الفقر أو سبى

---

(١) الأستاذ الدكتور محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ١/ ١٤٥.

البنات أو ضياع شرفهن ، ولذلك حذر الله تعالى المسلمين أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر ، فهو يرزقهم جميعا .

٢ ـ الإنفاق على البنت فى جميع مراحل حياتها :

فالأب مسؤول عنها والإنفاق عليها وهى طفلة وحتى سن الزواج ، والزوج مسؤول عنها والإنفاق عليها طوال الحياة الزوجية ، ولها حقوق لو طلقت .

والابن مسؤول عنها فى الكبر ،والأخ مسؤول عنها إذا لم تتزوج أو طلقت .

٣ ـ حقها فى اختيار الزوج والموافقة على الزواج منه .

٤ ـ إدارة أموالها والاشتغال بالتجارة وغيرها .

٥ ـ حقها فى الدعوة إلى الله .

٦ ـ حقها فى الدفاع عن الدين والوطن عند الضرورة .

وقد ثبت أن النساء كن يساعدن فى إدارة شؤون الحرب وعلاج المصابين والسيدة نسيبة بنت كعب الأنصارية دافعت عن الرسول ﷺ فى أحد وقاتلت دونه وأصيبت .

والولاية فى الإسلام نوعان هما :

أ ـ الولاية الخاصة : ومنها ما سبق ذكره من حقوق النفقة واختيار الزوج وإدارة الأموال والدعوة إلى الله والدفاع عن دينه والدفاع عن الأوطان عند الضرورة وكل الأمور الخاصة بنفسها وبعض ما يخص دينها ووطنها .

ب ـ الولاية العامة : ويقصد بها ما يعطى من حقوق ومسؤوليات تكفل لها تولى أمر غيرها ، خارج نطاق نفسها وأسرتها ، ومن ذلك المشاركة فى العمل العام والعمل السياسى وحق الانتخاب وحق الترشيح ، وتولى القضاء ، وممارسة الحكم ورئاسة الدولة .

ولا خلاف بين أئمة المسلمين فى كل هذه الحقوق ما عدا القضاء والحكم أو رئاسة الدولة .

ففى مجال المشاركة السياسية وحق الانتخاب ثبت أن الصحابيات بايعن رسول

الله ﷺ فى بيعة العقبة ، وكان للسيدة عائشة دور سياسى فى الفتنة بين معاوية وعلى بن أبى طالب ، إذن فالدور السياسى والمشاركة فى اتخاذ القرار لا خلاف عليه إلى حد ما بين المسلمين .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى مؤيدًا ومثبتًا حق المرأة فى الترشيح والتمثيل فى المجالس النيابية :

« وما دام من حق المرأة أن تنصح وتشير بما تراه صوابا من الرأى . وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقول : هذا صواب وهذا خطأ ، بصفتها الفردية فلا يوجد دليل شرعى يمنع من عضويتها فى مجلس يقوم بهذه المهمة . والأصل فى أمور العادات والمعاملات الإباحة ، إلا ما جاء فى منعه نص صحيح صريح . وما يقال من أن السوابق التاريخية فى العصور الإسلامية لم تعرف دخول المرأة فى مجالس الشورى ، فهذا ليس بدليل شرعى على المنع ، فهذا مما يدخل فى تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال ، والشورى لم تنظم فى تلك العصور تنظيمًا دقيقا لا للرجال ولا للنساء ، وهى من الأمور التى جاءت فيها النصوص مجملة مطلقة . وترك تفصيلها وتقييدها لاجتهاد المسلمين ، حسب ظروفهم الزمانية والمكانية وأوضاعهم الاجتماعية .

ونحن الآن نتيح للمرأة أعمالا لم تكن معروفة من قبل . وننشئ لها المدارس والكليات التى تضم الملايين من الفتيات ، وتخرج معلمات وطبيبات ومحاسبات وإداريات . وبعضهن مديرات لمؤسسات فيها رجال ، فكم من معلم فى مدرسة بنات تديرها امرأة ، وكم من أستاذ فى كليات بنات عميدها امرأة . وكم من موظف فى شركة أو مؤسسة تديرها امرأة أو تملكها امرأة . وقد يكون زوج المرأة نفسه مرؤوسا لها فى المدرسة أو الكلية أو المستشفى. أو المؤسسة . أو المؤسسة التى تديرها ، وهى مرؤوسة له إذا عادت إلى البيت .

والقول بأن مجلس الشعب أو الشورى أو الأمة ـ حسب تسمياته المختلفة ـ أعلى مرتبة من الحكومة أو السلطة التنفيذية نفسها ، ومنها رئيس الدولة ، لأنه هو الذى يحاسبها قول غير مسلم على إطلاقه .

فليس كل محاسب أعلى منزلة ممن يحاسبه . إنما المهم أن يكون له حق

المحاسبة وإن كان أدنى منه ، فمما لا ريب فيه أن أمير المؤمنين ، أو رئيس الدولة أعلى منزلة ، وأعلى سلطة فى الدولة ومع هذا نجد أن من حق أدنى فرد فى رعيته أن ينصح له ، ويحاسبه ويأمره وينهاه ، على نحو ما قاله الخليفة الأول : «إن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى ».

وما قاله الخليفة الثانى : من رأى منكم فىّ اعوجاجا فليقومنى.

ولا ينكر أحد أن من حق المرأة أن تحاسب زوجها ـ وهو القوام عليها فى شؤون البيت والنفقة . وتقول له : لم اشتريت هذا ؟ ولم أكثرت من هذا ؟

على أننا لو سلمنا بأن سلطة المحاسب أعلى ممن يحاسبه ، فهذا إنما يثبت للمجلس بصفته الجماعية ، فالمجلس بهذا الوصف أعلى من السلطة التنفيذية فيما هو من حقه واختصاصه وما دام المجلس مكونا فى أغلبيته من الرجال ، فلا محل للقول بأن المرأة أصبحت لها ولاية على الرجل بذلك ، إنما يصدق هذا القول لو كان المجلس كله أو جله من النساء » [١] .

أما ولاية القضاء والإمارة أى الحكم ، فهناك شبه إجماع على عدم تولى المرأة لهما ، وسبب ذلك يرجع أساسا لحديث رسول الله ﷺ « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » [٢] ، ولهذا الحديث روايات أخرى منها « لن يفلح قوم تملكهم امرأة»، و « لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة » ويعلق على الحديث أ.د/ محمد عمارة فيقول [٣] :

« فإذا كانت صحة الحديث من حيث الرواية ، هى حقيقية لا شبهة فيها فإن إغفال مناسبة ورود هذا الحديث يجعل «الدراية » بمعناه الحقيقى مخالفة للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للعمل العام ، ذلك أن ملابسات قول الرسول ﷺ لهذا الحديث تقول : إن نفراً قد قدموا من بلاد فارس إلى المدينة المنورة ، فسألهم الرسول ﷺ قائلا : « من يلى أمر فارس ؟ » قال أحدهم : امرأة ، فقال ﷺ : « ما أفلح قوم ولو أمرهم امرأة » .

(١) د. توفيق يوسف الواعى : النساء الداعيات ص ٢٠٦، ٢٠٧ دار الوفاء بالمنصورة.
(٢) رواه البخارى والترمذى والنسائى .
(٣) شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ١ / ١٤٨ ، ١٤٩ طبعة وزارة الأوقاف بمصر.

فملابسات ورود الحديث تجعله نبوءة سياسية بزوال ملك فارس وهى نبوءة نبوية ، قد تحققت بعد ذلك بسنوات ، أكثر منه تشريعا عاما يحرم ولاية المرأة للعمل السياسى العام ، ثم إن هذه الملابسات تجعل معنى هذا الحديث خاصا بالولاية العامة ، أى رئاسة الدولة وقيادة الأمة .

ويفهم من رأى الأستاذ الدكتور محمد عمارة : أن الحديث صحيح وهو يوضح نبوءة بانتهاء الحضارة الفارسية العظمى وهو ما حدث فعلاً ، كما أن المقصود منه تحريم الولاية العامة للنساء ، أى الإمامة العظمى للمسلمين أجمعين وما كان يسمى قديما بالخلافة العظمى ، والتى سقطت بسقوط الخلافة العثمانية (١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م) وحتى الآن .

إذن سيادته يرى جواز حكم المرأة لأى بلد عربى كمصر أو السعودية أو ليبيا أو غيرها ، لأن هذه البلاد كل على حدة ، لا يدخل الحكم فيها فى مفهوم الإمامة أو الخلافة الكبرى ، ولذلك فهو يقول (١) :

« تغير مفهوم الولاية العامة فى عصرنا الحديث وذلك بانتقاله من « سلطان الفرد إلى سلطان المؤسسة » والتى يشترك فيها جمع من ذوى السلطان والاختصاص ولاشك أن هذا الرأى لمفكر عظيم جدير بالدراسة ، ومع ذلك فقد يعترض عليه الجم الغفير من العلماء ، لأسباب منها :

١ ـ المتتبع للسيرة النبوية يجد أن الرسول ﷺ فى غزواته خارج المدينة كان يولى فى غيابه عنها عبد الله ابن أم مكتوم وهو أعمى،مع وجود فضليات الصحابيات الأعلى منه والأفقه منه، ومنهن أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ.

٢ ـ فى الحديث والقديم لم يكن الحكم فرديًا ، فكان لكل أمير أو خليفة أو حاكم هيئة مستشارين إذا صلحوا صلح الحكم ، ولو كان الحاكم نفسه فاسداً، فالكثير من الخلفاء لم يخلوا من نقد شخصى وعيوب تقدح فى مروءتهم ، ومع ذلك أجادوا اتخاذ القرار وفتحوا الدنيا بالاستعانة بالحكماء فى كل مجال ؛ ولذا كان حرصهم على ارتياد الحكماء والعلماء فى شتى أنواع المعرفة لمجالسهم من آيات

(١) شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ١ / ١٥٠ .

الزهو والفخر » ونحن نرى أن هناك وزراء نالوا شهرة وتكريمًا وذكرًا حتى الآن وقد نسى طوى النسيان أسماء ما خدموه من خلفاء.

وقد استرشد سيادته بقصة ملكة سبأ فى القرآن الكريم كدليل على صلاحية المرأة للحكم وتولى الإمارة أو الملك أو الرئاسة فقال (١) :

« . . . هى امرأة ، أثنى عليها القرآن الكريم وعلى ولايتها للولاية العامة ؛ لأنها كانت تحكم بالمؤسسة الشورية ـ لا بالولاية الفردية ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل] وذم القرآن فرعون مصر ـ وهو رجل ـ لأنه قد انفرد بسلطان الولاية العامة وسلطة صنع القرار ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [غافر] . . . فلم تكن العبرة بالذكورة أو الأنوثة فى الولاية العامة ، وإنما كانت العبرة بكون هذه الولاية «مؤسسة شورية » ؟ أم سلطانا فرديا مطلقًا » .

ولاشك أن قصة بلقيس فى القرآن الكريم لهى خير مثل يقتدى به للمرأة الحكيمة الحاكمة ، والتى ربما ندر مثلها بين الرجال ، ولكن كانت فى حضارات سابقة لم تحكم بالإسلام أو الديانات السماوية السابقة ، فقد كانت وقومها من عبدة الشمس ، وقد وصفها الهدهد مع قومها فقال: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل] . وعلى ذلك لو كانت بلقيس تحكم تحت مظلة شرعية دينية لجاز لنا الاقتداء بها كدليل على إمكان تولى المرأة الحكم أو الملك أو الرئاسة .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى عن ذلك (٢) :

« أما ولاية بعض النساء على بعض الرجال ـ خارج نطاق الأسرة ـ فلم يرد ما يمنعه بل الممنوع هو الولاية العامة للمرأة على الرجال .

---

(١) شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ١ / ١٥١ .

(٢) الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى يعمل عميدًا لكلية الشريعة بقطر ، وهو من أكبر علماء الإسلام حاليا، وربما أعظمهم ، ولا نزكى على الله أحدًا .

والحديث الذى رواه البخارى عن أبى بكرة ﷺ مرفوعًا : «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» إنما يعنى الولاية العامة على الأمة كلها أى رئاسة الدولة ، كما تدل عليه كلمة «أمرهم» فإنها تعنى أمر قيادتهم ورياستهم العامة . أما بعض الأمر فلا مانع أن يكون للمرأة ولاية فيه ، مثل ولاية الفتوى أو الاجتهاد ، أو التعليم أو الرواية والتحديث أو الإدارة ونحوها ، فهذا مما لها ولاية فيه بالإجماع ، وقد مارسته على توالى العصور».

وللحقيقة نقول : لا خير فى رجال حكمتهم امرأة ، فإن كانت تستحق حكمهم فإنهم يستحقون أن يقادوا ، وإن لم تستحق حكمهم ، فقد فشلوا فى الحفاظ على حقهم ، فلا خير يرجى منه ولا صلاح فيهم فى كل الأحوال :

ولاية القضاء للمرأة :

الأمر مهما اختلف فيه العلماء فهو ليس بإجماع أو شبه إجماع ، كتحريم تولى المرأة الإمامة العظمى ، ويقول الدكتور يوسف القرضاوى فى ذلك [(١)] : حتى القضاء أجازه أبو حنيفة فيما تشهد فيه ، أى فى غير الحدود والقصاص ، مع أن من فقهاء السلف من أجاز شهادتها فى الحدود والقصاص ، كما ذكر ابن القيم فى «الطرق الحكمية» . وأجازه الطبرى بصفة عامة ، وأجازه ابن حزم ، مع ظاهريته، وهذا يدل على عدم وجود دليل شرعى صريح يمنع من توليها القضاء ، وإلا لتمسك به ابن حزم ، وجمد عليه ، وقاتل دونه كعادته.

وسبب ورود الحديث المذكور يؤيد تخصيصه بالولاية العامة ، فقد بلغ النبى ﷺ أن الفرس بعد وفاة إمبراطورهم ، ولوا عليهم ابنته بوران بنت كسرى، فقال: «لن يفلح قوم» الحديث.

وقد فصل الأستاذ الدكتور محمد عمارة ذلك فقال [(٢)] :

« إن علة اختلاف الفقهاء حول جواز تولى المرأة لمنصب القضاء ، فى غيبة

---

(١) د/ توفيق يوسف الواعى : النساء الداعيات ص ٢٠٤ ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة .

(٢) الأستاذ الدكتور محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ١/ ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧.

النصوص الدينية ـ القرآنية والنبوية ـ التى تتناول هذه القضية ، كانت اختلاف هؤلاء الفقهاء فى الحكم الذى قاسوا عليه توليها للقضاء ، فالذين قاسوا القضاء على الإمامة العظمى التى هى الخلافة العامة على أمة الإسلام ودار الإسلام مثل فقهاء المذهب الشافعى قد منعوا توليها للقضاء ، لاتفاق جمهور الفقهاء ـ باستثناء بعض الخوارج على جعل الذكورة شرطا من شروط الخليفة والإمام ، فاشترطوا هذا الشرط ، الذكورة فى القاضى ، قياسا على الخلافة والإمامة العظمى.

ويظل هذا القياس قياسا على حكم فقهى ليس عليه إجماع ـ وليس قياسا على نص قطعى الدلالة والثبوت .

والذين أجازوا توليها القضاء ، فيما عدا قضاء القصاص ، والحدود ، مثل أبى حنيفة [٨٠ ـ ١٥٠هـ ـ ٦٩٩ ـ ٧٦٧م] وفقهاء مذهبه قالوا بذلك لقياسهم القضاء على الشهادة ، فأجازوا قضاءها فيما أجازوا شهادتها فيه ، أى فيما عدا القصاص والحدود .

فالقياس هنا ـ أيضا ـ على حكم فقهى ، وليس على نص قطعى الدلالة والثبوت . . وهذا الحكم الفقهى المقيس عليه وهو شهادة المرأة فى القصاص والحدود . . أى فى الدماء ـ ليس موضع إجماع ـ فلقد سبق وذكرنا ـ فى رد شبهة أن شهادة المرأة هى على النصف من شهادة الرجل ـ أجازة بعض الفقهاء لشهادتها فى الدماء وخاصة إذا كانت شهادتها فيها هى مصدر البينة الحافظة لحدود الله وحقوق الأولياء.

أما الفقهاء الذين أجازوا قضاء المرأة فى كل القضايا ـ مثل الإمام محمد بن جرير الطبرى [٢٢٤ـ ٣١٠هـ ، ٨٣٩ ـ ٩٢٣م] فقد حكموا بذلك ، لقياسهم القضاء على الفتيا ، فالمسلمون قد أجمعوا على جواز تولى المرأة منصب الإفتاء الدينى ـ أى التبليغ عن رسول الله ﷺ ـ وهو من أخطر المناصب الدينية ـ وفى توليها للإفتاء سنة عملية مارستها نساء كثيرات على عهد النبوة ـ من أمهات المؤمنين وغيرهن ـ فقاس هؤلاء الفقهاء قضاء المرأة على فتياها ، وحكموا بجواز توليها كل أنواع القضاء ، لممارستها الإفتاء فى مختلف الأحكام » .

كما أن شرط الذكورة فى القاضى ، هو واحد من الشروط التى اختلف فيها

الفقهاء » حيث اشترطه البعض فى بعض القضايا دون البعض الآخر ، وليس فيه إجماع ، كما أنه ليس فيه نصوص دينية تمنع أو تقيد اجتهادات المجتهدين .

وسادسها : أن منصب القضاء وولايته قد أصابها هى الأخرى ما أصاب الولايات السياسية والتشريعية والتنفيذية من تطور انتقل بها من الولاية الفردية ، إلى ولاية المؤسسة، فلم تعد ولاية رجل أو ولاية امرأة ، وإنما أصبح الرجل جزءاً من المؤسسة والمجموع، وأصبحت المرأة جزءاً من المؤسسة والمجموع، ومن ثم أصبحت القضية فى كيف جديد يحتاج إلى تكييف جديد يقدمه الاجتهاد الجديد لهذا الطور المؤسسى الجديد الذى انتقلت إليه كل هذه الولايات . . ومنها ولاية المرأة ».

وعلى ذلك وحيث إن أمر تولى المرأة للقضاء ، لم يتم عليه إجماع ، فيجوز توليها له.

إذن حديث رسول الله ﷺ « ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » هو خاص بتحريم تولى المرأة فقط لمنصب رئيس الدولة أو ما فى حكمه ، ولها أن تعمل بالعمل السياسى كمرشحة للبرلمان أو كناخبة ، ويجوز عملها كقاضية ، ويكفى الإسلام فخراً أن بعض النساء كان لهن نصيب فى تشريع بعض القوانين الإسلامية، والمرأة التى ردت على عمر رضي الله عنه فى المسجد ، كان ردها متصلا بأمر تشريعى يتعلق بالأسرة ، وهو تحديد المهور بحد أقصى ، وكانت مناقشة المرأة سببا فى عدول عمر عن إصدار قانونه بتحديد الصداق .

وهناك قوانين أو قرارات أصدرها عمر رضي الله عنه كان للمرأة يد فى إصدارها مثل قانون عدم تغييب الزوج فى الجيش عن زوجته أكثر من ستة أشهر . فقد سأل ابنته حفصة : ما أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت : أربعة أشهر أو ستة أشهر .

على أننا حين نقول بجواز دخول المرأة فى مجلس الشعب. لا يعنى ذلك أن تختلط بالرجال الأجانب عنها ، بلا حدود ولا قيود ، أو يكون ذلك على حساب زوجها وبيتها وأولادها ، أو يخرجها ذلك عن أدب الاحتشام فى اللباس والمشى والحركة والكلام ، بل كل ذلك يجب أن يراعى بلا ريب ولا نزاع من أحد.

فهيا بنا أخى المسلم لنفلح بتطبيق الشريعة الإسلامية .

المبحث الخامس

فضائل القوامة فى الإسلام ومخازى القوامة فى اليهودية والمسيحية

مما سبق إيضاحه يتبين : أن القوامة في الإسلام بلغت بالمرأة أعلى مكانة تدليل وتشريف وإعزاز ، أما فى اليهودية والمسيحية فهى «تسلط» أى الرياسة بالضغط والإكراه .

فقد آمنت التوراة بضرورة قوامة الرجل على المرأة حيث فشلت المرأة فى أن تكون المعين والمساعد للرجل في الجنة ، فتسببت فى إخراجه منها ، ولذلك فله حق القيادة والرئاسة والإدارة فى الدنيا والتى وصفت بلفظ ثقيل المعنى والمفهوم وهو «التسلط» ، أى الرياسة بضغط وإكراه ، وكان من حق الوالد على ابنته أن يبيعها لسداد ديونه .

ومن حق الزوج على زوجته اللواط معها بدون رغبتها ومن حق الأب تزويج ابنته بدون أخذ رأى أمها .

وكان من آثار هذا التسلط :

* عدم احتفاظ المرأة باسم عائلتها إذا تزوجت من عائلة أخرى .
* عدم الحق فى مباشرة إدارة الأموال إلا بوصاية زوجها .

وقد لخصت الموسوعة اليهودية العلاقة بين الرجل والمرأة : « الرجل سيد على المرأة ، وأنها ملك له ، وإن كانت تستشار بعض الوقت » .

وتؤمن المسيحية بأن العدل هو خضوع المرأة للرجل ؛ لأن المساواة فى الكرامة تجلب الصراع ، والمرأة لا تستحقها ، لأنها أساءت استخدام السلطة فى الجنة فخرجت منها هى وزوجها .

وعبر بولس عن خضوع المرأة للرجل وجعله كالعبادة تماما حيث قال: «(٢٢) أيهما الزوجات اخضعن لأزواجكن كما للرب ،(٢٣) فإن الزوج هو رأس الزوجة، كما أن المسيح هو رأس الكنيسة » [أفسس ٥ : ٢٢ ، ٢٣] .

كما يقول « رأس المرأة هو الرجل » [١ كورنثوس ١١ : ٣].

ونتج عن هذا التسلط عدة أحكام مجحفة بالمرأة منها :

أ ـ لا ينبغى أن تكون المرأة معلمة للرجل .

ب ـ الصمت فى الكنيسة وعدم الكلام نهائيا.

جـ ـ تغطية رأسها فى الصلاة .

د ـ تحريم عملها كداعية دينية أو العمل الكهنوتى بالكنيسة .

هـ ـ عدم حقها فى الاستقلال بذمتها المالية ومزاولة أعمال التجارة والتصرفات المالية.

أما القوامة فى الإسلام : فهى تعنى حق الطاعة الواجبة على الزوجة تجاه زوجها ، وهى طاعة عَطاء وبذل متبادل بلا منافسة ولا شحناء ، فالرجل هو القائد والمرأة مركز القيادة ، دون إخلال بإنسانيتها أو كرامتها ، بل إن هدف القائد هو رفعة شأن المرأة سواءً كزوجة أم ابنة أو أم ، فعليه حق العناء ولها حق الرفاهية والإعزاز ، فإدارة دفة الحياة لا تصلح بقائدين متساويين ، والرجل فى قيادته ليس له حق الاستبداد والاستعلاء ، ولكن عليه مشاورة المرأة فيما يخص الأسرة من قرارات .

وحق القوامة فى الإسلام فيه كامل حماية المرأة مما يواجهها من أخطار تمس الشرف أو الكرامة أو الكبرياء ، فهى جوهرة مصونة لا يعبث بها أى طامح أو طامع ، فإن احتاجت التقويم والإرشاد فهناك ضمانات لعدم إهانتها أو مس كبريائها، وإن شهدت كان لها حق شهادة مع مراعاة طبيعتها كامرأة بلا نقصان فى أهليتها، وإن وليت أمرًا فلابد أن يكون فى حدود إمكانياتها وطاقاتها وطبيعتها حتى تفلح فيه ، ولها حرية امتلاك الأموال والتصرف فيها ، وحرية مفارقة الزوج إن رغبت فى ذلك «الخلع» فإرادتها فى الإسلام كاملة ، وكرامتها مصونة وهى المشاركة للرجل فى شتى مناحى الحياة ، وهى السكن والمودة والرحمة .

الفصل الثانى

عمل المرأة فى الكتب والأديان السماوية والإسلام

المبحث الأول

عمل المرأة فى التوراة والديانة اليهودية

أوضحت التوراة : أن هدف الله من خلق المرأة « حواء » لآدم زوجها ، هو أن تكون معينا له ، وحتى لا يكون وحيداً فالإنسان كائن اجتماعى يموت لو عزل عن المجتمع ، ولكن المرأة فى إعانتها للرجل أخطأت فى أول اختبار ، فكان الجزاء لها أن تحمل أولاده وتخدم منزله ، ويكون هو سيدها المطاع .

دور المرأة فى حياة الرجل :

هى المعينة : أى المساعدة للرجل لا المنافسة أو المتطاولة عليه :

« (١٨) ثم قال الرب الإله : ليس مستحسنًا أن يبقى آدم وحيداً ، سأصنع له معينًا مشابها له » [التكوين ٢] .

هى التابعة للرجل وهو المتبوع لأنها منه خُلِقت :

« (٢١) فأوقع الرب الإله آدم فى نوم عميق ، ثم تناول ضِلعًا من أضلاعه وسد مكانها باللحم (٢٢) وعمل من هذا الضلع المرأة وأحضرها إلى آدم » [تكوين٢] .

هى السكن والراحة وموضع الشهوة واللذة :

« (٢٣) فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . . . (٢٤) لهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويصيران جسدًا واحدًا » [التكوين ٢ : ٢٣ ، ٢٤] .

إذن المرأة هى معين أى مساعد للرجل ، وحيث إنها خلقت منه فلابد من وجود الميل الفطرى الطبيعى للالتصاق بالرجل حتى يصيران جسداً واحداً كما كانا، وذلك عن طريق الزواج الشرعى والمعاشرة الزوجية .

فشل المرأة كمعين لآدم :

المُعين هو المساعد ، والمساعد له حق إبداء الرأى والمشورة ، كما أن للمعان حق اجتهاد المعين له فى تحقيق رغباته ، وقد فشلت المرأة كمعين لآدم فى أول تجربة فكانت بئس المعين ، حيث إنها أول من غوى وأكل من الشجرة المحرمة ثم ناولت زوجها آدم ليأكل ، وبذلك صارت المعينة أول خاطئة وكانت إعانتها لآدم سبب أول خطيئة له أوردته وذريته الهلاك :

« (٦) وعندما شاهدت المرأة أن الشجرة لذيذة للمأكل وشهية للعيون ، ومثيرة للنظر قطفت من ثمرها وأكلت ثم أعطت زوجها أيضا فأكل معها» [تكوين٣].

وهنا يلاحظ ضعف المرأة أمام الإغراءات ، فالشجرة لذيذة ، شهية للعيون ، أى جميلة المنظر » فأكلت أولاً ثم أطعمت زوجها .

عقاب المرأة والرجل والذى حدد طبيعة عمل كل منهما فى الحياة :

أما عقاب المرأة : فهو أن تكون مهمتها هى الزوجة وأم الأولاد الذين ينجبوا بالآلام « (١٦) . . . أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادًا ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك » [تكوين ٣].

وهنا اكتملت صورة المرأة كزوجة وحددت علاقتها المتبادلة مع الرجل ، هو يترك أباه وأمة ليلتصق بامرأته حتى يصيرا جسدًا واحدًا، وهى تبادله نفس الشعور، فإلى زوجها يكون الاشتياق ، وهذان التعبيران من أجمل وأجل أوصاف الشهوة المتبادلة والعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة ، وفى المجال الزوجى والاجتماعى الرجل سيد المرأة ؛ لأنه صاحب القرار « المتسلط » أى الآمر الناهى.

أما عقاب الرجل : فهو الكد والشقاء والعمل الدائم الدائب منذ قدرته عليه حتى موته «(١٧) . . . فالأرض ملعونة بسببك وبالمشقة تقتات منها طوال عمرك، (١٨) شوكًا وحسكًا تنبت لك ، وأنت تأكل عشب الحقل ، (١٩) بعرق جبينك تكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، فمن تراب أخذت ، وإلى تراب تعود » [التكوين٣] .

إذن الرجل هو الذى يعمل والمرأة وظيفتها المنزل ، فهى محل الشهوة ووعاء

الحمل والإنجاب ، وهو المسيطر وصاحب حق الإدارة «القوامة» وبذلك يتحقق أنها «معين للرجل» .

وتقول الموسوعة اليهودية فى ذلك [١] :

« رأى التوراة فى أصل المرأة ثم التعبير عنه فى كونها خلقت لخدمة الرجل كمساعد مناسب له ، فقد تكونت من أحد الأضلاع للرجل الأول «آدم» ويرتبط جوهر المرأة كمخلوق إنسانى بوظيفتها كرفيقة للذكر ، ومع ذلك فإنه قيل : إن المرأة لعبت دوراً أساسيا فى تقديم العصيان فى جنة عدن » .

وعن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة تقول الموسوعة اليهودية :

« فى علم الأجناس البشرية فى التوراة ، كان السبب الأول فى وجود الجنسين هو الحاجة للتكاثر ، فالكائن البشرى ولد من امرأة ، وكانت العلاقة الزوجية أكثر وداً وحميمة من تلك العلاقة بين الوالد والمولود ، وكانت الوظيفة الرئيسية للمرأة هى حمل الأطفال ، وكانت الزوجة الجيدة والأم الجيدة تتمتع بالمديح من زوجها وأولادها ، وكان عدم إنجاب الأطفال سببا فى التوبيخ والمعاناة الشخصية » .

وصفات المرأة ، جيدة أو سيئة ، كانت مضرب الأمثال ، فقد كانت السخرية من كل صفاتها : الحمقاء ، المبتهجة والجميلة ، ومن ناحية أخرى تم تكريم المرأة الفاضلة ، وقد جسدت المرأة صفات الجد والبهجة والمديرة الجيدة والماهرة فى أعمال المنزل والكريمة فى اهتمامها الآخرين .

المرأة كمعينة للرجل كما جاء بالتوراة :

بالرغم من الإيمان والأمر باعتبار وظيفة المرأة الأساسية هى الزوجة والأم بكل ما تحمله الكلمتان على بساطتهما المتناهية من معان ، وما تحمله من تبعات عظام ومسؤوليات ينوء عنها الرجال مع قوتهم ، إلا أن المرأة ساعدت الرجل فى أمور أخرى ووظائف فى الكثير من مناحى الحياة .

المرأة كراعية غنم .

كانت راحيل زوجة يعقوب وأم يوسف راعية أغنام .

---

(١) الموسوعة اليهودية : فصل الحالة التى خلقت عليها المرأة .

« (٩) وفيما هو يكلمهم « يعقوب » أقبلت راحيل مع غنم أبيها ، لأنها كانت راعية أيضا » [التكوين ٢٩].

ويجب مراعاة أن لابان لم يكن له أبناء ذكور ، فقامت ابنته بالرعى ، وزوجه موسى صفورة كانت راعية حيث لم يكن لأبيها ذكور وكان لدبى سبع بنات .

« (١٦) وكان لكاهن مديان سبع فتيات فأقبلن واستقين ماء وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن» [الخروج ٢] .

المرأة قاضية ونبية :

« (٤) وكانت دمورة زوجة لفيدوت امرأة نبية وقاضية لإسرائيل فى ذلك الوقت (٥) وكانت تعقد مجلس قضائها تحت نخلة دبورة . . . فكان بنو إسرائيل يفدون إليها للقضاء » [القضاة ٤] .

ومعنى نبية : ليس صاحبة رسالة سماوية وشريعة ومنهج ، ولكن يوحى إليها « تتنبأ » بأوامر الله فى الحرب وضرورة الطاعة ، ومصير الحكام والملوك اليهود ، وحالهم من الرضا أو الغضب والانتقام وقد كانت أيضا مريم أخت هارون وموسى نبية بنفس المعنى ، فقد اعترض هارون وأخته مريم على زواج موسى من كوشيه وقالا : « (٢) هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضًا ؟ فسمع الرب . . . (٦) فقال «الرب» اسمعا كلامى : إن كان بينكم نبى للرب فإنى أستعلن له بالرؤيا ، وأكلمه بالعلم ، (٧) أما عبدى موسى فلست أعامله هكذا . . . (٨) لذلك أكلمه وجها لوجه » [العدد ١٢] .

المرأة كمرافقة للرجال فى الحرب وليست كمحاربة :

تقول التوراة : « إن امرأة اسمها ياعيل قتلت الملك سيسرا أحد ملوك الفلسطينين عندما لجأ لخيمتها » [١] .

المرأة كعاملة فى الحقل بشؤون الزراعة :

تذكر التوراة عندما حل الفقر والفاقة براعوث المؤآبية مع حماتها نُعمى

---

(١) انظر : سفر القضاة الإصحاح ٤ : ١٧ ـ ٢٣ .

اضطرت للعمل فى الحصاد بالحقل لتعول نفسها وحماتها ، فذهبت فقال لها صاحب الحقل : « (٨) . . . استمعى يا ابنتى ، امكثى هنا لتلتقطى السنابل ولا تذهبى لحقل آخر ، ولازمى فتياتى العاملات فيه . . . » [راعوث ٢] .

فتعبير « فتياتى العاملات فيه » يوضح أن المرأة كانت تعمل لضرورة وفى حالة الفقر والعوز والحاجة أو العبودية فى أعمال الزراعة .

المرأة كمعينة لزوجها فى الحفاظ على حياته :

تحدثنا التوراة : أن شاول أول ملك لليهود حاول قتل داود زوج ابنته ميكال، فعلمت الزوجة بالأمر ، وساعدت زوجها داود على الهرب والنجاة « (١٢) ودلته ميكال من النافذة ، فانطلق هاربًا ونجا » [١ صموئيل ١٩].

المرأة كمعينة لزوجها بالنصيحة وحُسن التصرف :

أرسل داود إلى نابال زوج أبيجابل يطلب منه إيمانه له ولرجاله ولبهائمه نظير أنه لم يمسها بسوء وقام بحمايتها ، فرفض الرجل حيث رأى أن ذلك ابتزاز من داود ، فهب داود ورجاله لقتال وإهلاك نابال وأهله وعبيده ، فعلمت المرأة بالأمر، فأخذت زادا وذوادًا وطعامًا وقابلت داود فى الطريق واعتذرت له فعفا عن زوجها وقبل ما حملته له ، ومن أسلوب اعتذار المرأة عن زوجها ظهرت حكمتها فقالت لداود : « (٢٥) لا يضغن قلب سيدى على هذا الرجل اللئيم نابال ، فهو فظ كاسمه والحماقة مقرونة به » [١ صموئيل ٢٥ : ٢٥] .

المرأة كمساعدة للأنبياء ورجال الله :

كان اليشع يذهب إلى شونم وكانت تقيم هناك امرأة بالغة الثراء ، فكانت تستضيفه ، فلما تكررت الزيارة اقترحت أن يبن له دورًا ثانيا فى المنزل ويجهز «(٩) فقالت لزوجها : لقد أدركت أن الرجل الذى تستضيفه دائما هو رجل مقدس لله » فلنبن له علِّية صغيرة على سطح البيت ، ويُعد له فيها سريرًا وطاولة وكرسيا وسراجًا ، فيبيت كلما مر بنا » [٢ ملوك ٤] .

المرأة كملكة وحاكمة :

علمت «عثليا» أم أخزيا الملك بمقتل ولدها ، فأبادت منافسيه واستولت على

العرش » (٣) وكانت عثليا فى أثنائها - ست سنوات - متربعة على عرش يهوذا» [٢ملوك ١١].

المرأة كحسناء منقذة لشعبها :

يبدو ذلك جليا فى قصة أستير التى عرضت نفسها للموت لو فشلت فى إنقاذ شعبها [١] .

وتقول الموسوعة اليهودية عن عمل المرأة [٢] :

« كانت المرأة فى التقاليد البطولية الإسرائيلية فى بعض الأحيان ذوات جمال منقطع النظير [٣] ، ورغم أنهن غير مناسبات للخدمة العسكرية ، فإنهن كن يأتين لتحية المنتصرين العائدين من الحرب [٤] ، وكان النصر الذى تحققه المرأة يعتبر انتصارًا خارقًا [٥] ، وسقوط المقاتل فى يدى امرأة كان يعتبر عيبًا [٦] ، وكانت المرأة الحكيمة ينظر إليها بحترام ، وكانت تستشار فى الأمور الهامة ، وكان ذلك حقيقًا بالنسبة للنبية ، والمثال الأول كان السيدة مريم أخت موسى وهارون ودور المرأة فى العبادة المنتظمة كان محددا بالوظائف الثانوية ، ولم يكن هناك قسيسات فى إسرائيل ، وشاركت الفتيات الصغيرات فى الاحتفالات مع الموسيقيين ، كما ارتبطت النساء بالسحر والقدسية ، وهكذا نرى أن عمل المرأة فى التوراة والديانة اليهودية كان كمعينة ومساعدة للرجل وعند الحاجة والضرورة وفى حدود ضيقة.

---

(١) انظر قصة أستير فى الباب الأول من هذا الكتاب ، وانظر سفر أستير فى التوراة .

(٢) الموسوعة اليهودية .

(٣) يقصد أستير.

(٤) يقصد ابنة يفتاح [القضاة ١١ : ٣٤ - ٣٧] .

(٥) يقصد ياعيل التى قتلت أحد ملوك الفلسطينيين [القضاة ٤ : ١٧ - ٢٣].

(٦) شجت امرأة رأس أبيمالك ملك إسرائيل [القضاة ٩ : ٥٢ - ٥٦] .

(٧) يقصد دبورة [القضاة ٤ : ٤ ، ٥].

المبحث الثانى

عمل المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية

نقصد بعمل المرأة فى الديانة المسيحية : هو مدى إيمان المسيحية من واقع التوراة والإنجيل وأقوال آباء الكنيسة بعمل المرأة فى المجالات المختلفة خارج منزلها أو بيتها .

والواقع أن المسيحية آمنت بأن الهدف الأساسى للمرأة وغاية عملها المقدس هو العمل كزوجة وصانعة أجيال أو كداعية ومعاونة لآباء الكنيسة ولا تؤمن بعملها خارج هذا النطاق .

وسنوضح فى هذا المبحث :

أ ـ طبيعة عمل المرأة وفقًا للتوراة والإنجيل وأساسه .

ب ـ آراء آباء الكنيسة فى عمل المرأة وآفاق هذا العمل .

أ ـ طبيعة عمل المرأة وفقًا للتوراة والإنجيل وأساسه :

جاء فى التوراة عن طبيعة عمل آدم وحواء فى الدنيا كعقاب عن المعصية «(١٧) وقال لآدم : لأنك أذعنت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى نهيتك عنها ، فالأرض ملعونة بسببك بالمشقة تقتات منها طوال عمرك . . . (١٩) يعرق جبينك وتكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، ومن تراب أخذت وإلى تراب تعود» [التكوين ٣ : ١٧ ـ ١٩] .

إذن كُتب على آدم الشقاء والكد والتعب والعمل حتى الموت ، أما عن المرأة «(١٦) ثم قال للمرأة : أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادًا ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك » [التكوين ٣ : ١٦] .

إذن مهمة المرأة الأساسية هى الزوجة أم الأولاد وسكن آدم ، ويؤكد بولس هذه النظرية فيقول ناصحًا كبار السن من النساء بتدريب الشابات على حُسن التبعل لأزواجهن وتربية أولادهن :

« (٣) كذلك أن تكون العجائز ذوات سيرة موافقة للقداس ،غير نمامات ولا

مدمنات للخمر ، بل معلمات لما هو صالح (٤) لكى يدربن الشابات على أن يكن محبات لأزواجهن ولأولادهن (٥) متعقلات عفيفات مهتمات بشؤون بيوتهن صالحات خاضعات لأزواجهن . . » [تيطس ٢ : ٣ ـ ٥] .

وكانت نظرة المسيحية للمرأة تلخص فى : أن أنسب تعبير نصف به موقف كنيسة الآباء تجاه النساء هو تضارب الأقوال ، فالنساء هن خليقة الله وعطيته الصالحة للرجال » وهن أيضًا لعنة العالم » فهن ضعاف العقل والشخصية » ومع ذلك أظهرن شجاعة فائقة ، وأخذن على عاتقهن القيام بأعمال فذة فى رعاية الأشخاص وفى نشر الثقافة ، ومع أنهن وُصفن بأنهن مختالات ماكرات وشهوانيات،إلا أنهن اقتدن الرجال للمسيح،وتخلين عن الاتصالات الجنسية ،ولم يحركن ساكنا أمام تهديدات الجلادين ، ولبسن المسوح والرماد .

إذن لم يعل شأن المرأة فى المسيحية كعاملة مساعدة للرجل إلا فى حالة واحدة وهى أعمال المرأة فى سبيل نشر الدعوة والتضحية من أجلها والتبتل تعبداً وزهداً . ومن آراء كبار علماء المسيحية فى ذلك يوحنا ذهبى الفم الذى يقول :

« . . . إن للزوجة هدفًا واحداً فقط ، أن تحرس الممتلكات التى جمعناها وأن تراقب الدخل وأن تهتم بأهل المنزل ، ولهذا السبب أعطاها لك الله . . وبالإضافة لأمور أخرى معينة لك ؛ إن حياتنا تدور فى حيزين ، شؤون عامة وأمورخاصة ، وكلاهما مرتب من قبل الله ، فالمرأة متروك لها الإشراف على شؤون المنزل ، وأما الرجل فعليه الإشراف على كل شؤون الدولة والتجارة وتحقيق العدالة ووالحكم والشؤون العسكرية وكل المهام الأخرى ، فالمرأة لا تستطيع أن ترشق حربة ، ولا أن تطلق سهمًا » ولكنها تستطيع أن تمسك بفلكة المغزل وتنسج على النول وتقوم بكل الأعباء المنزلية بصورة صحيحة ، وهى لا تستطيع أن تعبر عن رأيها فى مجتمع تشريعى » ولكن يمكن أن تعبر عن رأيها فى البيت ، وفى الأغلب فهى أكثر إلمامًا بشؤون المنزل من زوجها ، وهى لا تستطيع أن تدير شؤون الدولة جيداً ، ولكنها تستطيع إن تربى الأطفال تربية صحيحة والأطفال هم ثروتنا الرئيسية .

وهذه الأمور لا يمكن أن يؤديها بنجاح الزوج ولو تولاها هو بنفسه حتى وإن بذل جهوداً مكثفة فى ذلك » (١) .

---

(١) الآباء والمرأة : اليزابيث . أ . كلارك ، ص ١٥ دار الثقافة ، والمرجع السابق ص ٣٢ .

ورأى ذهبى الفم يوضح استحالة تبادل الأعمال ، فالمرأة لا تصلح لأعمال الرجل والعكس ، فلكل طبيعته التى وهبها له الله .

المرأة والدعوة للدين المسيحى :

الثابت من الإنجيل دور المرأة الهام فى مساعدة بولس والتلاميذ فى نشر الدعوة، ولكن ليس كدعاة ووعاظ ولكن كخدم لبولس وتلاميذه وقد أوصى بولس على بعضهن :

« (١) وأوصيكم بفيبى أختنا الخادمة فى كنيسة كنخريا (٢) فاقبلوها فى الرب قبولاً يليق بالقديسين وقدموا لها أى عون تحتاج إليه منكم ؛ لأنها كانت معينة لكثيرين ولى أنا أيضا . . ، سلموا على بريسكلا وأكيلا معاونى فى خدمة المسيح يسوع . . » [رومية ١٦ : ١، ٢] .

هذا وقد أرسل بولس بعض التحيات الخاصة لنسوة ساعدته فى الخدمة «(٣) سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع (٤) اللذين وصفا عنقيهما من أجل حياتى . . (٦) سلموا لى على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا. . .» [رومية ١٦ : ٣ ، ٤ ، ٦] .

كما أوضح بولس مساعدة الزوجات لأزواجهن فى الدعوة وتمنى أن يكون لهم واحدة منهن « العلنا ليس لنا سلطان أن يخول بأخت زوجة كباقى الرسل » [١ كورنثوس ٩ : ٥] .

هذا وقد سئل قداسة البابا شنودة عن عمل المرأة فى الدعوة أوالكنيسة المسيحية فجاء عن ذلك [(١)] .

س ـ عينتم قداستكم بعض النساء فى عضوية مجلس شمامسة الكنيسة ، فما تفسيركم لهذا ، بينما خدمة الشماسية قاصرة على الرجال فقط ؟

الإجابة : إن خدمة المذبح وأسرار الكنيسة ، هى القاصرة على الرجال ولكن توجد خدمة شماسية للنساء ، خارج خدمة المذبح ، ولقب الشماسات ، وعمل الشماسات ، ورد كثيرا فى الدستولين [(٢)] ، وفى قوانين الرسل ، وفى قوانين الكنيسة وقوانين الآباء والكبار . النساء فى كنيستنا بعيدات عن ممارسة

(١) البابا شنودة الثالث : سنوات مع أسئلة الناس ٥ / [illegible] ، دار النشر الأسقفية .

(٢) أى تعاليم آباء الكنيسة ـ كبار القسس والعلماء والباباوات .

الكهنوت (١) ، ولكن خدمة الكنيسة ليست عملا كهنوتيا ، إنها خدمة فى أعمال ماليه وإدارية » يمكن أن تقوم بها المرأة . . . والدسقولية ذكرت خدمة الشماسية فى الباب الرابع فقالت : « وشمامسة المرأة ، فلتكن جليلة عندكم » .

إذن عمل المرأة المصرح به فى الكنيسة هو العمل الإدارى والمالى والخدمة ، وليس العمل الروحى ، ويرجع ذلك لأنه لا يجب رفع صوت المرأة فى الكنيسة .

« (٣٤) لتصمت النساء فى الكنائس ، فليس مسموحًا لهن أن يتكلمن ، بل عليهن أن يكن خاضعات . . (٣٥) ولكن إذا رغبن فى تعلم شيء فليسألن أزواجهن في البيت، لأنه عار على المرأة أن تتكلم فى الجماعة» [١ كورنثوس ١٤ : ٣٤ ، ٣٥] .

كما لا يجب على المرأة تعليم الرجل : « (١٢) لست أسمح للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرجل ، بل عليها أن تلزم السكوت » [١ تيموثاوس ٢ : ١٢] .

ولذلك عارض كثير من علماء المسيحية ما أفرزته مؤتمرات المرأة من مطالب وقوانين للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة.

---

(١) الكهنوت . طقوس العبادة .

المبحث الثالث

عمل المرأة فى القرآن والديانة الإسلامية

إن حكمة الله فى خلق الإنسان هى عبادته وإعمار الأرض : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات] وحتى تتحقق غاية الله فى خلقه ؛ فلابد من النهوض بعملين هما العبادة والعمل ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك]، والمراد بالمشى ليس التجوال ولكن السعى والعمل الدؤوب فيما أحل الله .

وحيث إن الإنسان يتكون من ذكر وأنثى ، فإن مهمة العمل للعبادة وللإعمار لا بد أن يشارك فيها كل من الذكر والأنثى .

ففى مجال العبادة وجزاء الأعمال وكلاهما متساوٍ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وفى مجال العمل والكد والسعى والمشقة ، فكل يُسَر لما خلق له : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك] ، فإعمار الأرض بالعمل هو مهمة الرجل الأولى والذى سلحه الله من أجلها بالقوة والفتوة والصبر على المشقة ، ومهمة المرأة الأولى هى إعمار الأرض بحمل الذرية وولادتها ورعايتها حتى تستطيع أن تكمل دورة الحياة ، وتبلغ سن البلوغ والقدرة على الإنجاب ، ومن الأمور التى يتميز بها الإنسان عن سائر مخلوقات الله من حيوان وطيور : أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يرعى الأبناء طوال عمره وليس لنهاية فترة الاعتماد على النفس أو البلوغ . والمرأة لا يتوقف عملها على ذلك ، بل هى ترعى زوجها وتدير شؤون منزله حتى يتحقق لهما : السكن والمودة والرحمة .

وعلى ذلك فللمرأة فى الإسلام مهمتان :

الأولى ، والأساسية والتى لا غنى عنها هى إعمار الأرض بالنسل ورعايته .

الثانية ، وهى الفرعية ويمكن الاستغناء عنها وهى العمل خارج المنزل .

عمل المرأة بالمنزل :

لقد اتفقت الأديان السماوية الثلاثة على أن أصل عمل ووظيفة المرأة هو البيت أولاً ، ولا استثناء إلا لضرورة ، وإذا لم يصلح عمل المرأة بالبيت لفسدت الأمم ، فالمرأة الصالحة فى منزلها هى معيار ومرآة تقدم الأمم ، يقول تعالى : ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ①﴾ [الطلاق] (١) .

وقد نسب الله تبارك وتعالى البيوت للنساء ، فقال ﴿ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ليوضح أن المرأة هى البيت والسكن وأنه لا فلاح لبيت بلا امرأة صالحة فيه ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [النحل : ٨٠] وقد فضل رسول الله ﷺ عمل المرأة فى المنزل عن الجهاد فى سبيل الله ؛ أتت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ـ خطيبة النساء ـ النبى ﷺ وهو فى أصحابه فقالت:بأبى أنت وأمى يا رسول الله . أنا وافدة النساء إليك ،إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلاهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم،وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا فى: الجمع ، والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًا أو مجاهدًا حفظنا لكن أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم فى هذا الأجر ؟ فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال « هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها فى أمر دينها من هذه ؟» فقالوا : يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا . فالتفت النبى ﷺ إليها فقال : « افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء إن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله » فانصرفت وهى تهلل (٢) .

ولا شك أن عمل المرأة فى بيتها أهم من الجهاد ، فالجهاد له دواعيه ورجاله وهو ليس فى كل وقت ، أما وظيفة المرأة فى منزلها فهى فى كل لحيظة « تصغير

---

(١) الآية وردت عن عدم إخراج النساء إذا طلقن طلاقًا رجعيا ، فمن الأولى الاستشهاد بها فى حالة الوفاق .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور للبيهقى ٢/ ١٥٣،وذكره ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٧/ ٤٤ .

لحظة » وهى المهمة التى أعدها الله لها ومنحها من المزايا الجسدية والنفسية مالم يؤته الرجل. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ : ومن الطبيعى أن يكون للمرأة تكوين عاطفى خاص لا يشبه تكوين الرجل ، لأن ملازمة الطفل الوليد لا تنتهى بمناولة الثدى وإرضاعه ، بل لابد معها من تعهد دائم ومجاوبة شعورية تستدعى شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه ،وبين فهمها وفهمه ومدارج حسه وعطفه » وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرا فى أطوار حياتها ، من صباها الباكر إلى شيخوختها العالية ، فلا تخلو من مشابهة للطفل فى الرضا والغضب،وفى التدليل والمجافاة ، وفى حب الولاية والحدب ممن يعاملها ، ولو كان فى مثل سنها أو سنِّ أبنائها ، وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة أوتتركه باختيارها ، إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية .

ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوى الذى جعل المرأة سريعة الانقياد للحسّ والاستجابة للعاطفة، ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأى وصلابة العزيمة (١) .

مهام المرأة فى بيتها وطبيعة عملها:

١ـ أن تكون زوجة صالحة :

أوجز القرآن الكريم مزايا الزوجة الصالحة فى آيات كثيرة ، نذكر منها آية واحدة فيها أسمى غاية من غايات الزواج : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

إن الله جعل العلاقة الزوجية الحميمة ، الكاملة بما فيها من سكن ومودة ورحمة « معجزة » ؛ ليوضح أن تحقيق ذلك صعب المنال إلا بالتربية السليمة ﴿وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

٢ـ أن تكون مستعدة للإنجاب وإرضاء زوجها :

إن المرأة هى أساس الذرية فى الأرض ، فالرجل واضع البذرة والمرأة التربة الصالحة التى تتقبلها وتحتضنها وتنميها وتخرجها للوجود : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة ص١١٧.

﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، والآية توضح أيضا الحق الكامل المتبادل فى الاستمتاع الجنسى والمعاشرة .

٣ ـ رعاية الأطفال من رضاعة وحماية وغيره :

إن هذه المهمة المحببة إلى قلوب النساء وهى غاية مناهم منذ الصغر ، فالبنت الصغيرة تلعب بعروستها وتمشطها وتحميها وتحتضنها كأنها بنتها فى الكبر ، وذلك من الفطرة وطبيعة المرأة ، ولو اجتمع العشرات من الرجال لما استطاعوا القيام بهذا الأمر كالمرأة ، يقول تعالى موضحا مشقة هذا العمل : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] .

كما يقول جل شأنه : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، كما يقول : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الاحقاف : ٢٥] والآيات توضح مدة الحمل والولادة والرضاعة الطويلة ، وما فيها من مشقة .

٤ ـ إدارة شؤون المنزل المختلفة :

يقول الرسول ﷺ : « والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهى مسؤولة عنهم » (١) .

ضمانات عمل المرأة فى بيتها :

مادامت المرأة ملتزمة بيت زوجها وتشاركه السكن والمودة والرحمة وتربية الذرية الصالحة ، فلا بد لها من التفرغ لذلك ، وعلى هذا أوجب الإسلام لها حقوقًا على زوجها .

١ ـ حق المهر ، وهو مبلغ مالى أو مادى يدفع للمرأة لتأمين حياتها وهو مقدمٌ ومؤخر ، ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] .

٢ ـ حق النفقة: يقول تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] فوجوب النفقة على الرجال حتى إن كانت الزوجه فى سعة .

٣ ـ حق المعاشرة بالمعروف : يقول تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء:١٩] ،

---

(١) رواه البخارى .

وكلمه المعروف تبين منتهى الأخلاق القويمة من بر وسماحة ، وكل ما يتعارف أصحاب المروءة على حسنه .

٤ـ حق تعاون الرجل مع زوجته فى أعمال البيت :

رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة فى كل شيء ، فكان فى بيته يفلى ثوبه ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

٥ـ الإعفاء من بعض الفرائض فى ظروف خاصة :

نظرًا لما تعانيه المرأة من ضعف فى أحوالها الخاصة ، الحيض والنفاس والولادة والرضاعة ، مع التزامها بإدارة شؤون بيتها ، فقد أعفيت خلال هذه الظروف من عبادات منها : الصلاة والصيام .

ب ـ عمل المرأة خارج بيتها :

حيث إن البيت هو الأساس وهو مملكة المرأة الدائمة التى تزين عرشها ، فإن عمل المرأة خارج البيت لا يكون إلا لضرورة أو حاجة شديدة .

ونرى أن الضرورات تنقسم إلى قسمين : ضرورة شخصية ، وضرورة شرعية لخدمة أمثالها من النساء .

الضرورة الشخصية :

قد تضطر المرأة للخروج للعمل خارج منزلها لعدم وجود من يعولها ، وربما هى العائلة فى كشأن امرأة مات زوجها ولم يترك إرثًا وليس له أولياء يتكلفون بأسرته. كذلك لعدم وجود من يقوم بالعمل ، وأكبر مثال على ذلك قصة موسى عليه السلام عندما ذهب إلى مدين ووجد امرأتين تعملان لرعى وسقاية الأغنام فقال لهما: ما خطبكما ، والخطب هو المصيبة الكبيرة أى الكارثة ، فكان الرد مباشرًا وسريعًا وقاطعًا : ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢٣) [القصص] ، فأوضحت الآية شروط الاضطرار للعمل وهى :

* الضرورة الملحة والشديدة ـ أغنام لابد من القيام برعيها والراعى الرجل لا يستطيع القيام بذلك لكبر سنه .

* عدم الاختلاط فى العمل بالرجال ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ وبالتالى الحجاب خارج المنزل فى التصرف وفى الملبس الشرعى ، وفى عدم المزاحمة ،

حتى لا يكون هنا مجال للفتنة ، ولا شك أنهما قد استأذنا من والديهما فى الخروج للعمل ، كما أن عملهما لا شبهة فيه من حرام أو كراهة .

الضرورة الشرعية :

ونقصد بها أن هناك أعمالاً من الأفضل قيام النساء بها لعلاقتها بمثلهن ، فمثلا وجود طبيعة أنثى للقيام بولادة أفضل من قيام رجل بذلك ، وتدريس العلم للبنات بواسطة نساء مثلهن أفضل خاصة فى مرحلة المراهقة وثورة العاطف ، ويدخل فى ذلك عمل المرأة كمربية أطفال ، ويمكن أن تعمل حياكة ملابس النساء.. إلخ ، وفى جميع الأحوال يجب مناسبة العمل للمرأة وطبيعة المرأة ووقت المرأة ، وقد أجاز الإسلام العمل للمرأة فى شتى الأعمال ما عدا الإمامة الكبرى أى رئاسة الجمهورية أو الملك ، أما القضاء وتوليه ففيه خلاف فقهى .

ومن ذلك يتضح أن الإسلام أعز وأكرم المرأة فى بيتها ونظم عملها فى خارج بيتها ، بحيث تصان كرامتها ويُحافظ على شرفها ،ولا تكون عرضة لذئاب البشر وما أكثرهم .

المبحث الرابع
سمو الإسلام فى تشريع عمل المرأة وتنوع مجالاته
مقارنة باليهودية والمسيحية

آمنت الديانات السماوية الثلاث بأن مهمة المرأة الأولى وعملها الأساسى التى خلقت من أجله هو زوجة مستقرة بمنزل زوجها وما يتبع ذلك من مهام ومسؤوليات وأعباء جسام ، لا يستطيعها رجل ، إلا أن اليهودية والمسيحية ترى أن هذا عقاب من الله لها ؛ لأنها أول من عصى أمر الله وأكل من الشجرة المحرمة ثم أغوت زوجها ، فهى بداية كل خطأ ومنتهى كل خطيئة . « أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك فتنجبين بالآلام أولادا وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك » [التكوين : ٣ : ١٦] .

أما الإسلام فلم يوصم المرأة بذنب ارتكاب المعصية الأولى ، ولكنه اعتبرها شريكة للرجل فيها : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ [البقرة : ٣٦] ، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف] .

إن التزام المرأة بالسكن فى البيت وإدارته ليس نتيجة لعقابها من الله أو امتهانها والحط من قيمتها ، ولكنه فى مفهوم الإسلام إعزاز وتكريم يتناسب مع طبيعتها والهدف من خلقها . ومجال على المرأة فى اليهودية والمسيحية يختلف عن الإسلام فى عدة أمور منها :

أ ـ اليهودية والمسيحية أمنتا بعمل المرأة كنبية ـ أى يوحى إليها بنبوءات عن المستقبل فقط وليست صاحبة رسالة سماوية ـ فقد كانت مريم أخت موسى وهارون نبية . . . وغيرها . أما الإسلام فلم يؤمن بنظرية التنبؤ بالغيب وإن آمن بالوحى إلى الصالحين بهدف الهداية غالبا ، كما أوحى الله لأم موسى ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ [القصص] ، وهذا كان لأمر شخصى لا لنبوءة للناس وأسلوب عرافة وسحر ودجل .

ب ـ اليهودية آمنت بإمكانيـة عمل المرأة قاضيـة وحاكمة مثل « دبورة » و«عثليا» ، ولكن ذلك فى النادر جداً وهو استثناء وليس قاعدة ، أما المسيحية ، فرفضت رئاسة المرأة للرجل بأى حال من الأحوال،حتى فى مجال الدعوة إلى الله. والعمل كقسيسة ، وإجازتها كمساعدة للقسيس . فى الإدارة وخدمته ، ويمكن لها الدعوة للنساء فى بيوتهن ، ولكن بلا درجة كنسية مساواة بالرجل ، كما رفضت المسيحية تعليم المرأة للرجل أو رئاسته بأى شكل من الأشكال .

والإسلام آمن بعمل المرأة لضرورة فى شتى المجالات منها الدعوة إلى الله «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » والتاريخ الإسلامى يوضح لنا الكثير أن الرجال تعلموا على يد نساء وأجازتهن للفتيا والقضاء ، وقد تلقى أغلب الصحابة العلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين .

ولكن جمهور المسلمين حرم ولاية المرأة للقضاء وتوليها الإمامة الكبرى ، أى رئاسة الجمهورية وما فى حكمها ، وذلك ليس انتقاصاً من شأنها ،ولكن لعدم مناسبة ذلك لطبيعتها ، وحتى لا تنسيها المناصب العليا بمسؤولياتها الجسام ، مسؤوليتها الأولى وهى الزوجة والأم .

إذن فقد أعز الإسلام المرأة بإباحة العمل لها فى جميع المجالات وإمكانية رئاستها للرجل ـ فيما عدا القضاء والولاية العظمى ـ ولم يمنعها من العمل كمدرسة ومعلمة للرجال طالما تستحق هذا ولديها الإمكانيات والتفوق ، كما أجاز لها الدعوة إلى الدين ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ مساواة بالرجل وكل ذلك أنكرته عليها اليهودية والمسيحية ؛ لأنها فى نظرهم بؤرة فساد ومنبع رذيلة .

الفصل الثالث
إرث المرأة فى الكتب والأديان السماوية
المبحث الأول
ميراث المرأة فى التوراة والديانة اليهودية

نظام الميراث فى شتى الشرائع السماوية وغير السماوية ، بل وفى القوانين المدنية ، وهو المرآة الصادقة التى توضح وتجلى أبعاد العدالة والمساواة بين طوائف وأجناس المجتمع من ذكر وأنثى كما أن تنفيذ الأحكام الخاصة بالميراث وفقا للشريعة ، يوضح تمسك المتسبين إليها بأحكام الدين من عدمه .

وبدراسة نظام الإرث فى التوراة والتلمود وفى حياة اليهود يوجد أن المرأة دائمًا وأبداً مهضومة الحق ، ضائعة كأنها شاهد لا ظل له ولا خيال ، وقد بلغ بها الهوان : أنها كانت تورث كزوجة للمستحق للإرث من الرجال دون إرادة منها أو اختيار .

ويمكن تقسيم مراحل الإرث وعلاقته بالمرأة فى اليهودية إلى مرحلتين :

١ـ مرحلة ما قبل تشريع موسى عليه السلام للإرث :

ويمكن اكتشاف خصائص هذه المرحلة بدراسة نصوص التوراة،وفيها يتبين أن الإرث كان اختياريا يتوقف على إرادة المورث ، هذه الإرادة التى لا ضابط لها إلا مشيئته .

ميراث إبراهيم عليه السلام :

ورث إبراهيم ابنه إسحاق كل أملاكه ماعدا جزءاً يسيراً أعطاه حال حياته لباقى إخوته من أبناء السرارى ، أما ابنه إسماعيل فقد استقر فى برية فاران ولم يرث :

«(٥) وورث إبراهيم إسحاق كل ماله ، (٦) أما أبناؤه من سراريه فأعطاهم إبراهيم عطايا ، وصرفهم فى أثناء حياته نحو أرض المشرق بعيداً عن إسحاق ابنه» [التكوين ٢٥ : ٥ ، ٦] .

ميراث أيوب عليه السلام :

بعد عرض قصة أيوب وصبره حيث ضاعت أمواله ، ثم ضاعفها له الرب بعد نجاحه فى الابتلاء ، فصار مضربًا للأمثال فى الصبر أكرم بناته فأعطاهم إرثًا حال حياته . « . . . وأعطاهم أبوهم ميراثا بين إخوتهم ، وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة » [أيوب ٤٢ : ١٤] .

ومن أسلوب كاتب التوراة يتبين أن هذا الإرث يُعد ميرة إضافية تم بها تكريم البنات اللائى تم وصفهن فى صدر الفقرة « ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب وأعطاهن . . . . » [أيوب ٤٢ : ١٤] .

٢ ـ تشريع موسى عليه السلام للإرث :

أ ـ بداية فرض نصيب للبنات :

شكت بنات صلفحاد إلى موسى موت أبيهن وليس له ذكر إرث وسألوه :

« (٤) فلماذا يسقط اسم أبينا من بين عشيرته لأنه لم يخلف ابنا أعطنا مِلكًا بين أعمامنا . . (٥) فرفع موسى قضيتهن أمام الرب (٦) فقال الرب لموسى. . . ، فأعطهن نصيبًا ملكًا لهن بين إعمامهن ، انقل إليهن نصيب أبيهن . (٨) وأوص بنى إسرائيل أن أى رجل يموت من غير أن يخلف ابنا ، تنقلون ملكه إلى ابنته ، (٩) وإن لم تكن له ابنة تعطون ملكة لإخوته (١٠) وإن لم يكن له إخوة ، فأعطوا ملكه لأعمامه (١١) وإن لم يكن له أعمام فأعطوا ملكة لأقرب أقربائه من عشيرته فيرثه ولتكن هذه فريضة قضاء لبنى إسرائيل كما أمر الرب موسى » [العدد ٢٧ : ٤ـ ١١] .

وتعد هذه الفقرات أول تشريع لموسى عليه السلام خاصة بالإرث وهو يوضح عدم وجود تشريع لتنظيم إرث البنات قبل ذلك ، وحيث إن إرث البنات لم يكن معروفًا لتأثر اليهود بقانون إرث الصحراء الذى تشربوا به مما خالطوه من مجتمعات والذى ينص على : (ألا يرث النساء ولا الأطفال ؛ وذلك لأن الذى يرث هو من يحارب ويذود عن الحوزة أى أن حق الملكية أو الميراث كان مقصورًا على رجال العشيرة فقط ، ومن أجل هذا كان الحليف يرث حليفه ؛ لأن الأصل فى الحلف هو المؤاخاة والتعاقد على الموت .

وقد ظل هذا القانون معمولا به عند العرب فى الجاهلية ، ولكن الإسلام

حرمه ، ولكن اليهود ظلوا يعملون به كما نصت شريعتهم بذلك ، وكان هذا القانون هو النافذ عند العبرانيين قديمًا ، فكانت القاعدة أن الرجل إذا مات ولم يكن له أبناء ورثه بنو عشيرته) (١) .

فقد اعترض اليهود على هذا التشريع وقال رؤساء عشيرة صلفحاد لموسى : « (٣) فإن تزوجن من غير سبطنا (٢) فإن نصيبهن يؤخذ من ميراث آبائنا ويضاف إلى نصيب السبط الذى ليتزوجن منه ، فينقص ميراثنا . . . (٤) وهذا ما امر به الرب بشأن بنات صلفحاد : ليتزوجن من حسن فى أعينهن ، بشرط أن يكون من سبط آبائهن (٧) فلا يتحول ميراث بنى إسرائيل من سبط لآخر ، بل يظل كل سبط محتفظا بميراث آبائه (٨) فكل فتاة ورثت نصيبا من سبطها » تتزوج واحداً من أبناء عشيرة أبيها ، لكى يرث كل واحد من بنى إسرائيل نصيب آبائه (٩) فلا ينتقل ميراث سبط إلى سبط آخر . . . » [العدد ٣٦ : ٣ ـ ٩] .

زواج بنات صلفحاد :

« (١٠) ففعلت بنات صلفحاد كما أمر الرب موسى . . . (١٢) وهكذا تزوجن رجالاً من عشائر نسل منسى بن يوسف فبقى نصيبهن فى عشيرة أبيهم وسبطه » [العدد : ٣٦ : ١٠ ، ١٢] .

وهنا يتبين كيف كان الحفاظ على الميراث سببًا فى ضرورة الزواج من سبط الفتاة وإلا ذهب الميراث ، ولا شك أن ذلك يؤدى إلى تقييد حرية المرأة فى اختيار الزوج .

ب ـ ميراث الأبناء الذكور وحق الابن البكرى المضاعف :

« (١٥) إن كان رجل متزوجًا من امرأتين،يؤثر إحداهما وينفر من الأخرى ، فولدت كلتاهما له أبناء ، وكان الابن البكر من إنجاب المكروهة (١٦) فحين يُوَزِّعُ ميراثه على أبنائه ، لا يحل له أن يقدم ابن الزوجة الأثيرة ليجعله بكره فى الميراث على بكره من الزوجة المكروهة (١٧) بل عليه أن يعترف ببكورية ابن المكروهة ، ويعطيه نصيب اثنين من كل ما يملكه، لأنه هو أول مظهر قدرته ، وله حق

---

(١) السيد محمد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ٤٨ .

(٢) الأسباط : الاثنا عشر ابنا ليعقوب ومنهم يوسف عليهما السلام ، وقد وعد الله ـ حسب التوراة الحالية ـ الأسباط بميراث أرض فلسطين وطرد أهلها منها وحددها لهم تحديداً دقيقًا وبين لكل سبط نصيبه ـ منها الذى يجب الا يتعداه .

البكورية » [التثنية ٢١ : ١٥ ـ ١٧] .

ومن الفقرات يتبين أن الابن البكرى يأخذ نصيب أخين تكريمًا له ؛ لأنه أظهر رجولة أبيه ، وطبعًا البنت البكرية ليس لها هذا الحق .

جـ ـ حالة اعتبار المرأة من ضمن إرث المتوفى « زواج اليبوم » :

إذا مات رجل ولم ينجب من امرأته ، أصبح من المفروض عليها والذى لا خيار لها فيه ، أن تتزوج أخاه ، حتى تنجب ولداً يُسمى باسم المتوفى ، والأخ له حق الرفض على أن يهان مقابل عدم قيامه بهذا الزواج وقد جاء بالتوراة عن ذلك: « (٥) إذا سكن إخوة معًا ومات أحدهم من غير أن ينجب ابنا ، فلا يجب أن تتزوج امرأته رجلا من غير أفراد عائلة زوجها ، بل ليتزوجها أخو زوجها ويعاشرها ، وليقم نحوها بواجب أخى الزوج (٦) ويحمل البكرى الذى تنجبه اسم الأخ الميت فلا ينقرض اسمه من أرض إسرائيل ، (٧) وإن أبى الرجل أن يتزوج أمرأة أخيه ، وتمضى المرأة إلى بوابة شيوخ المدينة وتقول : قد رفض أخو زوجى أن يخلد اسمًا لأخيه فى إسرائيل ، ولم يشأ أن يقوم نحوى بواجب أخى الزوج ، (٨) فيدعوه شيوخ المدينة . . . فإن أصر على الرفض . . . (٩) تتقدم امرأة أخيه على مرأى من الشيوخ ، وتخلع حذاءه من رجليه وتتفل فى وجهه قائلة : هذا ما يحدث لمن يأبى أن يبنى بيت أخيه ، (١٠) فيدعى فى إسرائيل: بيت مخلوع النعل » [التثنية ٢٥ : ٥ ـ ١٠] .

وبعد أن تعرضنا لفقرات الإرث سنوضح بعض الأحكام العملية لقانون الميراث عند اليهود ، ومدى إنصافها أو إجحافها للمرأة .

د ـ ميراث البنات وأحكامه :

البنت لا ترث فى وجود ولد : تسير الشريعة اليهودية على توريث الولد دون البنت ، فالولد يحجب البنت فإذا توفى رجل وكان له ولد وبنت فإن الولد يرث جميع التركة ، بينما لا ترث البنت شيئًا . حقيقة أن البنت قد ترث ولكن فى حالة واحدة وهى نادرة ألا وهى حين ما لم يكن للمتوفى أولاد ذكور فقط [١].

كما أن الشريعة اليهود لم تنصف الزوجة أيضًا ، حيث الزوج يرث الزوجة وهى لا ترثه بأى حال من الأحوال .

---

(١) السيد محمد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ص ٤٧ .

الولد البكر له حقية سهمين من إرث أى أخ من إخوته ، والبنت ليس لها هذه الأفضلية .

حالات إرث البنت ونصيبها إذا لم يكن معها ولد :

لا يكون للبنت الحق فى الإرث إلا لو لم يوجد أخ لها ذكر ، فإن وجد سقط حقها فى الإرث ، ويمكن إيضاح نظام الميراث شرعًا وفقا لما ورد فى كتاب المقارنات والمقابلات :

١ـ الأب يرث ابنه (مادة ٤٣٥) .

٢ـ إذا لم يكن للأب ولد وكان له بنت فهى الوارثة (م ٤٣٢) .

٣ـ الأم لا ترث فى ابنها ولا فى بنتها (م٤٣٩) .

٤ـ إذا ترك الرجل بنتًا وخنثى تساويا فى النصيب (م٤٦٣).

■ ـ للبنت على أخوتها الذكور قيمة الدوطة من التركة وهو العشر.

٦ـ كل ما تملكه الزوجة يؤول بوفاتها ميراثا شرعيًا إلى زوجها وحده لا يشاركه فيه أقاربها ولا أولادها سواء أكانوا منه أم من رجل آخر(م٢٢٣) .

٧ـ ليس لورثة الزوجة مشاركة زوجها فيما تركته من كسب كدها أو فيما هو مملوك لها ملكًا خاصًا ولا فيما دخلت به من أمتعة وثياب ولا فيما اشتراه لها الزوج من ماله من الحلى قبل وبعد الزواج ولا فى هدايا الخطوبة أو الزواج أيًا كان مهديها (م٢٣١) .

٨ ـ للبنات شرعًا أن يتعيشن إذا مات أبوهن من تركته إلى أن يتأهلن (يتزوجن) أو يرشدن .

٩ـ إذا عثرت الزوجة على لقية فهى من حق زوجها ما دام قائما بما عليه من الواجبات (م ٨٣) (١).

فكرة العُشر المخصص للبنت القاصر (٢) :

هناك حالة يمكن للبنت أن تستفيد منها ، وهى أنه إذا ترك الأب ميراثًا وكان

(١ ، ٢) مجموعة الأحكام الشرعية للإسرائيليين ، والمرجع السابق ص ٥٦ .

له أولاد ذكور وبنات ، فإنه بحسب الشريعة يرث الأولاد كل التركة أما البنات فلا ترثن ولكن إذا كانت البنات لم يبلغن الرشد[1] أو لم يتزوجن بعد ، فإنه يجب على الأولاد الذكور إعالة البنات حتى بلوغهن سن الرشد أو حتى زواجهن ، ولكى يحسم القانون حقهن فى ذلك فإن الشريعة حددت حقهن بما يوازى عشر التركة وهذا العشر ينفق عليهن أو يدفع لهن كصداق عند زواجهن وهذا هو ما يستفاد من نص المواد الآتية :

١ـ على تركة الأب نفقة البنات إلى أن يتزوجن أو يبلغن (م٥٣٠).

٢ـ التركة للذكور دون الإناث وإنما عليهم نفقة غير المتزوجة منهن حتى تتزوج أو تبلغ (م ٥٣١) .

٣ـ إذا أساء الذكور إدارة التركة حق للإناث شرعا استقلالهن بنصيبهن ، وإذا كن قاصرات فللسلطة الشرعية أن تنوب عنهن فى ذلك .

هذا الكلام الذى ظاهره الرحمة وباطنه السم الزعاف ، إنما هو مغالطة وظلم للمرأة ، وذلك أن فكرة العشر انصبت على ما يتركه الأب من عقار فقط ، أما ما يتركه من أموال سائلة أو منقولة فليس فيها عشر للبنت ، وإليك ما يثبت هذا الظلم والإجحاف بحقوق المرأة .

جاء فى كتاب المقارنات : ولكن الأرباب (الكهنة) زادوا فجعلوا حق البنات فى النفقة والصداق قاصراً على التركة التى بها عقار فقط، وحيث إن سداد الديون يكون من قيمة العقار أولاً فعند التطبيق قد لا يبقى للبنت شىء أو يبقى القليل ، فالديون المتروكة تسدد من العقار أولاً .

ومما تقدم يتضح الظلم الرهيب للمرأة فى الميراث حيث :

١ ـ لا يرث البنات إلا فى حالة عدم وجود أخوة لهم ذكور مع وجوب الزواج من سبطهن » أولاد الأعمام » أو عائلة الأب الذكور .

٢ـ لا يرث فى وجود الأخوه « أبناء المورث » إلا البنات اللاتى لم يبلغن ١٣

---

(١) سن الرشد ١٣ عامًا .

سنة فلهن حق النفقة فى حدود عشر التركة أو يأخذنه كدوطة [1] عند الزواج .

٣ـ الزوجة لا ترث زوجها بأى حال من الأحوال ، ولكن لها حق مؤخر الصداق إذا كان فى التركة عقار فى أغلب الأحوال .

٤ـ الزوجة فى حالة عدم إنجابها من الزوج تورث كزوجة لأخيه حتى تنجب ولداً يكتب ويسجل باسم الزوج الميت وليس لها رأى فى هذا ، أى ليس لها حق الرفض .

---

(١) الدوطة : كان فى القديم : المرأة تدفع للزوج بعض المال حتى يتزوجها ، وهو حاليًا يمثل تكاليف الزواج التى تشارك بها المرأة فى إعداد منزل الزوجية .

المبحث الثانى

ميراث المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية

إن من الحقائق الثابتة والمؤكدة والتى لا خلاف فيها ؛ أن المسيحية لم تضع قانونًا للميراث ، وبالرغم من أن المسيح قد جاء لا لينقض الناموس والأنبياء ، ولكن ليكمل، فإنه قد نقض نهائيًا نظام الإرث كما جاء فى التوراة «العهد القديم»، وكما تم تشريعه فى الديانة اليهودية وفقا لأحكام التوراة ، فقد جاء أحدهم إلى السيد المسيح قائلا: «(١٣) يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث (١٤) فأجابه : من أقامنى عليكما قاضيًا أو مقسمًا (١٥) وقال للجميع : احذروا وتحفظوا من الطمع ، فمتى كان الإنسان فى سعة لا تكون حياته فى أمواله » [لوقا ١٢ : ١٣ - ١٥] .

وقد سئل قداسة البابا شنودة الثالث [١]:

ماهو موقف الكنيسة فى تقسيم الميراث بين الرجل والمرأة ؟ فقال قداسته : «الكنيسة لم تضع للميراث نظامًامحدداً » واسترشد بفقرات لوقا ١٢ : ١٣ - ١٥ . واستطرد قائلا : « المسيحية لم تضع قوانين حالية ، وإنما وضعت مبادئ روحية ، فى ظلها يمكن حل المشاكل المالية وغيرها وينطبق هذا على موضوع الميراث ، وإن وُجدت بين الأخوة محبة وعدم طمع ، يمكن أن يتفاهموا بروح طيبة فى موضوع الميراث ، بل كل واحد منهم يكون مستعداً أن يترك نصيبه لأى واحد من إخوته أو أخواته يرى أنه محتاج أكثر منه» .

ويستدل قداسته بمكان ذلك فيقول معقبًا وموضحًا [٢] : « انظر كيف كانت الأمور تجرى فى الكنيسة الأولى أيام الرسل ؛ بنفس هذه الروح : لم يكن أحد يقول : إن شيئًا من أمواله له ، بل كان عندهم كل شىء « مشتركا » ولم يكن فيهم أحد محتاجًا . . .وكان يوزع على كل أحد ، كما يكون له احتياج » [أعمال الرسل ٤ : ٣٢ - ٣٥] .

هكذا عاشت الكنيسة مرتفعة عن مستوى القانون ، تدبر أمور أولادها فى

---

(١) الدوطة : كان فى القديم : المرأة تدفع للزوج بعض المال حتى يتزوجها ، وهو حاليًا يمثل تكاليف الزواج

محبة وقناعة .

حاليا نحن نسير حسب قانون الدولة فى الميراث ، ولكن يمكن التعرف قبل وفاة أحد الوالدين ، فمثلا : إذا وجد الأب أن أولاده موسرين وأغنياء ، وابنته محتاجة ، يستطيع قبل وفاته أن يكتب لها جزءاً من الميراث ، أى أن يتنازل عن جزء بطريقة شرعية تسجل فى الشهر العقارى ، وتصبح مالكة لهذا الجزء فى حياته ولا علاقة له بالميراث .

أى أنه يوجد نوع من التصرف باسم القانون ، لتعديل أنصبة الورثة قبل وفاة أحد الوالدين ؛ فالأمور يمكن أن تحمل بالمحبة والقناعة ، أو بالحكمة ، أو بالتصرف القانونى السليم لإقامة العدل بين الورثة ، وليس بتنفيذ حرفية القانون .

ويلاحظ على الميراث فى المسيحية عدة ملاحظات :

بالإضافة إلى نسخ ـ إلغاء نظام الميراث فى التوراة ، فلم يأت الإنجيل بقانون أوتشريع جديد ، وفقرات [لوقا ١٢ : ١٣ ـ ١٥] التى أشار إليها قداسة البابا لا تلغى تشريع الميراث فى التوراة ، لأن المسيح لم يضع قانونًا جديدًا ، ولكنه لم ينفذ القانون الموجود فعلا ورفض الاشتغال بالقضاء وترك الدعوة إلى الله ؛ ولذلك فقد حذر من الطمع فى الفقرات التالية وضرب مثلا للغنى الذى أحب غناه، وقرر بناء مخازن جديدة ليكفيه غناه سنوات طويلة ، وهو لا يدرى أنه سيموت من ليلته ، ولن يكون صباحًا من الأحياء ، كما يقر قداسته أن الميراث يوزع بإشراف الكنيسة حسب الحاجة للورثة ، أو طبقا لقوانين البلاد التى يعيش فيها المسيحيون، وللكنيسة حق إعادة توزيع الحصص وفقا لما يتفق عليه الورثة ، كما يمكن للمورث أن يكتب حال حياته لأحد أولاده ما يشاء ، أى أن التصرف القانونى كفيل بحل مشاكل الميراث .

وفى الواقع أن تصرف المورث لأحد الورثة فى أنصبة حال حياته يدعو باقيهم بالحقد عليه وعدم الرضا ، مما ينشئ النزاع بين الورثة ،ويورث العداوة والبغضاء بدلاً من توريث المحبة والإخاء والعدالة الناتجة من تنفيذ تشريعات السماء .

وهل هناك أفضل من تنفيذ حرفية القانون ؟!

إن المسيحية بافتراضها الدائم وجود المحبة والقناعة والحكمة بين معتنقيها إنما تفترض وجود خصائص ليست دائمة فى الإنسان ، لاختلاف العادات الشخصية

ووجهات النظر والمصالح الشخصية » وحب النفس وعبادة الذات ، وهو أمر كان متواريًا فى عهد المسيح عهد الدعاة الأوائل الذين جعلوا الأموال مشاعة بين المؤمنين للإنفاق على الدعوة .

والإنجيل يوضح لنا أن المسيح طلب من أحد الأغنياء بيع أملاكه واتباعه فرفض ، وأن حنانينا وسفيره باعا أموالهما وألقوا نصفها تحت أقدام بولس والتلاميذ وخبأ النصف الآخر » أى أنهما لم يوفا بالتزاماتهما كاملة .

ومن هنا يتضح لنا قصور المسيحية كدين عن وضع قانون للميراث ؛ ولذلك نرى الكثير منهم يورث القطط والكلاب ، ويترك ذويه من أصول كأب وأم وزرع كأولاد وأولاد أولاد وأزواج .

المبحث الثالث

ميراث المرأة فى القران والديانة الإسلامية

توطئة :

نظرا للهجوم الدائم على شريعة الإسلام بخصوص ميراث المرأة وهو ادعاء لا أساس له ، فسنقوم بتفصيل الميراث فى الإسلام إلى حد ما :

أهمية الميراث فى الشريعة الإسلامية :

« (١) علم الميراث من العلوم النافعة للبشر جميعًا لقوله ﷺ : « تعلموا القرآن وعلموه للناس ، وتعلموا الفرائض (٢) وعلموها ، فإنى امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ، ويوشك أن يختلف اثنان فى الفريضة والمسألة فلا يجدان أحدًا يخبرهما» . كما يقول ﷺ : « العلم ثلاثة ، وما سوى ذلك فضل ؛ آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة » .

ومصادر أحكام الميراث :

١ـ القرآن الكريم. ٢ـ السنة المطهرة .

٣ـ الإجماع. ٤ـ اجتهاد الصحابة .

هذا ولم تأت شريعة سماوية أو قوانين وضعية بأحكام فى مجال الميراث أكمل وأعظم وأعدل من الشريعة الإسلامية ونظرًا لما يثار ـ كذبًا افتراءً ـ عن ظلم الإسلام لميراث المرأة على وجه الخصوص،فسوف نعرض فى هذا المبحث ما يلى :

١ـ أسس نظام الإرث فى الإسلام .العدالة فى الاستحقاق والعدالة فى التوزيع .

٢ـ تطبيق عدالة الإرث فى الإسلام على المرأة : إرث حصة تعادل نصف حصة الرجل ، وإرث حصة تعادل حصة الرجل وتساويها ، وإرث حصة أكبر من

---

(١) المستشار عزت حسنين : أضواء على قانون الميراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ .

(٢) سميت الأنصبة المحددة القيمة بالفرائض ؛ لأنها فرضت فى القرآن الكريم ولأصحابها أولوية الإرث .

حصة الرجل . قد تكون سبباً فى حرمان الرجل كلياً من الميراث أو تقليل حصته.

٣- الافتراءات والشبهات حول إرث المرأة فى الإسلام .

أولا : أسس نظام الإرث فى الإسلام :

نظام الإرث الإسلامى يمثل عين العدالة ، حيث يقوم على أسس قوية ومتينة من العدالة فى الاستحقاق ثم العدالة فى التوزيع ، بلا تفرقة بسبب الجنس من ذكورة وأنوثة أو بسبب القوة أو السن .

أ- العدالة فى الاستحقاق :

فالقرابة من الميت هى أساس الاستحقاق، ويقصد بالقرابة : صلة الدم بين المورث وورثته ، أو صلة الزواج ، وهذا الأساس يقبله العقل والمنطق « فالأولى بالاستفادة من تركه الميت أولاده وآباؤه وأزواجه وإخوته - وهكذا على حسب درجة القرابة ، وهم أيضًا المكلفون بالإنفاق عليه حال حياته لو كان فى حاجة ولا يستطيع الكسب « فالغنم بالغرم » . فالابن الذى يرث أباه ويحجب « يمنع » العم «أخو الأب » هو أيضا المكلف بالإنفاق على أبيه لو كان فى حاجة إلى ذلك .

والورثة من حيث القرابة ينقسمون إلى ثلاث فئات هى: أصحاب الفروض ، وأصحاب العصبات ، وأولو الأرحام .

فأصحاب الفروض : من حددت لهم أنصبة مقدرة فى التركة بنص القرآن الكريم : (١) ، فإذا بقى بعد أنصبتهم شىء وزع على أصحاب العصبة وهم أقرباء الميت من أب وابن وأقرباء من الذكور الذين يحملون اسم العائلة ، ومنهم ابن الابن مهما نزل ، والأب والجد من جهة الأب ، والأخ من جهة الأبوين أو جهة الأب فقط ، وأبناء هذين الأخوين مهما بعدوا ، وكذلك الأعمام لأبوين أو لأب فقط وأبناء كل منهما مهما بعدوا .

والسند فى ميراث أصحاب العصبات : حديث الرسول ﷺ: « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقى فلأولى رجل ذكر » ، وقد يدعى البعض ظلم المرأة حيث إنها ليست من أصحاب العصبة ، ولكن هذا الادعاء سيولد ميتًا لو علمنا أن أصحاب الفروض الذين لهم الأولية فى الإرث وقد لا يبقى من أنصبتهم شىء

---

(١) بعد ذكر أصحاب الفروض فى القرآن جاء قوله تعالى : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ﴾ [النساء] .

لأصحاب العصبة ، عددهم اثنا عشر : الذكور أربعة ، والإناث ثمانية أى أن عدد النساء المتقدمات فى الإرث ضعف عدد الرجال المشاركين لهم فيه ، **فهل هناك إنصاف للمرأة أكثر من ذلك ؟!**

وحتى يتضح الأمر جيدًا ، فالذكور من أصحاب الفروض الأربعة هم : الأب، الجد الصحيح ، الزوج ، والأخ لأم .

والإناث الثمانية : الأم ، والجدة الصحيحة ، والزوجة ، والبنت ، وبنت الابن وإن نزل ، والأخت الشقيقة ، والأخت لأب ، والأخت لأم .

أما ذوو الأرحام فهم أقارب الميت ممن ليسوا من الفئتين السابقتين ، ويتوسط بينهم وبين المييت فى الغالب أنثى والمقدم منهم أولاد البنت فإن نزلوا ، وأولاد بنات الابن وإن نزلوا .

وباستعراض ما سبق يتبين إكرام الإسلام للمرأة حيث إن أصحاب الفروض من النساء ضعف أصحاب الفروض من الرجال ، كما أنهن مقدمات فى ذوى الأرحام.

ب ـ العدالة فى التوزيع :

وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، فإن حصة كل وريث تتناسب مع ما تفرضه عليه الشريعة من نفقات وأعباء ، لا كما يريد هو ، أو كما يدفعه المجتمع لذلك ، وعلى ذلك قد ترث المرأة حصة أقل من الرجل ، حيث إن أعباءها المالية أقل من الرجل،فالرجل هو الذى يدفع المهر ، وهو الذى ينفق على المرأة كزوجة ، وعلى أولاده ، وعلى أخته إن ترملت ولم يكفها دخلها أو ما ورثته عن أبيها أو زوجها لتوفير حياة كريمة وكذلك أبناء المورث أوفر حظًا من الآباء ؛ لأنهم سيستقبلون الحياة كما تستلزمه من أعباء ، أما الآباء فهم مستدبرون لها ، أما الزوجات منهن أحق بالتساوى وعلى ذلك نظام الإرث فى الإسلام نظام عائلى لا نظام فردى ، بمعنى أن التركة تتشعب بين أفراد العائلة ، ولا تتركز لدى واحد منها، إلا إذا كانت العائلة نفسها لا تتعدى الفرد الواحد وكان هذا الفرد الوارث وارثا قويا ، كالابن أو الأب وهم الذكور الذين يحملون اسم العائلة ويشمل ذلك الابن وابن الابن مهما نزل والأب والجد من جهة الأب والأخ من جهة الأبوين أو من جهة الأب فقط وأبناء هذين الأخوين مهما بعدوا وكذلك الأعمام لأبوين أو لأب فقط

وأبناء كل منهما مهما بعدوا والقسم الثالث وهم الأقرباء الذين تربطهم بالمورِّث رابطة رحمية ويسمون بذوى الأرحام كالعمة والخالة والجد (أبى الأم) وبنات الإخوة وأولاد الأخوات وهؤلاء ليس لهم نصيب من الميراث مادام أحد من أفراد القسم الأول أو الثانى موجودًا وقد جعل الشرع الحنيف الأولوية فى الميراث لمن كانوا من القسم الأول وكلهم نساء وليس فيهم من الذكور إلا الزوج والأخ لأم والباقى إناث وهن الزوجة والبنت وبنت الأخت الأبوين والأخت لأب والأخت لأم والأم والجدة سواء كانت من جهة الأم أم كانت من جهة الأب . روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فهو لأول رجل ذكر » ومن أسس عدالة التوزيع أنه لا توزيع إلا بعد إنفاذ وصية المورث طالما كانت مشروعة (١) وسداد الدين حتى لا يضار الدائنون بموت المورث .

ثانيًا : تطبيق عدالة الإرث فى الإسلام على المرأة :

يدعى الكثير من أعداء الإسلام من مستشرقين لا هدف لهم إلا الإساءة للإسلام كدين يهدد وجود أديانهم ، ومن علمانيين سُخروا لتشويه صورة الإسلام بلا علم أو فقه أو دراية ، ولكن عن جهل وضلال وإضلال: أن الإسلام ظلم المرأة فى الميراث فأعطاها نصف حصة الرجل أو حرمها كلية من الإرث ، وتلك أكاذيب لا سند لها من كتاب أو سنة ،ولكنها شاعت كالوباء ، حتى ظن البعض أنها حقيقة مؤكدة لا خيال أوهام .

أما الحقيقة المؤكدة ، فهى أن الإسلام أنصف المرأة وأعطاها من الميراث مالم يعطها مثله من أديان ، أو يُفرض لها بقوانين وضعية ، وسنوضح فيما يلى تكريم الإسلام لإرث المرأة :

للمرأة وارثها فى الإسلام أربعة أحوال وهى :

* إرث حصة تعادل نصف حصة الرجل .
* إرث حصة تعادل حصة الرجل وتساويها .
* إرث حصة أكبر من حصة الرجل .
* قد تكون سببًا فى حرمان الرجل كليًا من الميراث أو تقليل حصته وهو ما يسمى بالحجب .

---

(١) الإسلام لم يصادر فى حرية المورث فى التصرف ببعض ماله وحدد الوصية فى حدود الثلث ولها شروط ليس مجالها الآن .

أولاً : إرث حصة تعادل نصف حصة الرجل :

ويكون ذلك فى حالات ثلاث فقط ، منهما اثنتان مطلقتان والثالثة ليست مطلقة ، بمعنى أنها قد تتحقق أو لا تتحقق ، مع ملاحظة أن نصيب النساء فى مجموعة قد يزيد نصيب الرجال مجتمعين .

أ ـ حالة وجود ابن ذكر مع البنت أو البنات « أى أخ » حيث يقول تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] .

وفى هذه الحالة إذا كان عدد الذكور كالإناث أو أكثر، فالذكور حصتهم أكبر كمن توفى وترك ولداً وبنتًا ، فالولد له $\frac{٢}{٣}$ والبنت $\frac{١}{٣}$ ، أو توفى وترك ولدين وبنتًا ، فالولدان لهما $\frac{٤}{٥}$ ، والبنت $\frac{١}{٥}$.

أما إذا كان عدد الإناث ضعف الذكور تساوت الأنصبة ، كمن توفى وترك بنتين وولداً ، فهنا نصيب البنتين = $\frac{١}{٢}$ ، والولد $\frac{١}{٢}$ ، وقد يكون عدد الإناث يزيد ضعف عدد الذكور ، وهنا ما تناله البنات أكثر مما يناله الأولاد الذكور فلو أن رجلاً توفى وترك ثلاث بنات وولداً لكانت **الحصص**= للثلاث بنات $\frac{٣}{٥}$ ، والولد $\frac{٢}{٥}$.

ب ـ حالة الورثة أخوة أشقاء أو لأب مع الأخوات ، ولا يوجد ابن ذكر يحجبهم ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١٧٦] فهنا الأخ ينال ضعف الأخت ، وكالمثال السابق تمامًا قد تتساوى حصص النساء مع الرجال إن كان عددهن ضعف الرجال ، وقد ينلن أكثر من الرجال لو كان عددهن أكثر من ضعف عدد الرجال .

جـ ـ أحيانا ـ وليس دائمًا ـ فى حالة إرث الأمهات والزوجات قد تكون حصتهن أكبر من الذكور :

مثال: توفى عن زوجة ، وأم ، وولدين وبنتين . وتكون الحصص كما يلى:

الزوجة	الأم	المجموع	الباقى	نصيب الذكور	نصيب البنات
$\frac{١}{٨}$	$\frac{١}{٦}$	$\frac{٧}{٢٤}$	$\frac{١٧}{٢٤}$	$\frac{٢}{٣} \times \frac{١٧}{٢٤}$	$\frac{١}{٣} \times \frac{١٧}{٢٤}$

نصيب النساء الإجمالى = $\frac{٧}{٢٤}$ الزوجة+ الأم + $\frac{١٧}{٧٢}$ البنات= $\frac{١٧+٢١}{٧٢}$ = $\frac{٣٨}{٧٢}$

وهو يزيد عن نصيب الرجال والأولاد الذكور حيث نصيبهم معا $\frac{٢}{٣}$ × $\frac{١٧}{٢٤}$ = $\frac{٣٤}{٧٢}$

وغنى عن البيان : أن عدد البنات لو زاد عن الذكور لزادت حصصهن مجتمعة وفقا لذلك .

إذن : فى الحالات التى يرث فيها الذكر ضعف الأنثى ، وقد ترث النساء مجتمعات حصة أكبر من حصة الذكور مجتمعين .

ثانيا : إرث حصة تعادل حصة الرجل وتساويها :

بالإضافة إلى السابق بيانه هناك حالات تتساوى فيها الحصة المفروضة للذكر والأنثى .

أ ـ تتساوى حصة الأب والأم إذا كان للمورث فرع وارث مذكر وهو الابن ﴿ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [النساء : ١١] .

ب ـ الأخوة لأم ذكور وإناث يتساووا فى حالة الكلالة ، أى عدم وجود فرع وارث مذكر أو مؤنث . ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾ [النساء : ١٤] .

مثال : هلك عن أخت شقيقة وأم وأخ لأم وأخت لأم

الحصص $\frac{١}{٢}$ فرضًا $\frac{١}{٦}$ فرضًا $\frac{١}{٦}$ فرضًا $\frac{١}{٦}$ فرضًا

فقد تساوت حصص الأخ والأخت لأم .

مجموع حصص النساء = $\frac{١}{٢}$ + $\frac{١}{٦}$ + $\frac{١}{٦}$ = $\frac{٥}{٦}$ ، ونصيب الرجال $\frac{١}{٦}$ فقط ، أى أن إجمالى ما حصل عليه النساء خمسة أضعاف الرجل .

جـ ـ يتساوى نصيب الجد مع الجدة عند وجود الابن : ﴿ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [النساء : ١١] .

د ـ الأخت الشقيقة مع البنت تأخذ الباقى من إرث البنت أو البنات ، ومثلها

فى ذلك الأخ الشقيق مع البنت أو البنات ينال الباقى . فالبنت الواحدة تنال النصف فرضًا ، والأخ أو الأخت الشقيقة ينال الباقى تعصيبًا.

والبنتان فأكثر ينلن الثلثين فرضا ، والأخ أو الأخت الشقيقة ينال الباقى تعصيبا ، بافتراض عدم وجود ورثة آخرين .

ثالثًا : إرث حصة أكبر من حصة الرجل :

١ـ المورث لم يترك سوى بنات فقط بلا أخ لهم « ابن له » ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [النساء : ١١] . وعند التطبيق: البنت الواحدة نالت النصف ، وكل ما بعدها وله حق الإرث سيأخذ النصف الثانى على الأكثر ، وإذ كانتا أكثر من بنت فلهن الثلثين ، وكل ما بعدهما سيأخذ الثلث على الأكثر ذكوراً وإناثا ، وسنعرض لأمثلة توضح ذلك :

حالات زيادة حصة المرأة عن الرجل :

١ـ البنت مع ابن الابن عند وجود أب أو أم أو زوجة أو زوج أو عند اجتماع هؤلاء جميعًا :

مثال : ماتت عن زوج ، وبنت ، وأب ، وأم ، وابن ابن .

الحصص $\frac{١}{٤}$ فرضًا ، $\frac{١}{٢}$ فرضا $\frac{١}{٦}$ ، $\frac{١}{٦}$ ، لم يرث حيث استغرقت التركة أصحاب الفروض ، وهنا البنت ورثت النصف بمفردها فيكون مجموع إرث النساء = $\frac{١}{٢}$ بنت + $\frac{١}{٦}$ أم = $\frac{٢}{٣}$ ، والرجال = $\frac{١}{٤}$ الزوج + $\frac{١}{٢}$ الأب= $\frac{٥}{١٢}$ (١) .

وواضح أن مجموع حصص النساء أكثر من الرجال « المسألة فيها عول » .

وحتى نزداد يقينا بإعزاز الإسلام لميراث المرأة ، بافتراض نفس المثال السابق لو

---

(١) ولو ماتت امرأة عن زوج وبنت وأب وأم وابن ابن، فللزوج الربع، وللبنت النصف، وللأم السدس، وللأب السدس ولا شيء لابن الابن.

ولو كان فى هذا المثال بدل ابن الابن بنت ابن لورثت سدس التركة فى حين أن الذكر (ابن الابن) لم يرث شيئًا . ونرى بوضوح كيف أن الشرع أعطى الأنثى ولم يعط الذكر .

حل ابن الابن بنت ابن لكان توزيع الحصص كالآتى :

البنت $\frac{1}{2}$ فرضًا، وبنت الابن $\frac{1}{6}$ فرضًا حيث تكمل مع البنت حصة $\frac{2}{3}$ والزوج $\frac{1}{4}$ والأب والأم لكل منها $\frac{1}{6}$.

ويلاحظ بنت الابن ورثت « عندما حلت محل ابن الابن الذى لم يرث ؛ لأنه لم يكن من أصحاب الفروض .

مثال آخر : ماتت عن زوج وبنت وأم ، وابن ابن .

توزع الحصص :

$\frac{1}{4}$ فرضًا ، $\frac{1}{2}$ فرضًا ، $\frac{1}{6}$ فرضًا ، والباقى تعصيبا هو $\frac{1}{12}$

إجمالى حصص النساء= $\frac{1}{2}$ بنت + $\frac{1}{6}$ أم = $\frac{8}{12}$ = $\frac{1}{12}$

إجمالى حصص الرجال= $\frac{1}{4}$ الزوج + $\frac{1}{12}$ ابن الابن = $\frac{4}{12}$ = $\frac{1}{3}$

النساء حصلن على ضعف الرجال [1] .

وبافتراض نفس المثال السابق وكان بدلاً من ابن ابن ، بنت ابن لكان توزيع الحصص : زوج بنت بنت ابن أم

$\frac{1}{4}$ فرضًا $\frac{1}{2}$ فرضًا ، $\frac{1}{6}$ لإكمال $\frac{2}{3}$ مع البنت $\frac{1}{6}$

وهنا بنت الابن نالت $\frac{1}{6}$ ، بينما ابن ابن إذا حل محلها نال $\frac{1}{12}$ « المثال السابق » . وبالقطع حصص النساء زادت وفقا لذلك .

٢ ـ البنت مع « أخ المتوفى » عند وجود الأم والزوج أو الزوجة :

---

(١) لو ماتت امرأة عن زوج وبنت وأم وابن ابن ، فللزوج الربع، وللبنت النصف، وللأم السدس، ويبقى الباقى لابن الابن وهو جزء يسير يعدل نصف سدس ، ولو كان بدل ابن الابن فى هذه المسألة بنت ابن لاستحقت السدس . وواضح كيف أعطى الشرع الأنثى فى مثل هذه الحالة أكثر مما يعطى الذكر .

مثال : هلك عن بنت وأم وزوجة وأخ

توزيع الحصص :

بنت	أم	زوجة	أخ
$\frac{١}{٢}$ فرضًا ،	$\frac{١}{٦}$ فرضًا ،	$\frac{١}{٨}$ فرضًا ، والباقى تعصيبا	$\frac{٥}{٢٤}$

ويلاحظ حصة البنت = $\frac{١}{٢}$ وحصة عمها $\frac{٥}{٢٤}$

إجمالى حصص النساء = $\frac{١٩}{٢٤}$ أى تقترب من أربعة أضعاف حصة الرجال

وبافتراض نفس المثال السابق وبافتراض الميت امرأة لكان ورثتها

بنت	أم	زوج	أخ خال البنت
$\frac{١}{٢}$ فرضًا	$\frac{١}{٦}$ فرضًا	$\frac{١}{٤}$ فرضًا	$\frac{١}{١٢}$ تعصيبًا

وحصة البنت ستة أضعاف خالها الرجل ، وأكبر من حصة أبيها وخالها.

حصص النساء مجتمعة = $\frac{١}{٢}$ + $\frac{١}{٦}$ = $\frac{٢}{٣}$

حصص الرجال مجتمعة= $\frac{١}{٤}$ + $\frac{١}{١٢}$ = $\frac{١}{٣}$

النساء نلن ضعف حصة الرجال .

٣ ـ البنت مع الأب والأم والزوجة تأخذ حصة أكبر من الابن مع الأب والأم والزوج أو الزوجة .

مثال : مات عن بنت ، وأب وأم ، وزوجة

الحصص :

بنت	أب	أم	زوجة
$\frac{١}{٢}$ فرضًا ،	$\frac{١}{٦}$ فرضًا ، والباقى تعصيبا	$\frac{١}{٦}$ فرضًا ،	$\frac{١}{٨}$ فرضًا

حصة البنت ٢ أسهم، والأم ٤ أسهم ، الزوجة ٣ سهم، الأب ٥ أسهم

حصص النساء = ٩ أسهم ،وحصة الرجل ٥ أسهم .

ولو ماتت امرأة عن زوج وبنت وبنت ابن و عم، وتوزيع الحصص:

زوج بنت بنت ابن عم

$\frac{1}{4}$ فرضًا $\frac{1}{2}$ فرضًا ، $\frac{1}{6}$ لاستكمال $\frac{2}{3}$ مع البنت $\frac{1}{12}$ تعصيبا

إجمالى حصص النساء = $\frac{1}{2}$ + $\frac{1}{6}$ = $\frac{2}{3}$ البنت + بنت الابن

إجمالى حصص الرجال = $\frac{1}{4}$ الزوج + $\frac{1}{12}$ عم = $\frac{1}{3}$

أى أن النساء حصلن على ضعف ما حصل عليه الرجال .

وبافتراض نفس المثال السابق ووجد ابن ابن بدلاً من بنت ابن لكانت الحصص : زوج بنت ابن ابن عم

$\frac{1}{4}$ فرضًا $\frac{1}{2}$ فرضًا ، $\frac{1}{4}$ تعصيبا حجب بابن الابن

وهنا البنت نالت $\frac{1}{2}$ أى مساوية لحصة أبيها + ابن أخيها .

٤ـ بنتان مع أب وأم وزوجة تأخذان أكثر من ابنين مع الأب والأم والزوجة.

مثال : مات عن بنتين وأب وأم وزوجة تكون الحصص :

بنتان أب أم زوجة

$\frac{2}{3}$ فرضًا $\frac{1}{6}$ $\frac{1}{6}$ $\frac{1}{8}$ فرضًا

وتعول المسألة إلى ٢٧ سهمًا حيث تقسم التركة إلى حصص النساء = ٢٧ سهمًا ، والبنتان ١٦ ، والأب ٤ ، والأم ٤ وبذلك حصص النساء = ٢٣ سهمًا والرجال ٤ أسهم .

ولو فرض نفس المثال وكان الورثة

زوجة أب أم ولدان

$\frac{1}{8}$ $\frac{1}{6}$ $\frac{1}{6}$ والباقى تعصيبا أى $\frac{13}{24}$

وحصة الابنين أقل من حصة البنتين حيث ورث الابنان $\frac{13}{24}$ أما البنتان $\frac{16}{24}$

٥ـ حالات ترث فيها المرأة ولا يرث الرجل : إن المرأة ترث فى حالات ، ولا

يرث الذكر مع اتحاد القرب والدرجة ، فأم الأم ترث ، وأب الأم فى درجتها لا يرث ، والأخت الشقيقة ترث مع البنت أو تحجب الأخ لأب فلا يرث ، ومثل بنت الابن ترث دون ابن الابن فى حالات ، وكذا الأخت لأب ترث فى حالات لا يرث فيها الأخ لأب .

وعلى ذلك يمكن تأكيد القول بأن المرأة فى الميراث الإسلامى أوفر حظا وأسعد من الرجل ، وهى بعيدة عن كل ظلم ، نائية عن أى جور فى ظل رعاية وحمى ورحمة الشريعة الإسلامية .

ثالثًا : الافتراءات وشبهات حول إرث المرأة فى الإسلام :

يدعى بعض خصوم الإسلام ، والداعين بالمساواة بين الرجل والمرأة : أن نظام الإرث الإسلامى لهو دليل ساطع على ظلم الإسلام للمرأة ، وأنه لابد من تغيير الشريعة الإسلامية لتناسب تطورات الزمان والمكان والبشر ، وهم بذلك واهمون ، نائمون فى مستنقعات الجهل بالدين الإسلامى ، فالكل يتطاول عن جهل وإقلال ، لا عن علم وفهم .

فكما سبق الإيضاح حالات إرث المرأة نصف حصة الرجل محدودة جدًا وقليلة ، وإنى لأتساءل :هل إذا فرضت المساواة المزعومة وكانت حصص النساء أكبر من الرجال ـ سبق الإيضاح ـ فهل سنساوى بين الرجال والنساء ونأخذ الزيادة ونهبها الرجال ؟!

فمثلا وفقا للشريعة الإسلامية لو هلك رجل وترك بنتا وأما وثلاثة أخوه ذكور.

تكون الحصص :

للبنت	للأم	الذكور
$\frac{١}{٢}$	$\frac{١}{٨}$	الباقى لكل رجل $\frac{١}{٨}$ المجموع $\frac{٣}{٨}$

ولو تمت المساواة تكون الحصص :

للبنت + الأم + الثلاث أخوة = خمسة حصص ، لكل واحد منهم $\frac{٢٤}{٥}$

إذن حصة البنت + الأم = $\frac{٢٤}{٥}$ + $\frac{٢٤}{٥}$ = $\frac{٤٨}{٥}$ =٩,٦ سهم

وحصة الأخوة = $\frac{٢٤}{٥} \times ٣ = \frac{٧٢}{٥} = ١٤,٤$ سهم

والمثال يوضح أن المساوة أضرت البنت والأم حيث خفضت حصتهما من $\frac{٥}{٨}$ أى ١٥ سهما إلى ٩,٦ سهمًا.

ويثار تساؤل آخر: هل سيراعى عدالة الإسلام فى الاستحقاق أم أنه سيخلق ورثة جددًا أو يتخلص من ورثة أصحاب حق ؟!

إن مساواة المرأة بالرجل فى الميراث ستجلب على المرأة متاعب جمة قد لا تستطيع تحملها وأهمها ـ بالإضافة لما سبق : حرمانها من مزايا كفالة الرجال لها ، فإن أعباء الرجال المالية وحق المرأة فيها واجب شرعى وفريضة إلهية .

الرجل هو الملزم بدفع تكاليف الزواج للمرأة من مهر وخلافه،وهذا المهر حق خالص للمرأة تأخذه وليس لأحد النيل منه إلا برضاها ،والرجل هو الملزم بالإنفاق على المنزل والزوجة والأولاد حتى لو كانت الزوجة موسرة كما قال تعالى:

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق : ٧] . كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع عن جابر رضي الله عنه :« اتقوا الله فى النساء، فإنهن عوان عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن ، وكسوتهن بالمعروف »(١) .

وعلى ذلك فالمقابل الذى تناله المرأة نتيجة حصولها على نصف حصة أخيها، يفوق ما خسرته ، فالمرأة فى الإسلام منعمة ، مدللة ، لا تتحمل أية تبعات ، ومكرمة كابنة ، معززة كأخت ، مدللة كزوجة .

وفى النهاية نقول : إن حرمان شخص ما من حقه كله أو بعضه لأسباب مقنعة ، لا يعنى الانتقاص من شأنه ، فقد أعطى الرسول ﷺ الفقراء والمهاجرين

---

(١) رواه مسلم وأبو داود كلاهما فى كتاب الحج .

غنائم هوازن - يوم حنين - ولم يعط الأنصار إلا رجلين فقيرين منهم .

وأعطى المؤلفة قلوبهم من هذه الأموال ، ولم يعط لأحد من السابقين فى الإسلام الذين أقاموا بتضحياتهم وجهادهم دعـوة الإسلام وشيدوا صـرح دولتـه[1] .

(1) الأستاذ الدكتور محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ٢ / ٧١ ، وزارة الأوقاف .

المبحث الرابع

أفضلية ميراث المرأة فى الإسلام مقارنة باليهودية والمسيحية

دأب أعداء الدين من المستشرقين ـ مغرضين وعلمانيين جاهلين ـ بالادعاء بظلم الإسلام للمرأة فى الميراث ، حتى أصبحت هذا الادعاء كأنه حقيقة لا جدال فيها، وفوق أى مناقشة وعارية ممن يدافع عنها .

وهذا الادعاء الكاذب ليس وليد اليوم أو الأمس القريب ، بل ولد منذ عهد بعيد ، ولو أن علماء المسلمين درسوا أنظمة مناهضيهم فى الميراث وغيره وألقوا نظرة عابرة على كتبهم وشرائعهم ، لارتدت ألسنة أعدائهم إلى حلوقهم خزيا ومهانة .

فالإسلام أعطى للزوجة حق إرث زوجها ،واليهودية لم تورثها وورثته منها ، والإسلام أعطى للبنت نصف حصة أخيها فقط وأعطاها حصصًا أكبر من كل الذكور عدا أخيها، واليهودية لا تورث البنت مع أخيها ، إلا أن كانت قاصرة وفى حدود عشر التركة ، والإسلام أعطى المرأة حق النفقة على وليها من أب أو أخ أو زوج أو غيرهم ، أما اليهودية فأعطت للأب حق بيع ابنته لسداد ديونه ، والإسلام ساوى فى الإرث بين الأبناء الذكور ، أما اليهودية فأعطت البكرى ضعف حصة أخيه الغير بكرى ، ولم يعط هذا الحق للبنت البكرية ، والإسلام أعطى للأرملة حق الزواج بعد ترملها مما شاءت ، أما اليهودية فورثتها زوجة بغير رضاها لأخ الزوج إذا كان الزوج الميت عديم الولد ، والبنت المفردة فى الإسلام تنال نصف التركة ، أما فى اليهودية فلا ترث إلا لو تزوجت من سبطها ـ أقارب أبيها من العصب ـ أى أن الإرث يتحكم فى إرادتها ويؤثر عليها ، فهل لصاحب عقل حكيم أو لب سليم أن ينكر فضل الإسلام على تشريع ميراث المرأة ؟!

وبالنسبة للمسيحية :

لم تصنع المسيحية نظاماً للإرث بصفة عامة ، ونسخت ما جاء فى التوراة بشأنه، وادعت أنها وضعت مبادىء روحية لحل مشاكل الميراث ، وأن الميراث يوزع بمعرفة الكنيسة حسب حاجة الورثة للمال ، كما يمكن للمورث منح من يشاء

من أموال حال حياته ، والسند فى نسخ أحكام الميراث : هو أن المسيح رفض تقسيم إرث بين رجل وأخيه وقال له « من أقامنى عليكم قاضيا أو مقسمًا » [لوقا ١٢ : ١٤] .

وعلى ذلك أجاز الغرب المسيحى توريث الكلاب والقطط ، وكم من ملايين حرم منها أقرب أقرباء المورث وتمتع بها كلاب وقطط !! فهل الإرث فى الإسلام أفضل أم توريث الحيوانات ؟!

ومن الملاحظ أن الكنيسة إذا قسمت الإرث تقسمه حسب حاجة الورثة للإنفاق ، وعندما ورث الإسلام البنت نصف حصة أخيها ، لمسؤولياته المالية تجاهها كأخت ، ولغيرها كزوجة ، أتهم الإسلام بالتفرقة بين الرجل والمرأة .

« ومما يذكره التاريخ من تلك الافتراءات : أنه فى بداية القرن العشرين الميلادى انبرى كاتب علمانى يسمى : سلامة موسى للتشهير بنظام الإرث فى الإسلام وكتب لرائدة وزعيمة النهضة النسائية حينذاك السيدة / هدى هانم شعراوى يدعوها لتبنى أفكاره والمناداة بتطبيق القوانين الأجنبية - القاصرة - فى الإرث ، فكان الرد مفزعًا له ولأمثاله حيث قالت : إنى لست من الموافقين على رأيكم فيما يتعلق بتعديل نصيب المرأة ، ولا أظن أن النهضة النسوية فى هذه البلاد يجب أن تتأثر بالنهضة الأوربية ؛ لأن لكل بلد تشريعه وتقاليده ، وليس ما يصح فى بلد ما يصلح فى البلد الآخر ، على أننا لم نلحظ تذمرًا من المرأة وشكوى لعدم مساواتها للرجل فى الميراث ؛ لأن اقتناعها لما قسم لها من نصيب ناشئ عن الشريعة » عوضتها مقابل ذلك بتكليف الزوج بالإنفاق عليها ، وعلى أولادها ، كما منحها حق استقلال التصرف فى أموالها » (١) .

فهل آن الأوان لألسنة النفاق والكذب والجهل أن تصمت ، وهل آن لداعيات المساواة الكاملة وتحرير المرأة أن يعقلن ويعرفن الفرق بين شرع الله وبين ما يريده أعداء الدين من حرية بواسطة إلغاء أحكامه أولاً ، ثم نزعه من القلوب وإلغائه وصدق تعالى حيث قال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ⑧ ﴾ [الصف] .

---

(١) مجلة الأزهر ، جمادى الأولى سنة ١٤٢١ هـ ص ٧٣٩ .

الفصل الرابع

الختان فى الكتب والأديان السماوية

المبحث الأول

الختان فى التوراة والديانة اليهودية

يقصد بالختان : قطع الجزء الزائد من الحشفة ـ نهاية الرأس ـ من العضو التناسلى للذكر ، ويسمى الغرلة ، وبالنسبة للأنثى خفض الجزء الزائد من العضو التناسلى فى الفرج ويسمى البظر .

إذن مفهوم الختان يقصد به كلا من الذكر والأنثى ، والثابت فى التوراة والشريعة اليهودية هو ختان الذكور فقط ، حيث لا يوجد نص توراتى واحد يقرر ختان البنات بالتصريح أو التلميح أو الإشارة .

وختان الذكور فى التوراة « فريضة » وليست سُنة ، فلا اختيارية فيها وهى عهد مقدس بين الله وشعبه المختار ، ويبدأ هذا العهد بختان أبى الأنبياء إبراهيم ﷺ الذى ختن نفسه وعمره تسعة وتسعون عامًا « (٩) وعندما كان إبرام فى التاسعة والتسعين من عمره ، ظهر له الرب قائلا: أنا هو القدير سر أمامى وكن كاملا . . . (١٠) هذا هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك من بعدك الذى عليكم أن تحفظوه : أن يختتن كل ذكر منكم ، (١١) تختتنون رأس قلفة غرلتكم فتكون علامة العهد الذى بينى وبينكم (١٢) تختتنون على مدى أجيالكم كل ذكر فيكم ابن ثمانية أيام سواء كان المولود من ذريتك أم كان ابنا لغريب مشترى بمالك ممن ليس من نسلك . . . (١٤) أما الذكر الأغلف الذى لم يختن ، يستأصل من بين قومه لأنه نكث عهدى » [اللاويين ١٧ : ١٠ ـ ١٤] .

والفقرات توضح ما يلى :

* الختان للذكور فقط وليس للإناث .
* الختان عهد أبدى لا يزال بالنسخ أو التعديل لنهاية الأجيال .
* الختان يتم فى اليوم الثامن لميلاد الذكر .

* الختان يشمل إبراهيم وذريته والخدم والعبيد تحت إمرته .

* من لا يختتن يقتل « يستأصل من قومه » .

* والختان عهد خاص بين الله وشعبه .

وعلى ذلك نفذ إبراهيم الختان فى نفس اليوم«(٢٣) وفى ذلك اليوم بعينه أخذ إبراهيم إسماعيل وجميع المولودين فى بيته وكل من اشترى بمال ، كل ذكر من أهل بيته ، وختن لحم غرلتهم كما أمر الرب (٢٤) ... (٢٥) إما إسماعيل ابنه فقد كان ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن فى لحم غرلته » [اللاويين ١٧ : ٢٣ ـ ٢٥] ومن هنا أصبح الختان شريعة اعتباراً من إبراهيم وابنه إسماعيل كذلك، فأول من ختن من أبناء إبراهيم إسماعيل ثم ختن إسحاق « (٢١) ... ختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام حسب ما أمره الله به ... » [التكوين ٤ : ٢١] .

وقد استمر اليهود على ذلك حتى عهد موسى ، حتى إن موسى نسى ختان ابن له فكاد الله أن يقتله لولا أن أم الصبى ختنته بنفسها .

«(٢٤) وفى أثناء الطريق، بالقرب من خان ،التقاه الرب وهم أن يقتله (٢٥) فأخذت صفورة «زوجة موسى صوانة حجر مسنن» وقطعت قلفة ابنها ومست بها قدمى موسى قائلة: حقا إنك عريس دم لى (٢٦) فعفا الرب عنه ، حينئذ قالت : عريس دم من أجل الختان » [الخروج ٤ : ٢٤ ـ ٢٦] .

ومحاولة الإهلاك هذه تمت بينما موسى فى طريقه لفرعون ليأمره بإخراج اليهود من مصر .

فرض الختان على غير اليهود :

بعد الخروج من مصر أمر الله موسى أن يحتفل بهذا اليوم ويجعله عيداً مقدساً لشكر الله ، وقد أمره أيضاً إذا أراد غريب أن يحتفل بهذا العيد ، فلا بد أن يختتن.

« (٤٨) وإذا عزم غريب مقيم بينكم أن يحتفل بفصح الرب فليختتن كل ذكر من أهل بيته » [الخروج ١٢ : ٤٨] .

والختان شريعة يهودية لم ينسخها أو تلغها أى قوانين يهودية ، ويزاولها اليهود

حتى فى أرض الشتات ،ومن لا يختتن لا يعد يهوديًا ، فهو علامة تكريم لليهود .

هذا وقد نسخ بولس الختان ، إرضاء للأمم الغير يهودية التى كان يدعو للمسيحية فيها ، كما ستعلم ، والختان للذكور فقط فريضة ، من لا يزاولها يُعد مرتداً عن الدين اليهودى ويستحق القصاص قتلا .

المبحث الثانى

الختان [1] فى الإنجيل والديانة المسيحية

استمر الختان فريضة يهودية سار عليها واعتنقها وآمن بها المسيحيون الأوائل ، حتى إن المسيح نفسه اختتن فى اليوم الثامن كأوامر التوراة » الذى جاء لا لينقضها أى يهدمها أو ينسخها ولكن ليكمل أحكامها :

« ولما بلغ الطفل يومه الثامن وهو اليوم الذى ينبغى فيه ختانه دعى اسمه يسوع . . . » [لوقا ٢ : ٢١] .

وقبل المسيح ختن يوحنا [2] « وفى اليوم الثامن جاؤوا لختان الطفل ، وسموه زكريا على اسم ابيه،فأجابت أمه وقالت: لا بل يسمى يوحنا» [لوقا ١ :٥٩ ـ ٦٠].

فالمسيح رُفِع إلى السماء والختان موجود وجميع المسيحيين يختتنون على شريعة موسى ، وقد قام بولس الرسول بنسخ وإلغاء الختان ، والمدهش حقا أنه نفسه قد ختن ويقول عن نفسه « إنى من جهة الختان مختون فى اليوم الثامن لمولدى » [فيلبى ٣ :٥] .

رأى المسيح فى الختان :

أقر المسيح الختان كما جاء فى اليهودية ، بل وبين أنه العمل الوحيد الذى يجوز مزاولته يوم السبت » وقد استدل على صحة ما قام به من شفاء مريض يوم السبت فقال لليهود : « (٢٣) فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت ، لئلا ينقض ناموس موسى ؛ أفتسخطون علىَّ لأنى شفيت إنسانًا كله فى السبت » [يوحنا ٧ : ٢٣].

إذن المسيح لم ينسخ أو يلغى فريضة الختان .

بداية نسخ الختان وأسبابه :

آمن الكثير من اليهود بالدين المسيحى ، ولكنهم تمسكوا بشريعة موسى فى

---

(١) نقصد ختان الذكور فقط حيث لم تتضمن شريعة موسى ختان الإناث .

(٢) يوحنا : النبى يحيى فى الإسلام .

الختان » (١) . . . وجعلوا يعلمون الأخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى، لا يمكنكم أن تخلصوا (١) » [أعمال الرسل ١٥ : ١] .

وكان نتيجة ذلك : أن الكثير من غير اليهود الذين لم يؤمنوا بالختان أو يزاولوه بدؤوا ينصرفون عن اعتناق المسيحية ، ومن ثم اجتمع الرسل لحل هذه المشكلة التي طرأت «(٦) فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا فى هذا الأمر (٧) . . . حصلت مباحثة كبيرة . . » [أعمال الرسل :١٥ : ٦ ، ٧] .

وفى النهاية قرر يعقوب « (١٩) لذلك أرى ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم (٢٠) بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام ، والزنا والمخنوق والدم » [أعمال الرسل : ١٥ : ١٩ ، ٢٠] .

وعلى ذلك تم الاتفاق على رأى يعقوب الشخصى وبدأ الرسل فى إرسال رسائل إلى الأمم مع مساعديهم لتوضيح هذا التشريع الجديد الناسخ لشريعة موسى قائلين : « (٢٨) لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ، ألا نضع عليكم ثقلاً أكثر ، غير هذه الأشياء الواجبة (٢٩) أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم ؛ والمخنوق ، والزنا ، التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون ، كونوا معافين » [أعمال الرسل ١٥ : ٢٨ ـ ٣٠] .

إذن كان الهدف من إلغاء الختان تخفيف التكاليف على المؤمنين الجدد وبرأى شخصى ليعقوب ولكنه نسب إلى الروح القدس . وفى ذلك يقول « الأنبا غريغوريوس (٢) :

« ولهذه المشكلة الخطيرة انعقد المجمع الرسولى فى« سنة ٥١ / ٥٢ لميلاد المسيح وبحث مشكلة الختان ، وأصدر فيها قراراً حاسما »(٣) .

ومنذ ذلك الحين وبدأت دعوة المسيحية لنبذ الختان :

« (٤) وسار تعليم العهد الجديد مع فحوى القرار الذى أصدره المجمع الرسولى بوحى الروح القدس ، مبينا بوضوح أنَّ من اهتدوا إلى المسيحية لا

---

(١) الخلاص : الطهارة .

(٢) الأنبا غريغوريوس : أسقف التعليم والثقافة القبطية ، والبحث العلمى الحالى .

(٣) ص ٢٣ الختان فى المسيحية تعليم الأنبا غريغوريوس .

(٤) المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٥ .

يلتزمون بالختان » [أعمال : ٢١ : ٢١ ، ٢٨ و غلاطية : ١١] كما أنّ الذين اختتنوا فى الجسد ليس لهم فى المسيحية امتياز عن الذين لم يختتنوا [غلاطية ٢ : ٧ ـ ٩] إنما المهم أن يكون لهم ختان القلب والروح عن الخطيئة وأن يعملوا بالوصايا الإلهية ، وأن يكون لهم الإيمان العامل بالمحبة، ولذلك لم يجد القديس تيطس الذى رسم أسقفا لكريت ما يضطره إلى الختان [غلاطية ٢ : ٣] .

يقول الكتاب المقدس: « أدُعِى أحد وهو مختون فلا يصر اغلف . أدُعى أحد وهو فى الغرلة فلا يختتن . ليس الختان بشيء ، وليست الغرلة بشيء بل حفظ وصايا الله » [١ كورنثوس ٧ : ١٨ ، ١٩] ،« لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ، ولا الغرلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة» [غلاطية ٥ : ٦] .

ومما له دلالة قاطعة على تهافت قيمة الختان فى الجسد ، أن يحسب المختون الذى تعدّى الشريعة بمثابة الأغلف ، والأغلف الذى أطاع الشريعة بمثابة المختون «ولكن إن كنت متعديا للناموس فقد صار ختانك غرلة إذن فإن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس ، أفما تُحسب غرلته ختانا ، وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى بالحرف والختان تتعدّى الناموس؛ لأن الختان ليس ما كان ظاهرًا فى اللحم ختانًا . . . ، الختانُ هو ختانُ القلب بالروح لا بالحرف» [رومية ٢ : ٢٥ ـ ٢٩] .

وإذن فالمختونون بالروح والقلب هم المختونون على الحقيقة . أما المختونون فى الجسد ، فلا يعد ختانهم بشيء « احذروا ذوى القطع ؛ لأنّ ذوى الختان إنّما هم نحن العابدين بروح الله المفتخرين بالمسيح يسوع ، الغير المعتمدين على الجسد. فإنه إن ظنّ له أن يعتمد على الجسد ، فإنى أحق منه بذلك ، أنا الذى قد اختتن فى اليوم الثامن » [فيلبى ٣ : ٢ ـ ٥] .

ولنا أن نتساءل :هل فى شريعة موسى كان الختان يلغى الإيمان القائم على المحبة ؟! لقد كان شرطًا من شروط الإيمان التى تؤدى إلى محبة الله وحسن عبادته، ألم يكن الختان هو عهد دائم بين الله والمؤمنين به ، والذى يكمل به الإيمان ، فعندما فرضه الله على إبراهيم وهو ابن تسعة وتسعين عامًا قال له «أنا هو القدير سر أمامى وكن كاملا . . . (١٠) هذا هو عهدى الذى بينى وبينك وبين ذريتك من بعدى الذى عليكم أن تحفظوه : أن يختتن كل ذكر منكم . . . (١٢) يختتنون على مدى أجيالكم . . . » [اللاويين ١٧ : ٩ ، ١٠ ، ١٢] .

ولو صدقنا كلام بولس « فالمختونون بالروح والقلب هم المختونون على الحقيقة » فلم أوجب الله على إبراهيم الختان وهو شيخ كبير ألم يكن إبراهيم مؤمنًا بارًا بالروح والقلب قبل ختانه ؟!

يحاول الأنبا « غريغوريوس » تبرير ذلك فيقول(١) :

« ويعود بنا الكتاب المقدس فى العهد الجديد إلى المعنى الحقيقى للختان كما أراده الله عندما أمر به إبراهيم الخليل ، فقد كان إبراهيم باراً قبل أن يختتن وإذن لم يكن الختان فى الجسد هو سبب البركة لإبراهيم ، وإنما كان مجرد علامة خارجية على أنه دخل فى عهد مع الله» .

ويسترشد بفقرات من التوراة فيقول (٢) : « جاء فى سفر التثنية : فاختتنوا غرلة قلوبكم ، ولا تُصَلّبوا رقابكم بعد » [١٠ : ١٦] وقوله « ويختن الربُّ إلهك قلبك وقلب نسلك ، لكى تُحِبّ الربَّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا » [٣٠ : ٦] ،وما جاء فى سفر إرميا النبى « اختتنوا للرب وانزعوا غرلة قلوبكم ، يا رجال يهوذا وسكان أُورشليم ، لئلا يخرج كنار غيظى ، فيحرق وليس من يطفىء بسبب شرّ أعمالكم » [٤ : ٤] وقوله : « ها إنها أيام تأتى يقول الربُّ ، وأعاقب كلَّ مختون وأغلف ، لأنَّ كلَّ الأمم غلف ، وكلّ آل إسرائيل غلف القلوب » [٩ : ٢٠ ، ٢٦] .

ونحن نتفق مع الأنبا غريغوريوس فى ضرورة ختان أى طهارة القلوب وأن طهارة الجسد لا تكفى لاكتمال الإيمان ، ولكن إليه حسب التوراة شاء أن تكون الطهارة الجسدية شرطًا من شروط اكتمال الطهارة ؛ ولذلك عندما نسى موسى صاحب التوراة وكلم الله وصاحب أول شريعة سماوية « الناموس» ، طهارة ابن له هَمَّ الله أن يقتله لولا أن أمه تدخلت وختنته « (٢٤)وفى أثناء الطريق، بالقرب من خان ، التقاه الرب وهم أن يقتله (٢٥) فأخذ صفورة « زوجة موسى » صوانه «حجر مسنن » وقطعت قلفة ابنها . . . (٢٦) فعفا الرب عنه » [الخروج ٤ : ٢٤ - ٢٦] .

لو لم تكن للختان أهمية دينية عظمى واكتفى بختان القلب ، لما كاد الرب أن

(١) الأنبا غريغوريوس : الختان فى المسيحية ص ٢٥ ، ٢٦ ، دار النشر للثقافة القبطية .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ .

يعاقب موسى لنسيانه ختان صبى ؟!!

ويقول الأنبا غريغوريوس عن الختان باللفظ :

والخلاصة أنَّ الختان فى جوهره ومعناه الدينى كما أمر الله به لإبراهيم أولاً ، ولموسى بعد ذلك، كان علامة ظاهرة على معنى روحى عظيم ، وهو الدخول فى عهد مع الله ، وكان الدم الناتج عن قطع جُليدة فى لحم البدن ، رمزاً وإشارة إلى دم المسيح الآتي الذى متى سفك صار الدخول به إلى ملكوت الله وهذا يناله المؤمنون فى المعمودية المقدسة . وبذلك سقطت من الختان فى الجسد أهميته الدينية بعد أن جاء المسيح ، وحلّت المعمودية محل الختان وصارت المعمودية هى (ختان المسيح) . أما الختان فى الجسد فقد أصبح فى المسيحية (نظافة) لا (طهارة) ، أمراً مندوبا إليه لما له من فوائد صحية ، مثله فى ذلك مثل تقليم أظافر اليدين والرجلين حتى لا تتراكم فيها الأوساخ وبالتالى الميكروبات الضارة .

وإذن فالختان للذكور حسن ومفيد، ولكنه لم يعد شريعة فى الدين المسيحى : بحيث يعاقب الإنسان على تركه .

إذن الختان فى المسيحية اختيارى وليس إجباريا ، وهو من باب النظافة .

المبحث الثالث

الختان فى القرآن والديانة الإسلامية

نقصد بالختان فى الإسلام : إزالة الجزء الزائد من غلفة عضو التناسل فى الذكر وخفض الزيادة الغير طبيعية من عضو التناسل فى الأنثى .

وعلى ذلك الختان فى الإسلام للذكر والأنثى وحيث إن اليهودية تعتبر ختان الذكور عهداً وميثاقاً « أى فريضة » مع الله ، وأن المسيحية نسخت ختان الذكور من الفريضة إلى عادة « سنة » لا يعاقب تاركها ولا يمدح فاعلها ، فإن الطعن فى ختان الرجل فى الإسلام شبه معدومة ، لأن الطاعنين هم أصحاب الأديان الأخرى وقد يكونون مختونين .

أما ختان الأنثى فى الإسلام فهو من أكبر الادعاءات والمطاعن التى يحاول أعداء الإسلام وصم الإسلام بها؛ باعتبارها عملا غير إنسانى يضر الأنوثة البريئة .

وعلى ذلك ستكون دراستنا عن ختان الأنثى فى الإسلام وستشمل دراستنا على :

أ ـ مشروعية الختان للأنثى .

ب ـ طريقة الإسلام الإنسانية والطبية فى ختان الأنثى .

جـ ـ حكمة الإسلام فى الختان .

د ـ حكم الختان فى الإسلام .

أ ـ مشروعية ختان الأنثى :

لم يتضمن القرآن أحكاماً مباشرة خاصة بالختان وأما أدلة الختان من السنة ، فما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ، أن الرسول ﷺ قال : « خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب » ، وفى رواية أخرى للحديث : « عشر من الفطرة . . . » وعد من بينها « الختان » ، والمراد بالفطرة الواردة فى الحديث :الدين كما أخبر الله تعالى بذلك فى قوله : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم : ٣٠] ، ويجوز أن يراد بالفطرة أيضًا : السنة التى هى بمعنى الطريقة والملة والشريعة . وعليه « فإن الختان إنما هو من دين الله وشرعه ، كما هو منصوص عليه فى الحديث ؛ لأنه من الفطرة ، وكذلك هو من سنة الرسول ﷺ » أى : من شريعته وملته وطريقته ، إذا إنه من الفطرة (١) .

ومما يدل على أن المقصود بالختان ؛ ختان الذكر والأنثى : ما أخرجه مسلم بسنده عن أم المؤمنين عائشة ﵂ : « إذا جلس بين شعبها الأربع ومسَّ الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل » ، وفى رواية « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » ، ذكره ابن حجر عند شرح حديث أبى هريرة السابق ، وعزاه إلى البيهقى ، والمراد بالختانين : موضع الختان عند الرجل والمرأة ، ويبين ابن حجر رحمه الله تعالى المراد بالتثنية فى كلمة « الختانان » ، مؤكدًا أن المراد بذلك ختان الرجل وختان المرأة فيقول : « المراد بهذه التثنية : ختان الرجل وختان المرأة » .

ب ـ طريقة الإسلام الإنسانية والطبية فى ختان الأنثى :

الختان للأنثى كان شائعًا قبل بعثة النبى ﷺ وجاء الإسلام فأقره وأوضح طريقته التى لا تضر بالأنثى فتجعلها بطيئة الاستجابة الجنسية ، ولا تضر بها فتجعلها سريعة الاستجابة الجنسية وأقرب إلى الهياج وعدم التحكم فى الرغبة الجنسية أو الشهوة ، وخاصة فى المناطق الصحراوية والحارة .

قال رسول الله ﷺ لأم عطية الأنصارية وهى امرأة كانت تختن فى المدينة «لا تَنْهكى ، فإن ذلك أحظى للمرأة ، وأحب للبعل » . والحديث وإن كان قد ضعفه بعضهم ، ومنهم مخرجه أبو داود ، إلا أن بعضهم الآخر قد حسنه، ومنهم : الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ، فقد أخرجه عن أنس بن مالك ﵁ ، والحديث كما أورده : عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال لأم عطية ـ ختَّانة كانت بالمدينة : « إذا خفضت فأشمى ولا تَنْهكى ، فإنه أسرى للوجه ، وأحظى عند الزوج » ، قال الحافظ الهيثمى بعد إيراده للحديث : (أخرجه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن) .

جـ ـ حكمة الإسلام فى الختان (٢):

هذه الحكمة القويمة تظهر فى بضع كلمات « ... فإنه أسرى للوجه ،

---

(١) الأستاذ الدكتور على الشريف ، مقال بمجلة التوحيد ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) لن نتكلم عن مزايا الختان الصحية ؛ لأن المؤيد له والمعارض يتمسك بنفس المزايا والعيوب تقريبا .

وأحظى عند الزوج » الحديث .

إذن هدف رسول الله ﷺ من ختان البنات ، هو حماية المرأة من طغيان الرغبة الجنسية ، ومن ثم احتمال عدم التحكم فى الشهوة مما قد ينتج عنه الزلل والوقوع فى الخطيئة ، فيسوء وجه الحرة ، « وأحظى عند الزوج » أى أنه بالختان الصحى الشرعى ، لا تتأثر المرأة بالبرود الجنسى «وتكون حساسة» مرهفة طبيعية فى علاقتها بزوجها . وهذه الكلمات الطيبة القليلة هى أبلغ رد على من يدعى أن الإسلام بختان الأنثى يذهب بالكثير من أنوثتها .

د ـ حكم الختان فى الإسلام :

يدور حكم الختان بين الوجوب والندب، والراجح عند جمهور العلماء أنه واجب فى حق الرجال ، ومندوب فى حق النساء وأنه لهن مكرمة وحظوة عند أنفسهن وعند أزواجهن .

المبحث الرابع

إنسانية الختان فى الإسلام وسموه مقارنة باليهودية والمسيحية

من الدراسة السابقة يتضح أن ختان الذكور عهد وميثاق فى اليهودية ثم أصبح سنة فى المسيحية ،رغبةً فى رضى الشعوب الغير يهودية الداخلة فى الدين المسيحى، ونسخ الختان فى المسيحية كان رأيًا شخصيا ليعقوب ثم سار عليه الآباء . أما فى الإسلام فهو سُنة .

أما عن ختان الإناث فليس له أصل فى التوراة أو الإنجيل ولم يزاوله اليهود أو المسيحيون ، وهو سنة فى الإسلام هدفها عدم الإضرار بالأنثى بحيث لا تكون سريعة التهييج والإثارة مما يسهل ترديها فى خطأ وخطئة الزنا » لعدم مقاومة هوى النفس والشهوة ، وأيضا تكون راضية مرضية فى علاقتها الزوجية ، ومعتدلة الإحساس والشعور والرغبة ولا تثار من أى عارض .

وقد عبر الرسول ﷺ عن حكمة ذلك فقال : « أسرى للوجه وأحظى عند الزوج » وهذا القول هو الرد على كل من يدعى أن الختان فى الإسلام هدفه الذهاب بإنوثة المرأة وعواطفها وإحساسها .

وعلى ذلك ختان الأنثى فى الإسلام مكرمة لها وحماية للمجتمع من سُعار شهوة قد لا يتغلب عليها .

الفصل الخامس

الحجاب فى الكتب والأديان السماوية

المبحث الأول

الحجاب فى التوراة والديانة اليهودية

اليهودية أول دين سماوى له كتاب سماوى كامل [1] ، والأديان لها جوانب أخلاقية بجانب العبادة ، والدارس للتوراة يتبين له أنه بالرغم من الكثير من ذلات الكتاب وتأثرهم بالأساطير المختلفة ، وأيضا بالثقافات المتنوعة لما خالطوه من أمم ، إلا أن التوراة تضمنت الكثير من الأحكام الأخلاقية الرفيعة ، وإن لم ينفذها اليهود فى غالب عصورهم ، ومن هذه الأحكام أحكام زينة المرأة وحجابها :

أحكام التزام المرأة ببيتها والعمل داخله :

يصف سفر الأمثال المرأة المثالية التى تلتزم بيتها وترعى شؤونه ، ويوضح أنها كالعملة النادرة ، ليس كل فرد يملكها فيقول : « إن امرأة قوية هى تاج زوجها » [أمثال : ١٢ : ٤] ، « إن نساءً كثيرات بَنَيْنَ بيوتًا » [أمثال : ١٤ : ١]، « من هو الذى يجد امرأة فاضلة مكرمة ؟ لأن هذه أفضل من حجارة كثيرة الثمن، وهذه ـ هكذا يفتخر بها قلب زوجها ، هذه هكذا لا تعوزها النعم الصالحة لأنها تعمل لزوجها الصالحات فى كل حياتها ،تعمل صوفًا وغزلاً ، تصنعهما أردية بيدها ... إذا رأت صنعة زراعة تشتريها،ومن أثمار أيدها زرعت حقلا، تشد ظهرها بقوة وتثبت ذراعيها وتتمنطق بحسن العمل ، وسراجها لا ينطفئ الليل كله، أيديها ممدوة إلى ما ينبغى وأصابعها ثابتة على المغزل ... يقوم أولادها ليصيروا أغنياء ويباركون عليها .. بعلها يفتخر بها ... » [أمثال ٣١ : ١٠ ـ ٣١] .

والتوراة توضح لنا إلتزام النساء بالمنزل ، وربما عملن فى ملء الجرار وخدمة أسرهن [2] . كما كن لا يظهرن على غريب .

---

(١) نقصد توراة موسى الأصلية وليس التوراة الحالية .

(٢) انظر قصة زواج إسحاق برفقة [التكوين الإصحاح ٢٤] .

فقد زار ثلاثة من الملائكة إبراهيم ليبشروه بمولد ابنه إسحاق وخراب سدوم فأعد لهم طعامًا ولما سألوه عن امرأته قال « هاهى فى الخيمة » [التكوين ١٨ : ٩] هذا ولم تظهر سارة لهم « وكانت سارة وراءه عند باب الخيمة فسمعت حديثه» [التكوين ١٨ : ١٠] « فضحكت فى نفسها قائلة . . . » [التكوين ١٨ : ١٢].

والفقرات توضح أن سارة ضحكت فى نفسها ، فقد استحت من الضحك بصوت عال ، ولم تقدم طعامًا بنفسها للأضياف الثلاثة.

أحكام الحجاب وعدم التزين :

إن حجاب المرأة كان معروفًا بين العبرانيين من عهد إبراهيم ، ففى الإصحاح الرابع والعشرين فى سفر التكوين عن (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد : من هذا الماشى فى الحقل للقائى ؟ فقال العبد : هو سيدى ! فأخذت البرقع وتغطت .

وفى الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضًا أن تامار : « مضت وقعدت فى بيت أبيها ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت » .

وفى النشيد الخامس من أناشيد سليمان تقول المرأة : « أخبرنى يا من تحبه نفسى أين ترعى عند الظهيرة ؟ ولماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك ؟» .

كما تمنع التوراة ارتداء كل جنس لثياب الآخرى. « يحظر على المرأة ارتداء ثياب الرجال ، كما يحظر على الرجال ارتداء ثياب النساء ، لأن كل من يفعل ذلك يصبح مكروهًا لدى الرب إلهكم » [التثنية ٢٢ : ٥] .

وقد حذر أشعياء النبى السفور والتبرج فقال :

« (١٦) يقول الرب : لأن بنات صهيون متغطرسات « يمشين بأعناق مشرئبة متغزلات بعيونهن » متخطرات فى سيرهم ، مجلجلات بخلاخيل أقدامهن (١٧) سيصيبهن الرب بالصلع ، ويعرى عوراتهن (١٨) فى ذلك اليوم ينزع الرب زينة الخلاخيل ، وعصابات روؤسهن والأهلة (١٩) والأقراط والأساور والبراقع (٢٠) والعصائب والسلاسل والأحزمة ، وآنية الطيب والتعاويذ . . . (٢٤) فتحل العفونة محل الطيب والعار عوض الجمال » [أشعياء ٣ : ١٦ ـ ٢٤] .

والفقرات توضح أقصى أنواع المهانة للمبتذلات من النساء » وهذا دليل قاطع

على وجوب التحجب بمعنى عدم إظهار الزينة والمفاتن .

وكانت المرأة تغطى رأسها ويقول الأب متى المسكين فى ذلك [1] « كانت المرأة اليهودية مغطاة الرأس بحيث لا تظهر معالم وجهها على الإطلاق ، حبيسة المنزل، تحت سلطان زوجها أو أبيها » ويؤكد ذلك ما قامت به رفقة زوجة إسحاق عندما قابلته لأول مرة « (١٥) وسألت العبد : من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائنا؟ فقال العبد : « هو سيدى » فتناولت الحجاب وتغطت... » [التكوين ٢٤ : ١٥ ، ١٦] .

غض البصر :

«[2] كان يوجد طائفة يهودية تسمى « الفريسيين الداميين » كانوا يضربون رؤوسهم حتى تدمى فى أقرب حائط تكفيرا عن ذنوبهم لأنهم رأوا امرأة ، وكان يحذر على المرأة المشاركة فى معارك الرجال وإن فعلت فكان الجزاء رادعًا ، إذا لم تراعى الحشمة . « (١١) إذا تعارك رجلان فتدخلت زوجة أحدهما لتنقذ زوجها من قبضة يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بخصيته ، (١٢) فأقطعوا يدها ولا تشفقوا عليها » [التثنية ٢٥ : ١١ـ ١٢] .

ولا شك أن تلك العقوبات القاسية للمرأة إذا تبهرجت أو لم تراع أنوثتها لهى خير دليل على وجوب الحجاب عند اليهود .

ورغم تلك التعاليم،فنادرا ما تمسك بها اليهود وجاء فى الموسوعة اليهودية[3] عن ذلك : « وكان الخوف من المرأة باعتبارها مصدراً للغواية والإغراء ، ربما سبب الانفلات الكبير فى الأمور الجنسية بين عامة الشعب ، وقيل إن صوت المرأة عورة ويعتبر إثارة جنسية تمامًا مثل شعرها وقدمها ، وأنه لا يجب تحت أى ظرف من الظروف أن تقوم المرأة بالخدمة فى تقديم الطعام .

ويقول القس إلياس مقار عند ذلك[4]:

« كان اليهودى يحتقر المرأة وعفتها إلى حد بعيد !! وكان عاراً عليه أن يحييها

(١) الأب متى المسكين : حقوق المرأة وواجباتها ص ٢٧ ـ دير الأنبا مقار .
(٢) القس إلياس مقار : نساء الكتاب المقدس ص ٢١٨ .
(٣) فصل النظرة إلى المرأة .
(٤) نساء الكتاب المقدس ص ٢٠٨ ، دار الثقافة بمصر .

فى شارع أو مكان عام ، حتى لو كانت أخته أو أمه أو زوجته ، أو تتصل به بأى سبب قوى . . بل كان يقول احرق الشريعة ولا تعلمها لامرأة » .

وقد جاء بالموسوعة اليهودية (١) : « من يعلم ابنته التوراة فإنه يعلمها الفسق والدعارة وهو رأى الأمكية ، أما الرأى المتفق عليه : أن المرأة ليست مضطرة إلى دراسة التوراة .

وهكذا نرى أن التوراة أبرزت فضائح النساء (٢) حتى حرم علماؤنا تدريسها للنساء .

---

(١) الموسوعة اليهودية تحت عنوان « النظرة إلى المرأة » .

(٢) انظر الباب الأول : نساء ذكرن فى التوراة .

المبحث الثانى

الحجاب فى الإنجيل والديانة المسيحية

نقصد بالحجاب : عدم اختلاط الرجال بالنساء داخل وخارج المنزل إلا فى حدود الضرورة ، ونقصد أيضًا لبس الملابس الحشمة وعدم التبرج والزينة .

والمسيحية كدين بها نصيب وافر من الأخلاق فهى تنظم هذه العلاقة فى إطار من الكتاب المقدس أى التوراة والإنجيل ـ نقصد الحالى ـ ويمكن تقسيم هذه العلاقة إلى :

أ ـ الحجاب داخل البيت .

ب ـ الحجاب خارج البيت .

أولاً : الحجاب داخل البيت :

يحرم دخول الرجال الأجانب والخلوة بالنساء :

« عند قيام الرسل « التلاميذ » بالتبشير والدعوة ، استعانوا بنسائهم معهم لا كزوجات ولكن كأخوات ، على أن يشتركن فى الخدمة معهم ، إنما فى البيوت للنساء اللائى يعشن فى بيوتهن . . . دون أن يثير ذلك شبهات» .

ومن مهام الشماسة المرأة (١) : « خدمة النساء ، لأنك لا تقدر أن ترسل شماسا إلى المنازل إلى النساء بسبب غير المؤمنين، فترسل الشماسة المرأة ، بسبب فكر الناس الأشرار» .

كما أن من مهامها « حفظ النظام فى الكنيسة واستقبال النساء الآتيات والترحيب بهن ، وإيجاد مكان لهن فى الكنيسة ، كما تقوم الشماسة بمسح النساء بالدهن المقدس فى العماد »(٢) .

ولا شك أن هذه الفقرات توضح الخوف من دخول غرباء البيت حتى لو كانوا

---

(١) الأب متى المسكين . المرأة حقوقها وواجباتها ،ص ٥٩ ، دير الأنبا مقار .

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ والتعميد : طقوس مسيحية للطهارة وقبول المسيحى المؤمن .

رجال دين مخافة الظن السوء .

ثانيًا : الحجاب خارج البيت :

ليس للمسيحية لبس خاص للمرأة أى له شروط خاصة ، ولكن اللبس يشترط فيه الحشمة والوقار ، ويلاحظ أن لبس الراهبات فى المسيحية مشابه للبس المسلمات المفروض شرعا ، كما أن المسيحية لا تجيز أى أنواع الزينة للوجه ، كما لا تجيز إجراء أى تعديلات فى الوجه بالماكياج أو العمليات الجراحية .

يقول بطرس داعيًا النساء بالحشمة :

« (٣) على المرأة ألا تعتمد الزينة الخارجية لإظهار جمالها ، بضفر الشعر والتحلى بالذهب ، ولبس الثياب الفاخرة (٤) وإنما تعتمد الزينة الداخلية، ليكون قلبها متزينا بروح الوداعة والهدوء ، هذه هى الزينة التى لا تغنى ، وهى غالية الثمن فى نظر الله » [١ بطرس ٣ : ٣ ـ ٦] .

كما يوصى بولس : « كما أريد أيضا أن تظهر النساء بمظهر لائق محشوم اللباس، متزينات بالحياء والرزانة ، غير متحليات بالجدائل والذهب واللآلئ والحلل الغالية الثمن (١٠) بل بما يليق بنساء يعترفن علنا بأنهن يعشن فى تقوى الله » [اتيموثاوس ٢ : ٩ ـ ١٠] .

كما توصى التعاليم الدسقولية (١) بعدم التزين للغرباء : « (٢) فإذا أردت أن تكونى مؤمنة وأن ترضى الله أيتها المرأة لا تتزينى لترضى رجلاً غريبًا ، ولا تشتهى أن تلبسى مقانع وثيابًا وأحفافًا ، هذه التى تليق بالزانيات ليتبعك الذين هكذا يُصادون بهذه الأعمال » .

والمسيحية تحرم إجراء المكياج لتعديل الخلقة أو العمليات الجراحية لتغيير الخلقة « (٣) لا تزينى وجهك الذى خلق من قبل الله، لأنه ليس فيه شىء يعوزه التزين ؛ لأن كل شىء خلقه الله حسن جداً وإذا زُين مالا يعوزه التزين ؛ تزيدون على الخير فتشتمون نعمة الخالق » .

المسيحية لا تؤمن بادعاء النساء : أن الزينة من أجل الزينة وتحذر من الفتنة الناتجة عنها : « (٤) ولكن أيضًا تزينت فقط من أجل الزينة والجمال ، فلن تفلتى من الحكم ، غضب الله والتشبه بالزانيات ، لأنك من جهه هذا تلزمين آخر

---

(١) التعاليم الدسقولية : تعاليم للرسل ـ حسب ادعاء المسيحيين ـ أى التلاميذ ، وفى اعتقاد المسيحيين أن هذه التعاليم وصايا من الرسل ورثتها الكنائس .

(٢ ـ ٤) الأب متى المسكين :المرأة حقوقها وواجباتها ـ ص ٦٦ ، دير الأنبا مقار .

ليتبعك ويشتهيك فتحفظى لكيما لا تقعى فى الخطيئة ولا أيضا يتشكك آخرون لأجلك » .

وتحرم المسيحية النظرة الحرام « من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه » [متى ٥ : ٢٨] .

وتحرم المسيحية الصوت العالى أو المتصنع للمرأة يقول بولس : «ليصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مسموحًا أن يتكلمن ، بل يخضعن كما يقول الناموس » [١ كورنثوس ١١ : ١١] .

تغطية رأس المرأة من الاحترام والتقديس :

يقول بولس آمراً النساء :« (٦) فإذا كانت المرأة لا تغطى رأسها ، فليقص شعرها ! ولكن ما دام من العار على المرأة أن يقص شعرها أو يحلق فلتغط رأسها» [١ كورنثوس ١١ : ٦] ؛ ولذلك كانت وصايا آباء المسيحيين عن الاحتشام حتى فى الاحتفال بالعرس .

يقول البابا يوحنا (١) ذهبى الفم فى العظة رقم ٢ على الرسالة الأولى كورنثوس : حتى يحذر المسيحيين مما قد يؤدى إليه حفل الزواج من إفساد للنقاوة الأخلاقية للمرأة المسيحية ويعرضها للخطر :

« ... ولكن عندما تجرى احتفالات الزفاف تحدث أشياء تدعوا للسخرية والضحك ... فهناك رقص وصنوج وآلات للنفخ وأغنيات وكلمات هابطة وسكر حتى الثمالة ثم يتم تقديم كل تفاهات الشيطان » .

ثم يوضح تأثير ذلك على العروس فيقول: « كيف لا توجه أقسى أنواع الإدانة لتلك العادات التى تجبر عذراء عاشت طوال حياتها داخل نطاق منزلها ، وعُلمت دروس الحياء ، منذ نعومة أظافرها ، أن تتخلى فجأة عن حيائها تمامًا ، لكى تتعلم أن تنزع برقع الحياء منذ بداية زواجها ، وأن توضح وسط رجال شهوانيين أجلاف دنسين ومخنثين ؟ »

وقد أوضح أنه لا ينقد الزواج ولكن ما يصاحبه من شرور فقال: « انتقد مجموعة الشرور المصاحبة لصحوة الزواج ، وعمل الماكياج ، وظلال العيون ،

---

(١) الأباء والمرأة : إليزابيث. آ . كلارك ص ٥٩ ، ٦٠ دار الثقافة .

وكل الأشياء غير الضرورية من هذا القبيل ، حقا فمنذ ذلك اليوم فإنها سوف تصبح مطمعًا للعشاق قبل أن تكن محط أنظار عريسها المقبل » .

ولكن المؤسف له أن بعض علماء المسيحية يرى أن حجاب المرأة وعدم زينتها هو عقاب لها من الدرجة الأولى :

يقول «فترتليانوس » : « (١) لو ظل الإيمان قويًا على الأرض ، كما هو متوقع أن يكون في السماء ؛ لما رغبت أى واحدة فتكن يا أخواتى العزيزات » منذ معرفتها بالإله الحى ومعرفتها بنفسها ، فى أن تلبس ثوبًا أكثر جمالاً رخيصة الثمن ، وأن تجاهد ليكون مظهرها متسمًا بالإحمال ، ولكانت تسير كحواء ، وهى باكية تائبة » وحتى تكفر بكل ثوب للتوبة تلبسه عما اكتسبته من حواء . . أقصد خزى الخطية الأولى وكراهية العصيان البشرى » أكثر أتعاب حبلك ، وبالوجع تلدين أولادًا ، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » [تكوين٣:١٦] .

إذن الحجاب فى المسيحية عقوبة .

---

(١) الآباء والمرأة ص ٣٤ .

المبحث الثالث

الحجاب فى القرآن والديانة الإسلامية

منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام وأسكنهما الجنة، وجه الخطاب إلى آدم ـ لكونه القائم على الأسرة ـ فقال له : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) ﴾ [طه] ولما وسوس إبليس لهما وخالفا وصية الله وأكلا من الشجر انكشفت سوآتهما وانزاحت عنهما ثيابهما، فجعلا يضعان عليهما من ورق الشجر ، طلبًا للستر واستمساكا بالفطرة الحيية المتأصلة فيهما ، قال تعالى : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢] وهكذا يتضح أن انكشاف العورة أمر مذموم فى الفطرة البشرية السوية ، ومرفوض فى الطبع السليم .

(١) الحجاب لغة: المنع والستر، تقول(٢) :حجب السحاب ضوء الشمس يعني: منعه وستره من الظهور . ومنه اشتقت كلمة الحاجب ، أى الذى يمنع وصول أى خطر إلى العين ، وفى الاصطلاح الشرعى اختلف فى مفهومه وحدوده ، لاختلاف تفسير قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ فالبعض يرى أنه: تغطية سائر الجسم بما فيه العينين وبعضهم تغطية سائر الجسم ما عدا العينين. وبعضهم تغطية سائر الجسم عدا الوجه والكفين والقدمين .

وقيل إلا ما ظهر منها ، أى : الوجه وكفيها فقد روى عن النبى ﷺ قوله لأسماء : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا» ، وأشار إلى وجهه وكفيه (٣).

النصوص الواردة فى مسألة الحجاب :

١ـ نصوص من القرآن الكريم .

٢ ـ نصوص من الحديث النبوى .

---

(١) الدكتور أحمد عبد الله الطيار ـ مقال بمجلة الأزهر ـ ذو الحجة ، ١٤١٨ هـ .

(٢) لسان العرب لابن منظور .

(٣) رواه أبو داود .

النص الأول : قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور] .

النص الثاني : قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾ [النور] .

النص الثالث: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) ﴾
[الأحزاب]

النص الرابع : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ [النور] .

النص الخامس: قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ﴾ [النور] .

وبدراسة هذه الآيات الكريمات المنيرات يتبين أنها أوضحت مفهوم الحجاب بأوسع نطاق أى بشقيه وهما الحجاب وعدم التزين وعرض العورات خارج المنزل ، ثم أصول التحجب وعدم الظهور والانكشاف داخل المنزل :

أ ـ الحجاب خارج المنزل :

وهو يشمل غض البصر لكل من المرأة والرجل ـ إلا لضرورة، فتأمل مواطن الجمال والفتنة من قوام ممشوق ووجه مزين مكشوف وشعر عار مصبوغ هو بداية عمل الشيطان، فالعين هي أول أدوات العشق وقد عبر الشاعر عن ذلك فقال :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

كما يشمل غض الصوت أيضًا : فكثيراً ما يكون تلذذ الرجل بالمرأة عن طريق السمع ، فقد قيل « والأذن تعشق قبل العين أحيانا » ، ولهذا نهى الشارع الحكيم المرأة عن الضرب برجلها على الأرض حتى لا يسمع» صوت الخلخال فتتحرك شهوة الرجل ، وقد دل على أن إظهار مواضع الحلى أبلغ فى الزجر ؛ لكونها تحرك الشهوات . ومن المواضع التى تثير الفتنة ، وتحرك الشهوات ما تفعله المرأة من التعطر والتطيب بأنواع الطيب والتبختر فى المشية واللين فى الكلام ، وتنعيم صوتها إذا خاطبت الرجال ، أو المجاهرة بالأصوات الرقيقة ، أو إظهار بعض مفاتن جسدها ، كنتوء الثديين وفتحة الصدر ، وفتحة الساقين ، وصدق الله القائل : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب:٣١] ، وإظهار مواطن الزينة من جسدها بلبس المخيط والشفاف من الملابس التى تحدد مواطن الفتنة فى جسدها ، وهذا هو التبرج المنهى عنه فى قول الله تعالى : ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

والزينة المشروعة فى الإسلام تنحصر فى دائرة التحلى بأنواع الحلى من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والتجمل باللباس الطيب والكحل والتخضب بالحناء ، والتعطر بأنواع العطور مما يروق فى نظرهن ، وتميل إليه أنفسهم وكل ما تظهر به جميلة أمام زوجها ، وهذه الزينة من مقتضيات أنوثتهـن لما تضفى عليها مـن الرشاقة والجمال ما تقر به عين الأزواج قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الاعراف : ٣٢] . وتغيير الشكل بلا مبرر علاجى كتفليج الأسنان أو تقصيرها أو تعمد جراحات التجميل التى لا تعالج عيبًا خلقيا ولكن تهدف إلى مسايرة الموضة ، ليس من الزينة ، وكذلك الباروكات ووصل الشعر .

كيفية الحجاب :

هنـاك خلاف فقهى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ فالبعض يرى أنه تغطية كل جسد المرأة مع غطاء الوجه كله حتى مبلغ الحاجبين مع ظهور عين واحدة . وآخرون يرون أنه غطاء الوجه كله ما عدا العينين . والبعض يرى جواز كشف الوجه ما دام ليس بفتنة وهذا الخلاف من باب التيسير على المسلمين ، حتى يتيسر لكل مجتمع ولكل شخص التصرف فى حدود شرع الله وفقا للتقاليد والأعراف السائدة وحاجة المجتمع .

شروط الحجاب الشرعى :

١ـ أن يكون كثيفا غير رقيق ولا شفاف بحيث يمنع رؤية ما تحته .

٢ـ ألا يكون زينة فى نفسه ، أو مبهراً ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار إليه .

٣ـ أن يكون واسعا غير ضيق بحيث لا يحدد مواطن العورة فى المرأة ولا أماكن الفتنة فى الجسم لها .

٤ـ ألا يكون الثوب معطرا فيه إثارة للرجال .

٥ـ ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال لحديث أبى هريرة: لعن النبى ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل، وجاء فى الحديث: « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » .

أهداف حجاب المرأة فى الإسلام :

أولاً : المحافظة على الصحة النفسية للحياة الاجتماعية ووقايتها من الأمراض الروحية النابعة من الخلاعة والتميع .

ثانيًا : توثيق الصلات والروابط الزوجية ، وتنشيط العلاقات بين أفراد الأسرة والمحافظة على حرارتها وصيانتها من التفكك والتجزئة ، فالحياة الاجتماعية إذا كانت صفواً من أى استمتاع جنسى ولم يفسح المجال لأى من الرجل والمرأة فى ممارسة الشهوات وإشباع الغرائز خارج نطاق الحياة الزوجية أصبحت الزوجية آنذاك عش المودة الحقيقى .

ثالثًا : حث الحياة الاجتماعية على التحرك والنشاط واستثمار الطاقات البشرية

فى إنتاج أكبر قدر ممكن من الخيرات واستخراج الثروات الطبيعية لصالح الإنسانية .

رابعًا : صيانة المرأة من اتخاذها أداة رخيصة ومبتذلة للاستمتاع والاحتفاظ بكرامتها وشرفها فى المجتمع لكى لا تقع لعبة دعائية بيد الشركات التجارية التى تستنزف عزها وكيانها الذاتى استنزافًا شرهًا كما نلاحظ اليوم بوضوح (١) .

أما من حيث المزايا الصحية للحجاب فلن أتعرض لها ، حيث إن كلاً من أنصار الحجاب والسفور لهم آراء صحية تؤيد أفكارهم .

ب ـ الحجاب داخل المنزل :

يقصد به عدم الخلوة الكاملة لغير محرم مع امرأة فى بيتها ، لأن ذلك غالبًا يكون بعيدًا عن الرقابة مما قد يؤدى إلى الفاحشة ، كما يقصد به حماية المرأة من أن يطلع على عوراتها غريب والعورات هنا يقصد بها مواطن الزينة والفتنة وأيضًا المواطن والمواضع التى تستحى المرأة أن يراها عليها أحد حتى أقرب الأقربين .

وقد نهى الرسول ﷺ عن الخلوة بالمرأة الأجنبية ـ أى التى يحل للرجل نكاحها فقال ﷺ « لا يخلون أحد بإمرأة إلا مع ذى محرم » (٢) وعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان » (٣) وعن جابر أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تلجوا على المغيبات ـ اللاتى يكون أزواجهن غائبين عنهن ـ فإن الشيطان يجرى من أحدكم مجرى الدم » (٤) .

ونظرًا لأن القرابة من نسب ومصاهرة أو صداقة قد تؤدى إلى سهولة الخلوة فقد شدد الرسول ﷺ على الخلوة بالأقارب . فعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : «إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله، أفرأيت الحمو ؟ قال « الحمو الموت » (٥) ، والحمو هو قريب الزوج .

أنواع المباح لهم الدخول على النساء والاطلاع على زينتهن :

هذه الأنواع أوضحتها الآية ٣٠ من سورة النور وهم :

---

(١) محمد عودة السلمان ـ مجلة الوعى الإسلامى ـ ذو القعدة ١٤١٩هـ .

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) رواه أحمد فى مسنده .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

* **الزوج - الأب - أب الزوج - الأبناء - أبناء الأزواج من نساء أخريات - الأخوة - أولاد الأخوة - جميع النساء ، ويلاحظ أن كل هذه الأنواع هى التى لا تطمع فى النساء ومحرم عليهم الزواج بهن .**

* **ما ملكت أيمانهن** : المراد النساء من العبيد والإماء وإن رأى البعض أيضاً الرجال من العبيد والإماء .

* **التابعين غير أولى الإربة من الرجال** : أى الذين لا يشتهون النساء لأسباب كالعنة ، البلاهة ، الجب ، الجنون وسائر ما يمنع الرجل أن تشتهى نفسه المرأة .

* **الأطفال الذين لم تثيرهم بعد مفاتن النساء ولم يصلوا لمرحلة البلوغ والشهوة .**

آداب الاستئذان لدخول البيوت وفى داخل البيوت :

من وسائل الحجاب الشرعى : الاستئذان قبل دخول البيوت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) ﴾ [النور] والهدف عدم تعرض البيوت بما فيها من أسرار عامة أو عورات خاصة للتكشف حتى لو عن غير قصد ، ومن هذه العورات الطعام والشراب ، والتحرر من لبس المعتاد من الثياب . وكل ما لا يحب الإنسان أن يراه أحد عليه . وكذلك قطع طريق الغواية التى قد تحدث من انفراد المرأة بالرجل الأجنبى والاستئذان بإلقاء السلام وسماع الرد والإذن بالدخول .

الاستئذان داخل البيت :

هناك أوقات يكون فيها الزوج وزوجته فى البيت فى فترة راحة وسكون أو قيلولة أو متعة ، وفيها قد يكون الإنسان متحرراً من بعض ملابسه أو فى أوضاع زوجية لا يجب أن يراه عليها أولاده أو الآخرون ، وفى ذلك فيجب الاستئذان قبل الدخول على الزوج أو الزوجة داخل البيت ويستوى فى الاستئذان الأطفال الذين لم يبلغوا سن البلوغ ، والعبيد والإماء . وهذه الأوقات ثلاثة : قبل صلاة الفجر ، وعند القيلولة ظهراً ، وبعد صلاة العشاء . ويلاحظ أنها أوقات السكون

والراحة ، وأوقات مزاولة العلاقة الزوجية الخاصة .

وينبغى القول والتنبية أن للمرأة مباشرة كل مهامها الاجتماعية والإنسانية داخل منزلها فى حدود الآداب الإسلامية ، وخارج منزلها فى حدود ما أوجبه الشرع من تعاليم سامية فى هذا الشأن .

فالحجاب فى الإسلام لا يهدف إلى تقييد حرية المرأة ولكن إلى صيانة عرض المرأة وحفظ كرامتها .

المبحث الرابع

مزايا الحجاب فى الإسلام مقارنة باليهودية والمسيحية

الأديان السماوية الثلاثة أمرت بالتزام المرأة بيتها وعدم التكشف على الغرباء والإنفراد الكامل بهم ، وذلك حفظًا لعرض المرأة وصيانة لكرامتها . كما دعت إلى حشمة ووقار المرأة وعدم التكلف فى التزين وعرض المفاتن على أن المسيحية لم تشترط رداءًا خاصا للنساء ما عدا الراهبات فهن يغطين رؤوسهن ويظهرن الوجه، وهن بذلك أقرب إلى حجاب النساء فى الإسلام ، والمسيحية قيدت المرأة وجعلت محرمًا عليها الكلام فى وسط جماعة من الرجال، لدرجة عدم الإذن بالكلام فى الكنيسة والسؤال عن الدين ، وهذا ليس فى الإسلام ، فصوت المرأة ليس بعورة طالما لم تتصنع ميوعته ويؤدى إلى طمع السامعين فيها .

هذا وقد أساءت التوراة للنساء ونشرت مخازيهن ، حتى إن علماء اليهود حرموا على المرأة دراسة التوراة .

وعلى ذلك يتبين أن الإسلام أكرم المرأة بالحجاب فلم يبالغ فى تقييد حرية المرأة ومنع كلامها كما فى الكنيسة وإن كان لتعليم الدين فى المسيحية، ولم يأمر بالحجاب والحشمة للنساء ثم ينشر مخازيهن وفضائحهن كما جاء فى التوراة - الحالية - وفى الديانة اليهودية .

وفى المسيحية اعتبر عدم زينة المرأة عقوبة من الله ورثتها المرأة عن أمها حواء، فليس لها التزين لأنها تستحق المهانة والخزى .

وعلى ذلك الحجاب فى الإسلام مكرمة وفى اليهودية والمسيحية مذلة وعقاب ومشأمة .

الفصل السادس

الطلاق فى الكتب والأديان السماوية

المبحث الأول

الطلاق فى التوراة والديانة اليهودية

يقصد بالطلاق : حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية.

ويقصد بالتطليق : صدور حكم قضائى بانحلال الرابطة الزوجية، والطلاق حسب نص التوراة هو حق للرجل فقط وليس للمرأة نفس هذا الحق . جاء فى سفر التثنية [٢٤ : ١] « إذا اتخذ الرجل امـرأة وصـار لها بعلا ، ثم لم تحظ عنده لعيب أنكره عليها ، فليكتب لها كتاب طلاق ، ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته » .

وكذلك أيضًا [٢٣ : ١ ، ٢] ما نصه : « إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه ؛ لأنه وجد فيها عيبًا أى شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، فمتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر » .

ومن ذلك يتبين جواز الطلاق برغبة الرجل وحسب إرادته .

والطلاق حق مكروه لدى الرب ، فالتوراة جاء فيها فى ملاخى [٢ : ١٦] فاحذروا خروجكم ولا يغدر أحد بامرأة شبابة لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل .

حالات تقييد الطلاق :

وهما اثنتان :

١ ـ اتهام الزوج لعروسه فى شرفها والادعاء بعدم عذراويتها : « إذا تزوج رجل امرأة ودخل بها ثم أبغضها فنسب إليها ما يوجب الكلام فيها وأذاع عنها سمعة قبيحة فقال: إنى اتخذت هذه المرأة فلما دنوت منها لم أجد لها عذرة بأخذ الفتاة وأبوها وأمها ويخرجان علامة عذرة الفتاة إلى شيوخ المدينة إلى الباب ويقول

أبوها لشيوخ: إنى أعطيت ابنتى لهذا الرجل فأبغضها وها هو قد نسب إليها ما يوجب الكلام فيها قائلا: لم أجد ابنتك بكرا وهذه علامة عذرة ابنتى ويبسطان أمام شيوخ المدينة فيأخذ شيوخ المدينة ذلك الرجل ويغرمونه مائة من الفضة ويدفعونها إلى أبى الفتاة لإذاعته سمعة قبيحة على بكر من إسرائيل يكون لها زوجة ولا يستطيع أن يطلقها طول عمره [التثنية ٢٢ : ١٣ ـ ٢٠] .

٢ـ اغتصاب العذراء الغير مخطوبة لرجل آخر : « إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضجع معها وضبطا معًا ؛ يعطى الرجل الذى اضجع مع الفتاة لأبى الفتاة خمسين من الفضة ، وتكون هى له زوجة من أجل أنه قد أذلها لا يقدر أن يطلقها كل أيامه » [التثنية ٢٢ : ٢٨ ، ٢٩] .

كما لا يجوز عودة المطلقة إلى زوجها لو تزوجت آخر وطلقت منه « إذا أخذ رجل » امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب الطلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته وذهبت وصارت لرجل آخر ، فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها زوجة له فلا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست لأن ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب آلهك نصيبا » [التثنية ٢٤ : ١ ـ ٤] .

هذا وقد حدثنا التوراة عن حالات طلاق قام بها الأب وليس الزوج ، أى أن حق الطلاق قد يقوم به الأب ، ومن ذلك والد شمشون ـ كان فلسطينيا ـ قد طلق امرأة شمشون منه لغيابه مدة طويلة وزوجها لآخر .

أما شاول اليهودى وهو أول ملك لليهود ، فقد زوج ابنته ميكال وقد كانت زوجة لداود .

ويلاحظ أن الشريعة اليهودية لم تشرع عدة للمرأة ، فإذا تعجلت فى الزواج بآخر قد يحدث اختلاط أنساب .

قوانين الحد من الطلاق :

حيث استغل اليهود حق الطلاق وجعلوه مطلقا بلا ضابط فشاع بينهم ، فقد أجاز التلمود للمرأة طلب الطلاق قضائيا كما اعترف بحق الرجل .

هـذا وقـد قـرر المجمـع اليهودى فى عهد الرومان تقييد حرية الرجل فى الطلاق، كما حصر حالات طلب المرأة للطلاق فى سبعة أسباب . مازال معمولاً بها حتى الآن وهى :

١ـ عدم القدرة على مضاجعة الزوجة (الجب والعنة) .

٢ـ تغيير الدين .

٣ ـ إسراف الزوج فى الفجور والفساد واشتهاره بذلك .

٤ـ الامتناع عن الإنفاق على الزوجة .

٥ـ هروب الزوج من البلاد لجريمة ارتكبها .

٦ـ سوء معاملة الزوجة باستمرار .

٧ ـ إصابة الزوج بمرض خبيث أو ممارسته عملاً أو تجارة محرمة .

ـ الطلاق إذن فى الشريعة اليهودية مشروع وقائم ، ولم توضع له قيود فى كتابهم المقدس ، وإنما وضعت القيود من حد المجامع البشرية (١) .

(١) لواء أحمد عبد الوهاب : مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٢١٣ ـ وزارة الأوقاف بمصر .

المبحث الثانى

الطلاق فى الإنجيل والديانة المسيحية

الطلاق من الأمور الدينية الاجتماعية فى حياة الأمم وفى شرائع الأديان ولا يوجد مجتمع أو دين لا ينظم هذه العلاقة، ولكن المسيحية انفردت دون سائر الأديان والشرائع والقوانين الوضعية بالتشدد فى أحكام الطلاق وهى بذلك تجاوزت أحكام التوراة والديانة اليهودية التى ما جاء المسيح ليلغيها بل ليكملها .

ولا خلاف نهائيا بين علماء الدين المسيحى على جواز الطلاق ولكن الخلاف يرجع إلى مدى الهروب من أحكامه المتشددة وتحويله من طلاق دينى إلى طلاق مدنى ،والأصل أن شريعة الطلاق كما يلى :

أسباب الطلاق فى المسيحية :

لا طلاق إلا لسبب واحد لا ثانى له مهما كانت الأحوال ، والسبب الوحيد هو الزنا .

يقول قداسة البابا شنودة فى ذلك (١) :

« ١ـ الشريعة التى وضعها السيد المسيح بخصوص الطلاق هى شريعة واضحة لا لبس فيها ،وهو قوله فى العظة على الجبل : « وأما أنا فأقول لكم إن مَنْ طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى . ومن تزوج بمطلقة فإنه يزنى » [متى ٥ : ٣٢] وهذا الأمر أيدته وفسرته القوانين الكنسية وأقوال الآباء .

٢ـ ولكن السيد المسيح لم يكتف بهذا . وإنما أتى إليه الفريسيون مرة فسألوه فى موضوع الطلاق ، فكان من ضمن إجابته لهم : « وأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا ، وتزوج بأخرى ، يزنى . . . » [متى ١٩ : ٩ وأيضا لوقا ١٦ : ١٨] .

وهذه الآية تُظهر بطريقة لا تحتمل الجدل شريعة « الزوجة الواحدة » .

ولذلك فإن القديس مرقس الرسول أورد لنا نصًا أكثر وضوحًا من هذا . فبعد سؤال الفريسيين للسيد المسيح وإجابته لهم ، يقول القديس مرقس فى إنجيله :

(١) البابا شنودة الثالث : شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية ص ٤١ .

«ثم فى البيت سأله تلاميذة أيضًا عن ذلك ، فقال لهم : « من طلق امرأته وتزوج بأخرى، يزنى عليها . وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى » [مرقس ١٠ : ١٠ ، ١١] .

هذا هو الشرح الذى نطق به السيد المسيح نفسه ، فإنه إذا ما اعتبر الطلاق باطلاً ، لسبب كونه لغير علة الزنا، وتبعًا لذلك اعتبر الزواج الأول ما زال قائمًا وعلاقة الزوج بمن طلقها مازالت علاقة زوجية لم تنفصل ، فإنه إن تزوج غيرها يزن عليها . وكلمة « عليها » تدل على جرم هذا الذى اتخذ زيادة على زوجه الواحدة ، التى لا تحل له زوجة أخرى عليها .

ومن الشق الثانى للآية التى أوردها القديس مرقس ، نرى أن السيد المسيح قد ساوى بين المرأة والرجل فى وحدة الزواج . فكما أن المرأة لا تستطيع أن تجمع بين زوجين، وإن تزوجت بآخر فى حالة قيام الزواج الأول لبطلان الطلاق تعتبر زانية؛ كذلك الرجل الذى لا يحل له هو أيضًا سوى زوجة واحدة .

وهذا ولا يجوز الطلاق لأسباب أخرى مثل العقم للزوج أو الزوج أو إصابة الزوجة أو الزوج بمرض يُعجزه عن القيام بواجباته الزوجية أو غيرها : الكراهية وسوء المعاشرة وعدم التوافق العاطفى والجنسى والأخلاقى . . . إلخ .

وعلى ذلك فالقوانين الكنسية تعتبر من يطلق لغير علة الزنا فهو كافر ولا تعتد لا بالطلاق ولا بصحة الزواج الثانى .

ق ٤٥ من قوانين أكليمنس « للآباء الرسل » :

١ ـ « أيما رجل علمانى أخرج امرأته من بيته من غير علة ولا حجة تستوجب ذلك أو تزوج بأخرى معها أو مطلقه من زنا ، فلينف من كنيسة الله » .

٢ـ « إذا تزوج واحد من قبل موت الآخر فالذى تزوج يدان مداينة الفساق . . . » ،« إن كانت « الزوجة » قد انفصلت عن زوجها فلتبق غير متزوجة والمسيحيون يرون أن المسيح لم ينقض أو ينسخ شرريعة موسى التى أباحت الطلاق ولكن أكملها وبين أن العلة من الطلاق قد انتهت بنهاية عهد موسى وظهور دين جديد .

٣ـ « . . . وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له: هل يحل للرجل أن يطلق امرأة لكل سبب (٤) فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما

ذكرا أو أنثى (٥) وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا . إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان (٧) قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق (٨) قال لهم : إن موسى من أجل مساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء ، لم يكن هكذا (٩) وأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا سبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى » [متى ١٩ : ٣ ـ ٩ ، ومرقص ١٠ : ٢ : ١٢] .

فقساوة القلوب هى سبب تشريع الطلاق فى عهد موسى ، والآن لم تعد القلوب قاسية » وهل يجوز العودة فى تلك الأيام للأصل فى عهد موسى ؟!

نقد الطلاق فى المسيحية :

أ ـ المسيح جعل الطلاق بسبب علة واحدة وهى الزنا على سبيل الاستحسان لا على سبيل الوجود والإلزام ولذلك قال « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام ، بل الذين أعطى لهم » ثم قال بعدها « من استطاع أن يقبل فليقبل » [متى ١٩ : ١٢] .

ب ـ بين المسيح أن هذا الحكم قائم على سبب هو مناسبته للحال فى عهده أما لو رجعت القلوب قاسية كعهد اليهود أيام موسى فيمكن تعديل الحكم فالعِلة تدور مع المعلول نفيًا وإيجابًا .

« وكما أدرك تلاميذه صعوبة تنفيذ هذه التعاليم وعــدم ملاءمتها للطبائع البشرية ، فقد أدركها أيضًا المحدثون من أتباعه حتى أن الدكتور (هتسـون) أسقف درهام ، قال فى حديث له عن الطلاق سنة ١٩٢٣ : إنه لو كان عيسى موجودًا فى هذه الأيام لكان أعقل مما كان عليه من قبل» (١) .

ولعل قول المسيح : « من البدء خلقهما ذكرًاوأنثى » يوضح أن الطلاق لم يشرع نهائيا عندما كانت البشرية رجلا وامرأة فقط ، ولكن قد يفرض لزيادة أعداد الناس ويكون وفقا لمتطلبات الحياة . وهذا ما تم فعلا فى بعض عصور المسيحية ، وبعض الطوائف المسيحية التى أباحت الطلاق لغير علة الزنا أن يتزوج، وأباحت ذلك للمطلقة أيضا ، وهذا ما حدث من أقدم العصور حين أباح الإمبراطور

---

(١) لواء أحمد عبد الوهاب : مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٢١٥ .

(قسطنطين) سنة ٣٢٤م الطلاق لغير علة الزنا ، وحدد الحالات التى يجوز فيها الطلاق ، ثم جاء بعده الامبراطور (جستنيان) سنة ٥٢٩ م فقصر حالات الطلاق على أربع ، أى أنه أيضًا لم يقصر الطلاق على هذه العلة وحدها [(١)].

تحايل القانون الكنسى لتشريع أسباب أخرى للطلاق « التطليق » :

انظر لصعوبة تطبيق هذه المبدأ فالمسيحية تفترض فى معتنقيها الطهارة الكاملة التى تصل إلى حد القداسة والعصمة « التى لم يجعلوها للأنبياء ، ولذلك أصبحت شريعتها الجامدة غير قابلة للتطبيق الفعلى العملى ، فقد تحايل الجميع من رجال دين وقانون وفكر وجمهور على مشروعية الطلاق المسيحى وشروطه ، فانشؤوا الطلاق المدنى ، أى الذى يتم بغير طريق الكنيسة وأسموه بالتطليق؛ حتى لا يقال : إنهم نسخوا وألغوا الطلاق .

ويقول الأنبا « اغريغوريوس » [(٢)] :

« إنه لا طلاق فى المسيحية بالمعنى المعروف فى الإسلام ، وهو حق الرجل فى فصم الرابطة الزوجية بالإرادة المنفردة . . وإن المسيحية تسمح بالتطليق وليس بالطلاق ، والتطليق هو الفصل بين الزوجين بناء على حكم المحكمة ولأسباب تقرها الكنيسة » .

وهنا يظهر التحايل على الشريعة ، استبدل لفظ الطلاق بالتطليق ، وأعطى الحق للمحكمة لا للكنيسة ، أسباب الطلاق يجب أن تقرها الكنيسة ، والمفترض أنه لا يوجد سوى سبب واحد للطلاق وهو الزنا .

تحايل الأفراد المسيحيين لإيجاد وخلق مبررات للطلاق :

لجأ المسيحيون لأمور عديدة للحصول على الطلاق منها :

أ ـ تغيير المذهب الكنسى أو الملة :

هذا الأمر تفشى فى المسيحيين لدرجة كبيرة وبالرغم من أن الملة أو المذهب أو الدين هو آخر ما يفرط فيه الإنسان ، إلا أن الكراهية لاستمرار الزواج اقتضت التضحية بها لخلق مبرر للطلاق وقد تحايل الناس على ذلك حتى قال « الأنبا غريغوريوس» [(٣)] :

---

(١) مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية فى الإسلام. ص٢١٦.

(٢) أسقف التعليم بالكنيسة المرقصية ، أى المسؤول عن التعليم المرجع السابق ص ٩٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٧ .

« يجب وضع حد للتحايل الذى يلجأ إليه بعض الأزواج نكاية بزوجاتهم ، فيغير مذهبه الكنسى أو مِلته ، فينضم مثلا إلى الأروام أو إلى السريان الأرثوذكس، ليتحول له هذا الانضمام أن يطلق زوجته بإرادته المنفردة .

ب ـ الاتفاق على إثبات الزنا حتى يكون مبرراً للطلاق :

قد تصل درجة الكراهية والخلاف بين الزوجين لدرجة أنهما يتفقان على اتهام أحدهما بالزنا واعترافه بذلك ، أو تدبير حيلة للتحايل وإثبات الزنا .

جـ ـ أسباب أخرى للطلاق :

* القتل للتخلص من الزوج أو الزوجة حتى يصبح الطرف الآخر القاتل أرملاً فيجوز له إقامة زواجًا ثانيا ، وأكبر نسبة للقتل بين الأزواج للتخلص من الزواج القائم هى بين المسيحيين .

* الهجرة وترك البلاد .

* الانفصال التام وانفراد كل من الزوجين بحياة مستقلة ، وقد يزاول كل طرف حياته الشخصية والاجتماعية ويقيم علاقات جنسية من معاشرة كاملة وخلافه ، مع عدم اعتراض الآخر ، أى يتم الاتفاق على الانفصال ، الذى يعد طلاقًا غير رسمى أو كنسى .

هذا وقد تنظم الدول قوانين للطلاق المدنى الذى تعترف به الكنيسة إذا قامت بالموافقة على قانون تنظيمه ، وقد لا تعترف به الكنيسة .

ويراعى أن هناك أصوات مصرية فى الكنيسة الشرقية تطالب قداسة البابا شنودة لسن قانون للطلاق أسوة بأغلب دول وكنائس الغرب ولكن قداسته مازال رافضًا .

ومن ذلك يتضح أن الزواج الفاشل فى المسيحية هو سجن إجبارى باسم الدين ، لا فكاك منه إلا بارتكاب جريمة جزاؤها الموت قصاصًا .

والمسيحية لم تراع واقع البشر ، فقد تمادت فى الروحانيات فخرجت بالمسيحيين من واقع الحياة كبشر ، إلى أحلام الإنسان والملائكية والتى لن ينالها فى

دنيا الشقاء » فزادت معتنقيها بعدم الطلاق شقاءً على شقاء فأصبحت تعاليمها غير واقعية ، اعترف فى الغرب المسيحى للصداقة « العشق » boy frind وأصبحت علاقة يتقبلها المجتمع وكأنها زواج وبذلك صار التعدد المدنى ، وكثير من البروتستانت يجيزون ذلك لقول بولس : « وأما المتزوجون فأوصيهم - لا أنا بلا الرب - ألا تفارق المرأة رجلها ، وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها، أو لا تترك الرجل امرأته » [١ كورنثوس ٧ : ١٠ ، ١١] .

المبحث الثالث

الطلاق فى القرآن والديانة الإسلامية

التعريف لغويًا : مأخوذ من الإطلاق ، وهو الإرسال والترك ، تقول: أطلقت الأسير : إذا حللت قيده وأرسلته .

التعريف الشرعى (١) : حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية .

نظرة الإسلام للطلاق :

سمح الإسلام بالطلاق ولكن عن كراهة ، كما حث على نبذه وعدم اقترافه ووضع لذلك ضوابط تهدف إلى عدم اللجوء إليه إلا للضرورة وتجنبًا لضرره .

حكم الطلاق فى الإسلام ومشروعيته :

قد يظن البعض من مسلمين وغيرهم بأن الطلاق أمر مشروع وسهل ومقبول، فما أيسر التلفظ بكلمات قليلة تقوض أركان بيوت وتذهب بسعادة أُسَر وتضيع مستقبل أولاد وذرية ،ولذلك فالطلاق حق مكروه استعماله إلا لضرورة لقوله ﷺ : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » (٢) ؛ ولذلك فهوحق مكروه استعماله لقوله ﷺ : « لعن الله كل ذواق مطلاق » .

وقد يكون الطلاق واجبًا،وبكون عند فشل الحكمين فى الوفاق بين الزوجين، إذا رأيا الطلاق هو الوسيلة المثلى لقطع الشقاق « وكذلك طلاق المولى بعد التربص لقوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ (٣) مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) ﴾ [البقرة] .

وقد يكون الطلاق محرمًا ، وهو الطلاق من غير حاجة إليه وبالتالى لا ضرر من استمرار الحياة الزوجية ، بل سيتحقق الضرر بانفصامها .

---

(١) الشيخ السيد سابق : فقه السنة ٢ /٢٧٨ ، الفتح للإعلام العربى ، القاهرة .

(٢) رواه أبو داود والحاكم فى المستدرك .

(٣) الإيلاء : أن يُقسم الرجل على زوجته بالا يمسها ويهجرها فتظل منبوذة فى بيته : لا هى زوجة ولا هى حرة فى إقامة حياة جديدة بعد مفارقتها .

وقد يكون الطلاق مباحًا ، إذا كان هو الحل الوحيد لتوفير السعادة لزوجين هربت منها السعادة بسبب استمرار العشرة والأسباب كثيرة .

والطلاق حق للرجل وحده وحكمة الله فى ذلك بالغة ، فالرجل أقل غضبًا من المرأة « قراراته أكثر عقلانية ، ثابت الأهواء والعواطف نسبيا عن المرأة كما أنه يتحمل تبعات الطلاق من مؤخر المهر ، ومتعة الطلاق ، والنفقة خلال عدتها وربما كان حكمة ذلك البالغة هو التقليل من حالات الطلاق، فلو ترك الطلاق كحق شائع للزوج والزوجة لزادت حالات الطلاق أضعافًا كثيرة وهو ما نراه فى البلاد الغربية التى جعلته من حق الزوج والزوجة معا والطلاق من الأحكام الصريحة فى القرآن والسنة فقد قال تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ﴾ [البقرة] كما قال جل شأنه : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾ [البقرة] . كما جاء بالسنة النبوية عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » (١) .

وقد زاوله الصحابة فى عهد رسول الله ﷺ كما زاوله الرسول ﷺ .

كراهية الطلاق وتقييد تنفيذه :

الطلاق حق مكروه ، كما أن الموت حق مكروه ، فكلاهما هدم لحياة ولكن الطلاق هدم لحياة أسرة لا لحياة شخص .

ولذلك تضمنت الشريعة الإسلامية الكثير من العوامل التى تكره الطلاق وتقيد من تنفيذه من هذه العوامل :

الصبر على الزوجة حتى وإن كان عن كراهية :

يقول تعالى : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) ﴾ [النساء] . فجعل الله جل وعلا الصبر على الزوجة المكروهة أفضل وأعلى منزلة

---

(١) رواه أبو داود والحاكم .

من الصبر على الجهاد حيث قال ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة] وحديث رسول الله ﷺ «لا يفرك مؤمن مؤمنه إن كره منها خلقًا رضى منها آخر » (١) .

وقد آمن علماء المسلمين في كل زمان وكل مكان بكراهية الطلاق ، خاصة وإن كان عند ظلم وافتراء فى استخدامه من قبل الرجل ، فها هو الإمام محمد عبده يقول(٢) : « إن ظلم الأزواج للزوجات أعرق فى الإفساد وأعجل فى الإهلاك من ظلم الأمير للرعية ، وإن رابطة الزوجية أمتن الروابط وأحكمها فتلاً فى الفطرة » فإذا فسدت الفطرة فسادا انتكث به هذا الفتل ، وانقطع هذا الحبل، فأى رجاء فى الأمة بعده يمنع منها غضب الله وسخطه ؟! ثم إن هذا الظلم للنفس يؤدى إلى الشقاء فى الآخرة » .

اعتبار الزواج أكبر المواثيق التى يجب احترامها والتمسك بها :

ففى مجال خصوصية العلاقة الزوجية ، والنهى عن ظلم الزوجة ومساس حقوقها المالية ، لقيام علاقة زوجية جديدة يقول تعالى :

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء] .

فهنا أوضح الله جل وعلا « سمو العلاقة الزوجية الخاصة فجعلها « ميثاقًا غليظًا » أى قانونًا إلهيًا مقدسًا لا يجب المساس به .

ولفظ « الميثاق الغليظ » جاء فى القرآن مرة أخرى فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [الأحزاب] .

فكأن الحق تبارك وتعالى جعل ميثاق الدين والدعوة إليه والتمسك به ميثاقًا غليظا ، وفى مجال الأسرة جعل العلاقة الزوجية الخاصة وعلاقة المودة والرحمة فى استمرارها أو الإحسان والمعروف فى إنهائها ميثاقًا غليظًا ، فكأنه جل وعلا

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الأستاذ الدكتور :محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ٣ / ١١٨ ، وزارة الأوقاف بمصر .

يوضح لنا أن العلاقة القويمة بين الزوج وزوجته فى جميع الأحوال هى أصل من أصول الدين، وأن نبذها وضياع حقوق المرأة، بمثابة هدم الركن من أركان الدين[1].

نهى المجتمع الإسلامى من السعى للحض على الطلاق وتشجيعه :

يقول الرسول ﷺ : « ليس منا من خبَّبَ امرأة على زوجها » [2] فهنا الرسول ﷺ يخرج من المسلمين من يفسد امرأة لترغب عن زوجها . كما يقول ﷺ عن المرأة التى تطلب طلاق أخرى كشرط من شروط زواجها بزوج المرأة الأخرى : « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح، فإنما لها ما قدر لها » [3] .

ويقول عن المرأة التى تطلب الطلاق بلا سبب يقتضيه : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس ؛ فحرام عليها رائحة الجنة » [4] .

الطلاق لا يكون إلا لضرورة وفى مجال حدود الله التى لا ينبغى تجاوزها نهائيًا :

إذا فشلت جميع مساعى الإصلاح بين الزوجين وأصبح الطلاق شرا لا بد منه، فقد وضع الله مبادئ أسسًا لتجعل الطلاق وإن هدم بيتًا إلا أنه لا يهدم مجتمعًا، وإن كان لسبب كراهية فبعد تنفيذه لا بد أن يكون سبب إصلاح . فالطلاق شرع لإصلاح حياة زوجية فاسدة ، لا يرجى صلاحها ، كمن يبتر عضواً من جسدة حتى لا تفسد باقى الأعضاء .

المقصود بحدود الله ما حدده الله من حلال وحرام وعدم الجور فى استخدام

---

(١) جاء لفظ الميثاق فى أكثر من آية منها :

عن أهل الكتاب : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) ﴾ [آل عمران] .

وعن اليهود : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ﴾ [البقرة] .

وكذلك ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾ [المائدة] .

وعن النصارى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) ﴾ [المائدة]

(٢) رواه الحاكم وأبو داود .

(٣) رواه أبو داود والنسائى .

(٤) رواه أصحاب السنن وحسنه الترمذى .

الحق الحلال وفى ذلك يقول الشيخ محمد الغزالى رحمة الله : هل قوامة الرجل على بيته تعنى منحه حق الاستبداد والقهر ؟ بعض الناس يظن ذلك وهو مخطئ ! فإن هناك داخل البيت المسلم ما يسمى « حدود الله » وهى كلمة لاحظت فى تلاوتى للقرآن الكريم أنها تكررت ست مرات فى آيتين اثنتين !!!

والآيتان فى دعم البيت المسلم حتى لا يتصدع ، وفى تدارك صدوعه حتى لا ينهار . . . وهما قوله تعالى : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) ﴾

[البقرة]

ما هذه الحدود التى تكررت ست مرات خلال بضعة سطور ؟ إنها الضوابط التى تمنع الفوضى والاستخفاف والاستضعاف ، ضوابط الفطرة والعقل والوحى التى تقيم الموازين القسط بين الناس ، إن البيت ليس وجارا تسكنه الثعالب ، أو غابا يضم بين جذوعه الوحوش .

لقد وصف الله مكان المرأة من الرجل ومكان الرجل من المرأة بهذه الجملة الوجيزه ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة:١٨٧] إن هذا التمازج بين حياتين يكاد يجعلهما كيانا واحدا، وليست الغريزة هى الجامع المشترك ، فالنزوة العابرة لا تصنع حياة دائمة ! وقد عنى المفسرون الكبار بجو البيت المسلم وهم يشرحون حدود الله التى تكررت كثيراً فيما سقنا من آيات [١].

وحدود الله الستة تضمنتها آياتان: الأولى [البقرة : ٢٢٩] وفيها ذكر أربعة حدود لله ومن يتجاوزها فهو ظالم وهى عن الطلاق وعدد مراته ، أما الثانية: فهى الآية [٢٣٠] اللاحقة للأولى وهى خاصة بشروط رجوع الزوجة المطلقة بعد ثلاث طلقات إلى زوجها الأول .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى ، مرجع سابق ص ١٥٤ .

أحكام الطلاق فى الآية الأولى [البقرة : ٢٢٩] .

عدد الطلقات :

﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ ﴾ وحكمة ذلك إعطاء الفرصة المزدوجة لإعادة بناء البيت الإسلامى لو انهار ، فإن هدم مرة نتيجة التسرع أو الطيش أو عدم الخبرة فهناك فرصة أخرى لإعادة البناء على أسس قويمة من التعقل والتدبر والاستفادة من نصح وإرشاد الأهل والأصدقاء وغيرهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ ﴾ فهو يحمل فى طياته الاكتفاء بطلقتين وإعادة إقامة الأسرة على روابط المحبة والإخلاص والوفاء ، ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ فهو إشارة إلى الطلقة الثالثة التى استحيى الله ولله المثل الأعلى ، أن يذكرها للتصريح فى القرآن الكريم حتى يستحى عباده المسلمين من النطق بها والتطليق لثالث مرة .

وعلى ذلك فبعد الطلقة الثالثة لا عودة إلى حياة زوجية وهذا هو الأصل ونلاحظ فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] يقصد به المفارقة الطيبة التى لا ينتج عنها زيادة فى البغض واستمرار الكراهية التي شرع الطلاق للقضاء عليها . والإحسان زيادة فى التكريم ، وبذل غاية البر وهو درجه أعلى من الواجب المفروض ويقول تعالى فى ذلك ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾ [البقرة].

النهى عن استغلال أموال المرأة والإضرار بها ماديا :

﴿ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ [البقرة : ٢٢٩] فلا يحل للمسلم أن يجعل الضرر المادى هو الغاية من الطلاق ، أو أن يكون الطلاق سببًا فى ذلك ، فالله يقول : ﴿ وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ [النساء : ١٩] كما يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) ﴾ [النساء].

الاستثناء المرغوب فيه لتضحية المرأة ماديًا :

قد ترغب المرأة فى إنهاء العلاقة الزوجية ،بلا أسباب شرعية تستوجب ذلك ، كأن تريد الخلاص من الزوج للزواج بآخر، أو بلغت مركزًا ماليًا أو إجتماعيًا أو وظيفيًا أو غيره جعل زوجها غير جدير بها ـ من وجهه نظرها ـ كان ورثت إرثا

فصارت الأغنى ، أو أصبحت راقصة أوممثلة مشهورة كما نرى فى هذه الأيام .

فهنا لها أن تخالع زوجها فتعطيه ما سبق بذله أو جزء منه كى يطلقها وهذا العطاء مقابل ما سببته له من ضرر مادى ومعنوى وأسرى لطلبها الخلع ، وقد أوضح الله أن هذه الأحكام هى من شريعته التى لا يجب المساس بها والتحايل لعدم التمسك بها أو تجاوزها ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾ [البقرة] .

أحكام الطلاق والرجوع فيه فى الآية الثانية : [البقرة : ٢٣٠]:

أوضحت الآية حالة الزوج الباغى الذى قد يتعجل الطلاق ويستهله فيقع منه الطلاق صحيحا ثلاث مرات فيقول تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ، والحكمة من تقييد حق الرجل فى الطلاق حتى ثلاث فقط ترجع إلى أسباب أهمها :

أ ـ منع الإعضال بمعنى بأن الزوج يطلق زوجته وكلما أوشكت العدة على الانتهاء أرجعها إلى عصمته وهكذا وبذلك تصبح كالمعلقة ، وهى عادة جاهلية ، قد ورثها المسلمون حتى أن رجلا قال لامرأته : والله لأطلقك فتبينى ، وألا آويك أبدًا ، قالت : وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضى راجعتك ، فذهبت المرأة تشكوه إلى الرسول ﷺ فأنزل الله قوله : ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] .

٢ـ عدم الاستهانة بالنطق بألفاظ الطلاق فهو جعله سيفا مسلطًا على رقاب النساء .

٣ـ ضرورة العمل على استقرار الحياة الزوجية وحل مشاكلها فى حدود المصالحة والتفاهم وتوجيه الزوجين الدائم والدائب لإكسابهما الخبرة اللازمة للتعامل مع مشاكلهم ومشاكل الحياة .

فلو فشل كل سعى وكل جهد لاستمرار الحياة الزوجية ، وتم الطلاق لثالث مرة وهو معيار لا شك فيه يوضح استحالة استمرار الحياة الزوجية فهنا يحرم على الزوج إعادة زوجته السابقة إلى عصمته نهائيا .

وعلى ذلك حرمت الزوجة نهائيًا على زوجها وأصبح الطلاق نهائيًا لا رجعة فيه ، وأصبحت المرأة حرة تتزوج من شاءت أو لا تتزوج فإذا أعادت الكرة وتزوجت مرة أخرى بهدف إنشاء حياة زوجية مستقرة سعيدة وفلحت ، كان هذا

دليلاً قويًا واضحًا على وجود أسباب قوية لفشل الزواج الأول الذى سيصبح بمرور الأيام ذكرى أليمة قد مضت ، وقد لا تفلح فى زواجها الثانى وتطلق ، فتصبح حرة مرة ثانية ، وترى كما يرى زوجها السابق إمكانية العودة إلى حياة زوجية أخرى ، يأمل الجميع فى نجاحها هذه المرة سواء لاكتشاف بقايا عواطف إيجابية سابقة ، أو لمصلحة أولاد قد أضيروا من الطلاق والفرقة ، أو اكتشاف الزوجة مزايا للزوج السابق ثم تتحقق منها إلا بعد الزواج بآخر أو العكس ، فيجوز أن ترجع إلى زوجها الأول : ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ .

فالتحليل هنا للتيسير وليس للتسهيل والتسيب ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ وقد فهم بعض المسلمين هذا التيسير فهمًا خاطئًا ، فتعمدوا تزويج المرأة بآخر بلا نكاح سليم « أى زواج صورى » حتى يحلوا لها الرجوع إلى من طلقها ثلاثا ويُسمى ذلك بالمحلل ، وهذا الأمر ليس من الإسلام فى شىء ، فتعمد اللجوء إلى هذه الحيلة الشيطانية لتحليل حرام هى من الحدود التى أمر الله ألا تمس فهو القائل :

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) ﴾ [البقرة] .

وأسلوب التحايل : يسمى بالمحلل وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك حيث قال [١] : قال ابن عباس ﷺ : لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له ، كما سئل الرسول ﷺ عن نكاح المحلل قال : « لا ، إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله ثم يذوق عسيلتها» [٢] .

وقال عقبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بالتيس المستعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : « هو المحلل ، لعن الله المحلل ، والمحلل له»[٣] إذن التحايل على شرع الله وإجراء زواجًا صوريًا لتحليل امرأة لمطلقها ثلاثا هو من الحرام ، الذى يتعدى فيه المحلل والمحلل له حدود الله .

(١) أعنى الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٦٥ دار الحديث .

(٢) عسيلتها : كناية عن الجماع الكامل .

(٣) رواه ابن ماجه والحديث فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٢٦٥ .

المبحث الرابع

الخلع فى القرآن والديانة الإسلامية

معناه لغويًا :هو نزع اللباس أى التخلص منه وعدم ارتدائه .

« اصطلاحًا (١) : هو فراق الرجل زوجته ببدل يحصل عليه أى مقابل ، وسُمى خلعًا لقوله تعالى فى حالة استمرار الحياة الزوجية : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، فمفارقة المرأة للرجل بناءًا على طلبها وهو بمثابة تخلصها منه » .

هدف الخلع التشريعى والإنسانى :

تحقيق إقامة العدالة والتوازن الإيجابى فى محيط الأسرة بين حقوق الزوج وحقوق الزوجة ، فإن كان للزوج حق طلاق زوجته ، فهى بالخلع تطلق من زوجها إذا كرهت عشرته سواء بأسباب أو بغير أسباب ، وبتضحية مادية هى التنازل عن مقدار مهرها والواجبات المادية المترتبة على الفرقة بينهما .

فإذا رضى الزوج ذلك تم التفريق بدون حكم قضائى ، وإذا لم يرغب وأصرت هى ، تم اللجوء للقضاء الذى سيحكم حتمًا بالتفريق ، ويكون ذلك بطلقة بائنة لا يملك الزوج أن يراجعها فيها ، فإن أراد الرجوع فبعقد جديد ومهر جديد وبرضا وإرادة الزوجة ، ونادراً ما يحدث ذلك، حيث إن المرأة لا تلجأ إلى الخلع إلا لأسباب قوية .

مشروعية الخلع :

شرع الخلع وفقًا لآيـات القرآن الكريم ، وما جاء فى السنة بذلك ، ففى القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) ﴾ [البقرة] .

---

(١) الشيخ السيد سابق : فقه السنة ٢ / ٣١١ ، دار الفتح للإعلام العربى بالقاهرة .

فعندما تصل الكراهية والشقاق وعدم الوفاق درجة عدم الوفاء بما فرضه الله تبارك وتعالى من مودة ورحمة وسكن بين الزوجين ، ومن ثم استحالة دوام المعاشرة الزوجية ، فللمرأة أن تفتدى نفسها بالقليل أو الكثير لتنهى حياة زوجية فقدت معناها وجوهرها والهدف السامي من إقامتها . كما يرى بعض العلماء في قوله تعالى : ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ④﴾ [النساء] . فيه مشروعية الخلع .

وفي السنة المطهرة : عن ابن عباس ﷺ قال : جاءت امرأة ثابت بن قيس ابن شماس إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إنى ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ :« أتردِّين عليه حديقته؟» قالت : نعم ـ فقال رسول الله ﷺ « اقبل الحديقة وطلِّقها تطليقة » (١) وعن ابن عباس أن جميلة بنت سلول أتت النبى ﷺ فقالت : والله ما أعتب على ثابت فى دين ولا خلق ولكننى أكره الكفر فى الإسلام لا أطيقه بغضًا ، فقال النبى ﷺ : « أتردين عليه حديقته ؟ » قالت: نعم فأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد » (٢) .

والحديث يوضح أنه لا يشترط نشوز الرجل حتى تطلب المرأة خلعه ، بل يمكن أن يكون السبب هو عدم رغبتها فيه ، لسبب بُغض ، أو عدم توافق عاطفى أو جنسى ، أو قصور فى المودة والرحمة وحسن العشرة أو لأسباب أخرى ، ظاهرة أو باطنة .

وينبغى ألا يكون الخلع بمقابل يزيد عما أخذته المرأة من مهر وخلافه مقدم ومؤخر ، ولكن يجوز أن يكون المقابل أقل مما نالته المرأة ، فقد ورد أن عمر ﷺ أتى بامرأة ناشز ، فأمر بها إلى بيت كثير الزبل، ثم دعا بها فقال : كيف وجدت ؟ فقالت: ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلا هذه الليلة التى كنت حبستنى. فقال لزوجها : اخلعها ولو من قرطها .

وروى أن ابن عمر جاءته امرأة قد اختلعت من زوجها بكل شىء وبكل ثوب لها إلا درعها فلم ينكر عليها (٣) .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه ابن ماجة .

(٣) نقلا عن : زكريا أحمد محمد نور : منار الإسلام ـ عدد جمادى الآخرة سنة ١٤١٩ هـ ص ٦٢ .

ويجب ملاحظة أن الخلع لا يتحقق بمجرد طلب المرأة لـه مـن زوجهـا ، بـل لا بد من موافقته ، فإن امتنع عن تحقيق رغبتها ، فقد عصى الله ورسوله .

لقول الله تعالى : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، وهنا تلجأ المرأة للقضاء الذى يحكم لها به ؛ حيث إنه لا يتوقف على وجود أسباب لطلبه .

الخلع فى القانون المصرى :

م ٢١ : « إذا افتدت الزوجة نفسها وقالت لزوجها بالتنازل عن جميع حقوقها المالية الشرعية وردت عليه الصداق الذى دفعه لها ، حكمت المحكة بتطليقها منه طلقة بائنة » .

والمشرع المصرى إنما استمد حق القاضى فى الحكم بالخلع ، من أمر رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بخلع زوجته، وأمر الرسول هو حكم واجب النفاذ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

وبالرغم من مضار الخلع المادية فقد يكون فى صالح الزوجة ، وأحب إليها من مال الدنيا ، كما أنه قد يكون أيسر على بعض الزوجات من التطليق « للضرر» فكم من زوجة أصابها من الضرر أفدحه ، فأحجمت عن اللجوء إلى المحكمة لتطلب التطليق لهذا السبب لأنها تأبى أن تلجأ إلى أقسام الشرطة شاكية زوجها الذى قد يكون أبًا لأولادها حتى لا تسيء إلى نفسها وإلى أسرتها ، وكم من زوجات تحملن العسف والمهانة خلف جدران بيوتهن حتى لا يكون ما يفعله بهن أزواجهن على مرأى ومسمع ممن تحتاجهن للشهادة إثباتًا للضرر ، فيتعذر عليهن التطليق ، فإذا ما حاولته تخلصًا من أسر الزوج المتعنت ، وقعن فى أسر القضاء الذى لا يقضى لهن بالتطليق إن قضى لهن إلا بعد سنوات ، يذوى شبابهن فيها ، ويدفع الأبناء ثمنًا باهظًا ،وقد تهدمت الأسرة ومضى كل من الزوجين فى طريق ، وتشتت الأبناء بينهما ، وهو تشتت يدفع المجتمع ثمنه فى النهاية .

هذا وقد حرم الإسلام على الرجل أن يؤذى زوجته بهدف الإضرار بها وطلب خلعه لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ

فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾[النساء]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ [النساء]

الخلع بين التطبيق العرفى والقانونى:

الخلع ينفذ عرفيًا بين الناس خاصة فى القرى والمناطق المحدودة والمعلوم حالة أفرادها، فإذا ثبت لأهل الحل والربط فيها ـ مجالس الصلح ـ أنه لا يوجد سبب شرعى أو سبب معقول لكراهية الزوجة لزوجها وطلبها الانفصال عنه والتفريق، فإنه يتم عرفيًا الحكم على الزوجة بالتنازل عن حقوقها المادية مقابل طلاقها وذلك لرغبتها فى ذلك وعدم وجود أسباب تبرر كراهيتها لزوجها وطلب طلاقه.

وبالنسبة للتطبيق الفعلى للقانون فقد ورد بملحق الجمهورية محبوبتى فى ٣١/ ١٠ / ٢٠٠٢ دراسة بعنوان الخلع جواب نهائى وأوضحت الدراسة بما فى المحاكم ٥٣٢٣ قضية خلع ... تم الفصل فى ٢٢٠ خلال عامين، وتبين أن معظم الدعاوى تحولت من طلب طلاق للضرر، بعد أن فشلت صاحبتها فى إثبات الضرر أملاً فى سرعة الخلاص، وبدء حياة جديدة، وأن الدراسة أثبتت أن قضايا الخلع ليست بالكثرة التى يروج لها البعض.

وفى النهاية يجب القول: بأن هناك حالات كثيرة تطب المرأة فيها الخلع من زوجها لا لعيب فيه ولكن لتحقيق رغبات وجدت لديها ورأت من مصلحتها الخلاص من عبء ومسؤولية الزواج، فهناك نساء اشتغلن فى الفن أو الأعمال الحرة ونلن شهرة وحصلن على أموال فأصبح الزوج والزواج بالنسبة لها عبأ يجب التخلص منه، وعيب يجب إزالته. وهناك من يردن الزواج بآخر ولن يتحقق ذلك إلا لو طلقت أو خالعت نفسها. فليس فى كل الأحوال الزوج هو الجزار، ولكن فى بعض الأحوال الزوج هو الضحية. وفى جميع الأحوال نالت المرأة حريتها وحققت مبتغاها.

المبحث الخامس
واقعية الإسلام فى الطلاق والخلع مقارنة باليهودية والمسيحية

يتميز الإسلام ويسمو فى أحكامه الخاصة بالطلاق والخلع عن سائر الأديان بل والنظم القانونية الأخرى ويرجع ذلك إلى عدة مبادئ :

أ ـ الواقعية الشديدة فى أحكامه :

إذا كان الزواج فى الإسلام هدفه « السكن » أى الراحة النفسية والجسدية «والمودة والرحمة » بمعنى تبادل منتهى السعادة وغاية الحنان وعلاقات الود والاحترام بين الزوجين ، للوصول إلى قمة السعادة الأسرية من الناحية العاطفية والجنسية ، وبالتالى استقرار البيت المسلم وتدعيم قوائمه ، ثم تحقيق غاية أخرى وهى إعمار الأرض بفلذات الأكباد .

فإذا تحقق ذلك فلا سبيل إلى هدم الزواج بالطلاق ، ولكن من الناحية العملية قد لا يحقق الزواج أهدافه ، وتنشأ الكراهية والبغض بدلا من المحبة والوفاء ، وتفشل كافة المساعى فى إصلاح ذات البين ، فهنا قد يصبح الطلاق شراً لابد منه ، وتصبح الحياة الزوجية كعضو فاسد من أعضاء الإنسان ينبغى بتره حتى لا تضيع حياة باقى الأعضاء .

إذن قد يكون الطلاق هو العلاج الناجح لاستعادة سعادة قد ولت بالزواج .

واليهودية تشارك الإسلام فى هذه الفلسفة ، أما المسيحية فقد حرمت الطلاق ـ إلا لعلة الزنا ـ وفرضت على المسيحيين قبول علاقة لا تطاق أو الانفصال بلا طلاق تنفيذاً للشريعة المسيحية ، ثم اتخاذ الصديقة والصديق أى العشيقة للزوج « والعشيق للزوجة وهوما نراه متفشيًا فى كل المجتمعات المسيحية الآن فالمسيحية لم تكن واقعية فى حرمان الأزواج من إنهاء علاقة حُكم عليها بالفشل نهائيًا ويستندون فى ذلك لقول المسيح : « إن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان » ، ونسوا أنه إن كان لله حق تشريع فى الزواج وبيان أحكامه ، فله أيضًا حق تشريع الطلاق وتنظيم أحكامه كما تناسوا أن فى حالة الطلاق بسبب الزنا فإن الزانى أو الزانية أصبحا هما السبب الوحيد للطلاق .

ب ـ العدالة فى تشريع من له حق توقيع الطلاق :

حق الطلاق فى الإسلام من حقوق الرجل ، ولكن من باب العدالة فقد يكون من حق الزوجة وهى حالة الخلع ، كما يجوز للقاضى الفصل فيه فالإسلام ساوى بين الرجل والمرأة فى هذا الحق وإن كان يستوجب من المرأة التضحية ببعض ما سبق أن حصلت عليه من مهر وخلافه أما فى اليهودية . فهو حق للزوج فقط، وفى المسيحية من حق الكنيسة فى حالة وقوع الزنا .

وفى الإسلام لم يعط هذا الحق لأحد غير الرجل من ذويه أما فى اليهودية فقد تبين أن هناك زوجات طلقهن آباؤهن مثل ميكال ابنة شاول ، وزوجة شمشون الفلسطينية .

ومن مظاهر عدم واقعية اليهودية فى الطلاق أنها حرمته فى حالتين: الأولى: إذا اتهم الزوج عروسه فى شرفها وأدعى عدم عذراويتها ، والثانية: فى حالة اغتصاب رجل لعذراء غير مخطوبة ، ومن المعلوم والبديهى أنه فى هاتين الحالتين ليس من المعقول استمرار حياة زوجية سعيدة بين الرجل وزوجته ؟!

جـ ـ تقييد عدد الطلقات وفرض مدة للعدة :

جعل الإسلام عدد الطلقات التى لا يجوز بعدها عودة الزوجة لزوجها إلا بعد زواج آخر صحيح ثلاث طلقات وذلك حتى لا تكون المرأة ألعوبة فى قم زوجها فيستسهل النطق بالطلاق تباعًا ، أو يجعلها معلقة كلما أوشكت العدة على الانتهاء أعادها .

كما أن فترة العدة وهى ثلاثة قروء لها أهداف عديدة أهمها التأكد من استبراء الرحم بمعنى التأكد من عدم وجود جنين لزوج سابق فى رحم المرأة حتى لا تختلط الأنساب ، ولا توجد عدة فى اليهودية ، ولا المسيحية على ما أظن .

د ـ الطلاق يفضل ألا يكون إلا بعد الجهد فى الإصلاح :

نظرًا لأن الطلاق هو أبغض الحلال إلى الله ، فإن انفصام عرى هذه العلاقة المقدسة لا يتم غالبًا إلا بعد محاولة الصلح وتدخل الأهل الذى نظمه الله تعالى فى الحكمين .

أما فى اليهودية فيجوز الطلاق بالإرادة المنفردة للرجل وبلا سبب سوى عدم الرغبة فى الزوجة .

أما فى المسيحية فالطلاق لا يقع إلا بعد فضائح الزناه ، ويجب ألا ننس أسلوب الإسلام الراضى فى الطلاق ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ .

وعلى ذلك فالطلاق فى الإسلام من أرقى أنواع المفارقة بين الرجل وزوجته وهو يسمو فى ذلك على باقى الأديان .

الفصل السابع

تعدد الزوجات فى الكتب والأديان السماوية

المبحث الأول

التعدد فى التوراة والديانة اليهودية

أولاً : مشروعية التعدد :

إن السماح بتعدد الزوجات فى اليهودية لهو حقيقة مؤكدة ثابتة لا خلاف عليها أو فيها .

لقد أباحت التوراة لليهودى الزواج بأكثر من واحدة ولم تحدد له عدداً ما إلا أن التلمود حدد العدد بأربعة على شرط أن يكون الزوج قادراً على إعالتهن .

وهناك فقرات كثيرة فى التوراة تبيح التعدد منها : التثنية [٢١ : ١٥] « إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة ، فإذا كان الابن البكر للمكروهة يقوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية» .

وجاء بشأن العدالة بين الزوجات « ... وإن تزوج بأخرى فلا ينقصها من طعامها وكسوتها وأوقاتها » [خروج : ٢١ : ١٠] .

وفى صموئيل الثانى : « فقال ناثان لداود أنت هو الرجل ، هكذا قال الرب إله إسرائيل ـ أنا سميتك ملكًا على إسرائيل وانقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك فى حضنك .

هذا والثابت زواج الأنبياء وغيرهم بأكثر من واحدة .

زوجات رحبعام :

« (٢١) وأحب رحبعام معكة ابنة أبشالوم أكثر من سائر نسائه ومحظياته ، وكان قد تزوج ثمانى عشرة امرأة ، وكانت له ستون محظية ، أنجبن له ثمانية

وعشرين ابنا وستين بنتًا » [أخبار الأيام الثانى : ١١ : ٢١] .

« (٣٠) وكان لجدعون سبعون ولدًا جميعهم من صلبه لأنه كان مزواجًا (٣١) وولدت له أيضًا سريته التى فى شكيم ابنًا دعاه أبيمالك » [القضاة ٨ : ٣٠ ـ ٣١] .

كما تزوج يعقوب : « (٢٣) أبناء ليئه ... (٢٤) وأبناء راحيل ... (٢٥) وابنا بلهة جارية راحيل ... (٢٦) وابنا زلفة جارية ليئة ... » [تكوين ٣٥ : ٢٣ ـ ٢٦] .

كما تزوج أبيا ملك يهود أربعة عشرة زوجة » [العدد ٣ : ٣٠] .

أما سليمان فقد حقق رقمًا قياسيًا فى عدد الزوجات والمحظيات لم يسبقه أحد من قبل » ولن يتطاول إليه أحد من بعد [١] « (١) وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات (٢) ... (٣) فكانت له سبعمائة زوجة ، وثلاثمائة محظية ، فأنحرفن بقلبه عن الرب » [ا ملوك ١١ : ١ ـ ٣] .

وعلى ذلك لم تحدد التوراة أى عدد كحد أقصى للتعدد .

أما التلمود :وهو الكتاب الثانى الذى يقول عنه اليهود: إنه يضم التعاليم الشفوية لموسى والذى يجعلونه فى مرتبة أعلا من التوراة يحدد التعدد بأربع إذ يقول : إنه لا يجوز أن يزيد الرجل على أربع زوجات ، كما فعل يعقوب إلا إذا كان قد أقسم بذلك عند زواجه الأول . وإن كان قد اشترط لمثل هذا العدد القدرة على الإنفاق [٢] .

أسباب التعدد :

١ ـ أن التعدد يمنع الزنا سواء الذى يحدث من جهة الرجل أو من جهة الزوجة .

٢ ـ لم يجعل سيدنا موسى التعدد خيراً ولكنه تسامح فيه .

٣ ـ أثبتت الإحصاءات أن عدد النساء يزيد نسبيًا على عدد الرجال أحيانًا .

---

(١) يطعن أهل الكتاب فى بنوة الرسول ﷺ ؛ لأنه تزوج ما يزيد قليلاً عن عشرة نساء ، أما سليمان فقد زاد الألف ويقول عنه الرب فى التوراة فولدت له « داود » ابنا دعاه سليمان ، وأحب الرب سليمان » [٢ صموئيل ١٢ : ٢٤] .

(٢) اللواء أحمد عبد الوهاب :مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١٥٠ وزارة الأوقاف .

٤ـ العقم للزوجة أو الإصابة بمرض يؤثر على العِشرة أو المعاشرة .

التعدد كواجب دينى ونظام اجتماعى وأخلاقى :

هناك حالة واحدة يكون الزواج فيها فرضًا على الرجل حتى لوكان متزوجًا وهى حالة زواج الأخ من زوجة أخيه الذى توفى دون إنجاب ، ولينجب ولد من هذه الزوجة ، ويتم تسميته باسم الأخ المتوفى حتى يُحفظ اسمه فى إسرائيل وهذا النوع يسمى زواج « البيوم » وتقول التوراة عنه :

« (٥) إذا سكن الإخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى ، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج (٦) والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه لئلا يمحى اسمه من إسرائيل » [التثنية ٢٥ : ٥ ـ ٦] .

وليس لهذه المرأة حق الرفض بل عليها الإذعان حتى لو لم ترغب فى أخى زوجها ، الذى له أن يرفض الزواج بشرط إعلان ذلك وتكون نتيجة رفضه ، إهانته أقصى إهانة .

« (٧) وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تمض المرأة إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجى أن يقيم لأخيه اسما فى إسرائيل لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج (٨) فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها زوجة (٩) تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه وتصرخ فى وجهه وتقول هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه (١٠) فيدعى اسمه فى إسرائيل ببيت مخلوع النعل » [التثنية ٢٥: ٧ـ ١٠] .

ولكن إن تعمد أخو الزوج عدم إنجاب ولد ليكتب باسم أخيه المتوفى ، كان عقابه عند الله شديداً :

« وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره اسمها ثامار (٦) وكان عير بكر يهوذا شريراً فى عينى الرب (٧) فأماته الرب (٨) فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك (٩) فعلم أونان أن النسل لا يكون له فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطى نسلا لأخيه (١٠) فقبح فى عينى الرب ما فعله فأماته أيضا (١١) فقال يهوذا لثامار كنته اقعدى أرملة فى بيت

أبيك حتى يكبر شيلة ابنى لأنه قال لعله يموت هو أيضًا كأخويه فمضت تامار وقعدت فى بيت أبيها » ومعنى ذلك أن المرأة تنتظر حتى يكبر الأخ لكى يتزوج ، وهذاهو الأعضال » [التكوين ٣٨ : ٦ ـ ١١] .

اليهود وإباحة التسرى :

أباحت التوراة والشريعة اليهودية التسرى بكل أنواعه ، وكان لهؤلاء النسوة أنواع ومسميات منها :

١ـ **الأمة** : وهى المرأة الرقيق « العبدة » المملوكة لسيدها .

٢ـ **الشفحة** خادمة المنزل البسيطة الحال والحيلة .

٣ـ **بلجش** : ابنة أسيرة الحرب .

٤ـ **المحظية والشعل** :زوجة بلا عقد زواج .

٥ـ **الأسيرة** :المرأة التى تؤسر فى الحرب .

٦ـ **السرية** زوجة من ملك اليمين تزوج بدون عقد ولكن بشروط خاصة [١] .

هذا وقدتم إلغاء نظام التعدد طبقًا لقوانين مدنية أفتى بها علماء اليهود وأقرتها المجامع [٢] اليهودية ، وعلى ذلك اكتسبت صفة الشرعية .

وكان من بدايات الدعوة بوحدة الزوجة ، عالم يسمى « جرشوم بن يهوذا » ٩٦٠م ـ ١٠٤٠ م ، الذى افتى بتحريم تعدد الزوجات ولكن اجتهاده لم يحظ بالتطبيق القانونى المتفق عليه فى المجالس الملية ومحاكم الأحوال الشخصية لليهود فى أوربا إلا حوالى سنة ١٢٤٠م؛ إذ اتفقت كلمة كهنة اليهود وقضاتهم على هذا التحريم وإن كان تعدد الزوجات بين اليهود ظل منتشراً سراً أو علنًا ، ثم جاء الأستاذ بافلى وهو من علماء الشريعة المشهورين فى القرن العشرين يقول معضدا للعلامة جرشوم ويقول: بالرغم من كون تعدد الزوجات حلالا فى الدين إلا أنه صدرت الفتوى بتحريمه من الحاخام جرشوم بسبب المطالب الباهظة للحياة الحاضرة التى تجعل القيام بأمر زوجة واحدة فضلا عن زوجات عدة أمرًا صعبا وإن كل

---

(١) السيد محمد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ص ٢١ ، ٢٢ بتصرف .

(٢) يقصد بالمجمع : اجتماع علماء الدين اليهودى أو المسيحى لإقرار قواعد جديدة أو الاتفاق على الرأى فيما يستجد من مشاكل ثم إصدار قرارات ملزمة فى ذلك .

يهودى يخالف فتوى الحاخام جرشوم: يقع تحت عقوبة التكفير والخلع والطرد فى المجتمع الإسرائيلى » ثم إن المادة ٥٤ من كتاب الأحكام الشرعية للإسرائيليين تقول « لا ينبغى للرجل أن يكون له أكثر من زوجة وعليه أن يحلف يمينًا على هذا حين العقد » (١) .

إذن أساس التحريم ليس التوراة ولكن القسم على عدم القيام به هو الأساس. ومع ذلك العلامة بين شمعون مؤلف كتاب الأحكام الشرعية يقول فى المادة ٥٥ : « إذا كان الرجل فى سعة من العيش ، ويقدر أن يعدل أو كان له مسوغ شرعى جاز له أن يتزوج بأخرى » (٢).

وعلى ذلك يتبين أن الديانة اليهودية ديانة تعدد زوجات ومحظيات وعشيقات وبلا حدود لعدد .

ثانيا :الزواج الثانى فى التوراة والديانة اليهودية :

تقصد بالزواج الثانى : مشروعية زواج المرأة أو الرجل مرة ثانية بعد الطلاق أو الترمل وهل يُعد ذلك مكروها أومستحبًا والتوراة والديانة اليهودية أعطت للمرأة الحق فى الزواج مرة ثانية إذا طلقت أو ترملت ولم تعتبر ذلك فيه إساءة للمرأة .

« إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينه . . . ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يديها وأطلقها من بيته ، فمتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر » [التثنية ٢٣ : ١ ، ٢] .

فهنا بمجرد الطلاق والخروج من بيت وعصمة الزوج الأول فللمرأة الحق الكامل فى الزواج من زوج آخر ، وهذا ولم تحدد التوراة مدة لانقضاء العدة حتى لا تتداخل الأنساب وتختلط .

ولكن يُحرم إعادة الزوجة إلى زوج طلقها بعد زواجها من آخر ثم طلقت منه أو مات وترملت .

« إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عيينه . . وكتب لها كتاب طلاق . . . ومتى خرجت من بيته وذهبت وسارت لرجل آخر ، فإن أبغضها الأخير وكتب لها كتاب طلاق . . . أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها

---

(١) مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ص ١١ ، ومرجعه : الفكر الدينى الإسرائيلى د / حسن ظاظا .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ .

زوجة، فلا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود بأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست لأن ذلك رجس لدى الرب ، فلا يجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب ألهك نصيبا » [التثنية ٢٤ : ١ ـ ٤] .

فهنا التحذير والتحريم تام وكامل وإن لم يتبع فهناك عقاب مفروض .

ومع ذلك فهناك حالتان ذكرتا فى التوراة النساء تم طلاقهن وتزوجن بأزواج آخرين ثم رجعن لأزواجهن مرة أخرى ، ولكن الطلاق لم يكن من الزوج كان من الأب .

الأولى ميكال امرأة داود ، حيث زوجها أبوها شاول لرجل آخر عقاباً لداود ثم أرجعها داود .

المبحث الثانى

التعدد فى الإنجيل والديانة المسيحية

أولاً : السماح بالتعدد قبل تحريمه بواسطة المجامع المسكونية :

أقرت المسيحية فى بدايتها ما أقرته ديانة موسى فى التعدد ، واستمر رجال الكنيسة لا يعترضون على مضض « حتى القرن السابع عشر ، الذى بدأ فيه الحظر ثم تقرر سنة ١٧٥٠م، والدارس للإنجيل لا يجد فيه فقرة واحدة تُحرم التعدد، وإن كان فيه الكثير من الفقرات التى تُحبذ البتولية « عدم الزواج » وأيضًا عدم زواج الأرملة مرة ثانية .

ومنع التعدد صراحة كان أمراً لازمًا لرجال الدين وذلك إعلاءًا لشأنهم وحتى يتفرغوا للدعوة ، ولا تشغلهم مشاكل النساء عن رعاية أبناء الكنيسة ، وقد أوضح بولس ذلك جليًا فى رسالته إلى تلميذه تيطس فقال :

« (٥) وتقيم شيوخًا فى كل مدينة . . . (٦) على أن يكون الواحد منهم بريئًا من كل تهمة زوجًا لامرأة واحدة ، أبا لأولاد مؤمنين لا يتهمون بالخلاعة والتمرد » [تيطس ١ : ٥ ـ ٦] ، فالفقرات توضح أن كون « القسيس » زوجًا لمرأة واحدة فهو لعلة ، هى ألا يتهمه أحد بأنه مزواج ومن هواة الجنس ، وهى درجه خاصة برجال الكنيسة من دون سائر المسيحيين ولهذا قال بولس موضحًا :« (١) وذلك لأن الناظر يجب أن يكون بريئًا من كل تهمة ، باعتباره وكيلاً لله . . . (٨) . . . رزينا باراً ، تقيًا »[تيطس ١ : ٧ ، ٨] .

وقد أكد ذلك فى رسالته لتلميذه « تيموثاوس فقال « (٢) يجب أن يكون الراعى بلا عيب ، زوجًا لامرأة واحدة ، نبيها عاقلا مهذبًا . . . » ، « (١٢) كما يجب أن يكون كل مدبر زوجًا لامرأة واحدة ، يحسن تدبير أولاده وبيته [ا تيموثاوس ٣] وعلى ذلك لم تمانع الكنيسة فى أول عهدها وحتى زمن متأخر اتخاذ أكثر من زوجة وأدلة ذلك كثيرة » منها أن المسيح فى أحد الأمثال أنه ضرب مثلاً جاء فى متى [٢٥ : ١ ـ ١١] بعشرة من العذارى كن فى انتظار العريس وأنهن لجهالة بعضهن لم يستطعن الدخول معه فأغلق الباب دون هذا البعض لأنهن لم يكن قد أعددن ما يلزم ـ فلو أن التعدد كان غير جائز عنده ما

ضرب المثل بالعذارى العشر اللائى ينتظرن عريسًا واحدًا ، وما قال : إن بعضهن أضعن الفرصة لأنهن لم يعددن العدة .

«[1] والعالم القانونى جروتيوس يقول : إن الشريعة الموسوية كانت أفضل فى إقرارها تعدد الزوجات » والقديس أوغسطين استحسن أن يتخذ الرجل إلى جانب الزوجة سرية إذا ما كانت الزوجة عقيما وثبت عقمها، وإن كان لم يسمح بمثل ذلك للزوجة إذا ثبت أن زوجها هو العقيم ، لا خوفا من اختلاط الأنساب ، ولكن لأمن الأسرة ؛ لأنه كما قال فى كتابه « الزواج الأفضل » لا يصح أن يكون بالأسرة سيدان .

ويقول الأستاذ وسترماك الذى كان أستاذاً لعلم الاجتماع بجامعة لندن فى كتابه « الزواج » : « لما كنا قد رأينا أن وحدانية الزوجة كان النظام الوحيد عند الرومان والإغريق فلا نستطيع والحالة هذه أن نقول : إن المسيحية هى التى خلقته وأجبرت العالم الغربى على اتباعه ، وفى الحق أن العهد الجديد أتخذ هذا النظام كمثل أعلا للزواج ، ولكن مع ذلك لم يحرم تعدد الزوجات تحريمًا ظاهرًا إلا لشماس أو القسيس ، ويكفى أن نعلم أننا لم نجد مجلسا كنسيا واحد عارض تعدد الزوجات أو وضع عقبات فى سبيلة عند الملوك أو الحكام الذين كانوا يمارسونه فى الدول الوثنية فى قرون المسيحية الأولى ، ثم قال : إن الملك «ديارمنت» ملك أيرلندة كان له زوجتان وجاريتان ، وكان ملوك الأسرة الماروفينجية يمارسونه، ثم جاء فيليب حاكم هيس ووليم الثانى ملك بروسيا واستطاعا الزواج من زوجتين بإذن من القساوسة اللوثرين . وعندما قررت معاهدة وستفاليا تسوية حرب الثلاثين سنة، نقص عدد السكان حتى رأى «كريستاج» أن كل رجل يجب أن يتزوج من امرأتين » . فلم يجعل التعدد مجرد إباحة بل جعله فرضا .

إن المسيحية لم تحرم التعدد مطلقا ، وقد كان شارلمان الإمبراطور الرومانى المسيحى متزوجا بأكثرمن زوجة ، ومن زوجاته « وسورات » « وهولجارو » إلى جانب عدد كبير من المحظيات ، والإمبراطور « ليو السادس » فى القرن العاشر الميلادى كانت له ثلاث زوجات وتسرى برابعة ، وهى التى ولدت له ابنه الامبراطور «قسطنطين» الذى حكم بعده الامبراطورية الرومانية الشرقية « وهنرى

(١) اللواء أحمد عبد الوهاب : مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

الثامن » ملك إنجلترا تزوج من « كاترين » ثم تزوج بعدها « آن بولين » وبعدهما تزوج أيضا « حنا سيمور » وهكذا .

وقد قرر الإمبراطور فالنتيان الثانى الذى ولى الحكم فى سنة ٣٧٥ م أى فى القرن الرابع الميلادى أن الاقتصار على الزوجة الواحدة إنما هو من آثار الوثنية الرومانية ولذلك أصدر أمرًا بجواز الجمع بين أكثر من زوجة قائلا : إن المسيحية لم تمنع ذلك وهذا الاتجاه فى التعدد يتلاءم مع ما أرتاه مارتن لوثر زعيم طائفة البروتستانت الذى قرر أن التعدد أمرلم يحرمه الرب ، وقال : إن إبراهيم نفسه الذى كان مسيحيا كاملا كانت له زوجتان ، وعقب لوثر على ذلك قائلا إن التعدد أفضل قطعا من الطلاق ولذلك نجد لوثر يبيح لأمير وهو لأمير هيس فيليب أن يجمع بين زوجتين وقال : إذا نظر الرجل إلى امرأة وحسنت فى عينه وأحبها وهو متزوج فخيرله أن يتخذها زوجته من أن يتخذها خليلته .

وبعض الطوائف المسيحية مثل الآباء البابيين وهى موجودة فى مدينة منستر تقول: إن كل من يريد أن يكون مسيحيا مخلصا يجب أن يكون متزوجًا من عدة نساء.

وقد قال أحد أتباع هذه العقيدة إذ سئل عن زوجاته الخمس فقيل له : هل تحبهن جميعًا ؟ فأجاب قائلا : لقد سمعت هذا السؤال مرارًا كأنه لغز لا حل له ، وجوابى دائما على هذا السؤال هو الآتى: هل يمكن لرجل أن يحب خمسة من أبنائه دفعة واحدة؟ وهل يمكن أن يحب خمسة من أصدقائه دفعة واحدة ؟ وهل يمكن أن يحب خمسة من أخوته دفعة واحدة ؟ أرونى رجلاً واحدًا ممن يدعون الالتزام بنظام الزوجة الواحدة لا تكون له امرأة يبادلها الحب وتبادله . ثم قال ونحن لا نتعشق سرا ـ إننا لا نحب حبا يلفه العار بل نحب جهرًا وعلانية حبا يزدان بالشرف، ليس بيننا المرأة التى تحمل جنينها فى خفاء من القانون ثم تضح حملها إجهاضا، فنساؤنا جميعا يحملن الأجنة من أزواج ويلدنهم أطفالا ذوى نمو كامل.

وكانت الكنيسة الشرقية قد ثارت على مبدأ تعدد الزوجات الذى تبنته أول الأمر الكنيسة الكاثوليكية . ولكن بعد حرب الثلاثين سنة والتوقيع على معاهدة وستفاليا صدر قرار يقول : « حيث إن حاجة الإمبراطورية الرومانية المقدسة تقتضى تعويض السكان من الذكور الذين لقوا حتفهم بالسيف أو المرض أو الجوع

فقد صح لكل رجل خلال السنوات العشر التالية بالزواج من امرأتين على أنه ينبغى التذكر بأن كل مواطن جدير بالاحترام يتخذ زوجتين يجب عليه أيضًا أن يحول دون قيام أى شعور بالعداوة بينهما » (١) .

وقد تدرج منع التعدد فى المسيحية فبدأ أولا بتحريمه على رجال الكنيسة دون غيرهم . ثم أصبح الزواج الأول لغير رجال الكنيسة هو الذى يتم بطريقة المراسيم الدينية ، وأما بعد ذلك فللمسيحى أن يتزوج ثانية بدون إقامة مراسيم كنسية ثم أصبح الزواج الثانى بعد ذلك يحرم المسيحى المتزوج من أكثر من واحدة من التوبة حتى يسرح الثانية » وأخيراً منع الزواج بأكثر من واحدة منعا باتا على أنه يجوز التسرى ، حتى كانت سنة ٩٧٠ م وتولى البطريك أبرام السريانى منع التسرى أيضا، وانتهى الأمر إلى إفرادية الزوجة فى المسيحية ، فكما هو واضح ليس المنع تشريعا سماويًا بل هو قوانين وضعية .

التسرى فى المسيحية :

يقصد بالتسرى : اتخاذ امرأة مما ملكت اليمين كزوجة ولكن ليس بعقد زواج ولكن كحق من حقوق السيد على الأمة .

المسيحية لم تمنع التسرى بل إنه ظل قائما فى المسيحية (٢) ، حتى بعد تقرير إفرادية الزوجة ، ولم يكن التسرى ممنوعا إلا فى مصر المسيحية فقط دون البلاد المسيحية الأخرى ، وكان ذلك ابتداءً من القرن العاشر الميلادى حين أصدر البطريك (إبرام السوريانى) سنة ٩٧٠ م أمراً بمنعه ـ أما فى غير مصر فقد ظل التسرى قائمًا حتى القرن السابع عشر ، حيث قرر منعه مع منع التعدد . ومع ذلك فقد ظل قائما بعد هذا التاريخ فى بعض الأمم المسيحية مثل الحبشة ، كما استمر قائما فيها تعدد الزوجات أيضا ،مما يدل على أن المنع لم يكن تشريعا سماويا بل كان نتيجة قوانين وضعية » ولذلك قيل : إن أحد كبار المسيحيين المدعو (أبو السرور) دعا هذا البطريرك إلى حفل قدم له فيه كأسا مسمما فقتله . وهكذا كانت نتيجة موقف البطريرك من منع التعدد .

إن المنع فى الواقع هو إغراء بالفعل ، فكما أن المنع من الأكل من الشجرة

---

(١) اللواء أحمد عبد الوهاب :مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام من ص ١٥٢ ـ ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٨ .

المحرمة كان إغراء بالأكل منها فكذلك كان منع التعدد فى المسيحية إغراء بارتكابه في أشنع صور الرذيلة . وقد ترتب على إفرادية الزوجة كما يقول أتين دينية ثلاثة نتائج شديدة الخطورة هى :

١ـ شيوع الدعارة . ٢ـ كثرة العوانس من النساء .

٣ـ وفرة الأبناء غير الشرعيين .

هذه الأمور لا تجدها إلا فى النادر القليل فى البلاد الإسلامية التى تبيح التعدد وكلما ازداد التأثر بالمدنية الغربية كلما زاد عدد هذه المصائب. ضرب (اتين دينيه) مثلاً بقبيلة فى الجزائر فقال « إن هذه القبيلة لم تعرف الدعارة إلا بعد ضمها لفرنسا سنة ١٨٣٣ » ـ كذلك ذكر أن مرض (الزهرى) لما عرف فى البلاد الإسلامية أطلق عليه اسم المرض أو الداء الإفرنجى ، وقد ذكر الصدر الأعظم فى تركيا (رشيد بات) فى ألم قال : « إننا نبعث بأبنائنا إلى أوروبا للعلم فيعودون إلينا بالمرض الإفرانجى » ، المسيحية إذن فى تعاليمها الكتابية حتى فى الكتب الحالية لم تمنع التعدد وإن كانت تحبذ إفرادية الزوجة بل تحبذ أكثر من ذلك الرهبنة .

ثانيا : آراء المسيحية فى شريعة الزوجة الواحدة :

يرى المسيحيون بعد قوانين حظر وتحريم الزواج بأكثر من واحدة ، وأن أصل الحياة نشأ تشريع عدم التعدد ولكن الله سمح لليهود وللأنبياء والقديسيين بالتعدد كمنحة منه وتيسير، ولكن المسيح جاء بالطهارة الكاملة فأعاد بتشريع الزوجة الواحدة الأمور إلى أصلها والعودة إلى السمو الروحى والجسدى فى بدء الخليقة .

هذا وسوف نتكلم عن :

١ـ أساس وحدة الزوجة فى بدء الحياة الإنسانية .

٢ـ الاعتراف بوجود التعدد فى التوراة واليهودية ومبرراته .

٣ـ إعادة المسيح لشريعة الزوجة الواحدة كما كان فى البدء .

٤ـ القوانين المسيحية المنظمة لشريعة الزوجة الواحدة .

أولاً : أساس وحدة الزوجة فى بدء الحياة الإنسانية :

فى البدء خلق الله آدم وزوجه حواء ، وبالرغم من حاجة الأرض للإعمار إلا

أن الله خلق لآدم زوجة واحدة فقط (١) « (٢١) فأوقع الرب الإله آدم فى نوم عميق ، ثم تناول ضلعًا من أضلاعه وسد مكانها باللحم (٢٢) وعمل من هذا الضلع المرأة وأحضرها إلى آدم ... (٢٣) .. (٢٤) ولهذا فإن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته » [تكوين ٢] .

وكذلك دخل سفينة نوح ثمانية أشخاص ، ونوح وزوجه وأبناؤه الثلاثة وزوجاتهم الثلاث ، فقد كان أمر الله لنوح « فتدخل الفلك انت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك » [تكوين ٦ : ١٨] ، وخرج بعد الطوفان « ... سامًا وحامًا ويافث هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ، ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض » [تكوين ٩: ١٨ ، ١٩] .

وعلى ذلك يقول بطرس « كانت عناية الله تنظر مرة أخرى فى أيام نوح ، إذ كان الفلك يبنى ، والذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء » [الرسالة الأولى ٣ : ٢٠] .

هذا وقد استرشد قداسته بأن ما دخل السفينة من الطيور والحيوانات من كل نوع ذكر وأنثى حيث أمر نوح « ومن كل حى ومن كل ذى جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك ، تكون ذكراً وأنثى » [تكوين ٦ : ١٩] (٢) .

ويوضح قداسته أن مسؤولية التعدد من فعل الإنسان : أول من جمع بين زوجتين ابن لقابين قاتل أخيه هابيل يسمى لامك ، وهو قاتل أيضًا وهو أول إنسان ذكر فى الكتاب المقدس أنه تزوج أكثر من واحدة « واتخذ لامك لنفسه امرأتين » [تكوين ٤ : ١٩] .

ثانيا : الاعتراف بوجود التعدد فى التوراة والديانة اليهودية وتبرير أسبابه :

يؤمن كافة مسيحى الشرق والغرب بوجود التعدد وعدم تحريمه فى التوراة والديانة اليهودية ، ولكنهم يحاولون إيجاد مبررات لتعدد زواج الأنبياء بحيث يبدو ذلك للاضطرار وليس لسماح شريعة بذلك فيقول القديس أوغسطنيوس عن زواج

(١) الهدف من ذلك هو أن يكون أصل البشرية كلها واحد ، لعل وعسى أن يتفهموا ذلك فلا يقوموا بالقتل والإبادة باسم صراع الحضارات والخوف منه ؟!

(٢) وهل كانت السفينة تستطيع أن تحمل من كل أنواع الطيور والحيوانات أكثر من اثنين؟! إنه للتيسير على نوح .

إبراهيم بأكثر من واحدة (١) « عاش فى حالة الزواج بعفاف ، وكان بمقدروه أن يعيش عفيفا بدون زواج (٢) ، ولكن ذلك لم يكن مناسبًا فى هذا الزمان ويشرح قداسة الباب شنودة ذلك فيقول « وإنما تسرى إبراهيم فى عصرخافت فيه إبنتا لوط من انقراض العالم بعد حرق سادوم وعامورة . . . فأسكرتا أباهما وانجبتا منه نسلاً دون أن يعلم . . . ».

ويقول عن زواج يعقوب أبى الأسباط الاثنى عشر : « (٣) إنه خُدع من خاله لابنان الذى زفه إلى زوجه من ابنتيه غير التى اختارها لنفسه . . .وعلاجًا للمشكلة زوجه الصغرى أيضا ، وتسرى يعقوب بنفس السبب الذى من أجله تسرى إبراهيم، دفع إلى ذلك دفعا من زوجتيه ، أن يتخذ له جاريتها مرتين لينجب لهما نسلا » [تكوين : ٣٠ : ٣ ـ ٩] .

وهذا التبرير لا يخلومن نقد ، فلم يتزوج سليمان وتسرى بألف امرأة ؟ أكان هذا بسبب الرغبة فى الإنجاب؟ وهل داود عندما تزوج امرأة أوربا بعد تعمد قتله بعد اكتشاف حمل هذه المرأة سفاحًا من داود ، وكان يريد زيادة النسل ، وهو الآخر كان عنده القدرة على ضبط النفس . . . إلخ .

ويعتقد المسيحيون أن الله سمح بالتعدد لأسباب منها :

١ـ مقاومة طغيان الوثنية عن طريق زيادة النسل :

« (٤) كانت فكرة الله فى اختيار شعب يعبده تقوم على ثلاثة أعمده أساسية ، وهى عزل الشعب وإنماؤه وتعليمه، فتعدد الزوجات ـ قبل مجيء المسيح ـ لم يكن المقصود هو الزوجات ، وإنما البنين الذين تلدهم الزوجات ، والبنون لم يقصدوا لذاتهم ، وإنما لحفظ الإيمان فى عالم وثنى ، فخرج الأمر إذن من الغرض الجسدى إلى الغرض الدينى » .

والسبب الروحى الثانى لتعدد الزوجات ، لكى ينموا شعب الله ويقف أمام قوة الوثنيين ، كما أنه بهذا النسل ستبارك الأرض ؛ إذ إن منه سيخرج المسيح .

---

(١) البابا شنودة الثالث : شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية ص ٢٨ ، ٢٩ ، ومطبعة الأنبا رويس بالعباسية.

(٢) لا يوجد دليل من التوراة على ذلك نهائيا ، وإنما هو رأى شخصى ليؤيد عقيدة التبتل وتفضيلها على الزواج.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣١ ، ٣٣ ، ٣٧ .

ويشرح قداسته ذلك فيقول :

« كل رجل كان يتمنى أن يأتى المسيح من نسله ، وكل امرأة كانت تذوب شوقًا فى أن يكون المسيا من ثمرة أحشائها » ولهذا يقول القديس أوغسطينوس «فاستغلت النساء القديسات » ليس بالشهوة وإنما بالتقوى للإنجاب وقال عن الآباء القديسيين « كان الزواج واجبًا على القديسيين ليس طلبًا فى ذاته وإنما لأجل شىء آخر ، وكانت الرغبة فى إنجاب الأولاد روحية وليست جسدية » [1] .

٢ـ التعدد نتيجة طبيعية لضعف الإنسان ونقص السمو الروحى :

« [2] إن ضعف الإنسان هو السبب فى ذلك ، وأن أول من تزوج اثنتين كان لامك أبو المزواجين أول من خضع له ،وسار فى أعقابه الكثيرون من بنى البشر ، الوثنيون والإسرائيليون على حد سواء ، الأمر الذى لم يكن فى شريعة الله الذى خلقهما ذكرًا وأنثى ، ولكن القلب البشرى القاسى أجازه .

إذن لم يكن تعدد الزوجات قصد الله منذ البدء ، بل إنه وضع لما سقط الناس فى الفساد وتعددت زوجاتهم .

تنازل الله إليهم ليرفعهم إليه وتسامح فى هذا الأمر ويبرر قداسته سبب التنازل والسماح بالتعدد فيقول :

« [3] إنه نظام أفضل من الزنا أو أقل جريمة، حيث بلغت معاص البشرية أقصاها فاحترف الناس اللواط وعبادة الأوثان وتفشى الزنا ، ووسط هذا الجو الوثنى الفاسد كان تعدد الزوجات يعتبر عملا شريفًا جداً إذا قيس بالممارسات الأخرى »

٣ ـ المسيح أعاد شريعة الزوجة الواحدة كما كان فى البدء:

أرجع المسيح ـ حسب الاعتقاد المسيحى أشياء كثيرة لأنها كانت فى البدء «ألغى الطلاق الذى لم يكن موجودا منذ البدء ، وأرجع وحدة الزواج الذى كانت منذ

---

(١) يحاول علماء المسيحيين إثبات أن القديسيين كانوا أعلى مستوى من البشر فكانوا بلا شهوة ، حيث إن الشهوة حسب اعتقادهم ـ عيب ورذيلة لا ينبغى تخلى القديسون بها ؟ وهل يعيب القديس الاستمتاع بما أحل الله ، أو لم يكونوا يتغوطون مثل باقى البشر ؟!

(٢) شريعة المرأة الواحدة فى المسيحية ص ٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥ ، ونحن نتساءل الآن وبعد عودة تفشى الرذائل واعتبر اللواط مشروعًا فى بعض الدول المسيحية تفشى الزنا فى العالم بأسره : هل يجوز للكنيسة السماح بالتعدد ؟!

البدء، ولم يقيد الإنسان بالختان وبتحريم أطعمة معينة ،إذا لم تكن القيود موجودة منذ البدء » .

٤ـ القوانين المسيحية المنظمة لشريعة الزوجة الواحدة :

قوانين كنسيةً صريحة :

١ـ أيما رجل علمانى أخرج امرأته من بيته من غير علة ولا حجة تستوجب ذلك أو تزوج أخرى معها أو مطلقة من زنا ، فلينف من كنيسة الله» [القانون ٤٥ من قوانين أكليمنضس [للآباء الرسل] .

عن الداخلين إلى الإيمان المسيحى :

٢ـ « . . وإن كان واحد له زوجة ، أو امرأة لها بعل ، فليعلموا أن يكتفى الذكر بزوجته ، والمرأة ببعلها . . . » [القانون ٢٧ من الكتاب الأول لقوانين الرسل] .

وأيضًا بخصوص المؤمنين الجدد :

٣ـ « وإن كان واحد له زوجة أو امرأة لها بعل ، فليعلموا أن يكتفوا » . [القانون ٦٢ من الكتاب الأول لقوانين الرسل] .

وكان هذان القانونان لازمين للمقبلين إلى المسيحية من الوثنيين أو اليهود حيث توجد ممارسات لتعدد الزوجات .

ومن صفات المسيحى :

٤ـ « ولا يكون نهمًا ولا محبًا للعالم ، ولا محبًا للنساء ، بل يتزوج بامرأة واحدة » [القانون ٣٨ من قوانين أبو ليدس] .

ثالثًا : المسيحية وكراهية الزواج الثانى :

والمسيحية هى الدين الوحيد الذى يدعو إلى التبتل ويرى أن ترك الزواج فضيلة ليست إلا للقديسيين ، ومن رغب عن الزواج للتفرغ للعبادة فهو من الصالحين المخلصين ، وكما أوضحنا قررت الكنيسة والمجامع المكسونية تحريم الزواج بأكثر من واحدة ، ومن ثوابت المسيحية كراهية الزواج مرة ثانية لمن ترمل سواء رجل أو امرأة ، وينصح الآباء بعدم الزواج للمرة الثانية ، لأن ذلك يعد طمعًا فى زينة الحياة الدنيا وتحكم شهوة فى الإنسان،مما يبعده عن التفرغ للعباده .

وتظهر نظرية بولس فى الحض على عدم زواج الأرامل مرة ثانية فى وصياه.

الوصية ضد الأرامل :

« (٩) لتقيد فى سجل الأرامل من بلغت سن الستين على الأقل ، على أن تكون قد تزوجت من رجل واحد (١٠) ويكون مشهوداً لها بالأعمال الصالحة ، كأن تكون قد ربت الأولاد ، أضافت الغرباء وغسلت أقدام القديسين وأسعفت المتضايقين ومارست كل عمل صالح ! (١١) أما الأرامل الشابات فلا تقيدهن إذا عندما يبطرن على المسيح ، يرغبن فى الزواج (١٢) فيصرن أهلاً للقصاص مما لأنهن قد نكسن عهدهن الأول » [١ تيموثاوس ٥ : ٩ ـ ١٣] .

والفقرات تقرر :

أولاً : يشترط لحصول الأرملة على إعانة من الكنيسة أن تكون حتى بلوغ سن الستين لم تتزوج إلا رجلا واحدا ، وقامت بالأعمال الصالحة من تربية الأولاد لاحترام القسس والآباء ورجال الدين .

ثانيًا : لا يجب دفع إعانات للأرامل الشابات حتى لا يتطلعن للزواج، فحمل هم الحاجة والفقر والعوز كفيل بنسيان المرأة حق جسدها والزواج ، أما النعيم فيجعلها تفكر فى الزواج .

ثالثا: جعل بولس زواج الأرملة الشابة بمثابة التخلى عن المسيح وهذا يستوجب العقاب .

وقد أوضح مضار زواج الأرملة فقال :

« . . . يتعودن البطالة والتنقل من بيت إلى بيت ، ولا تكفيهن البطالة ، بل ينصرفن أيضًا إلى الثرثرة والتشاغل بما لا يعنيهن والتحدث بأمور غير لائقة » [ا تيموثاوس ٥ : ١٣] ،

وخوفًا من تعرض الأرامل الشابات للفتنة سمح لهن بولس بالزواج « (١٥) فأريد أن تتزوج الأرامل الشابات ، فيلدن الأولاد ،ويدرن بيوتهن . . . » [ا تيموثاوس ٥ : ١٤] .

ويظهر تشجيع بولس على عدم زواج الأرامل ثانية فى قوله : « إن الزوجة تظل تحت ارتباط ما دام زوجها حيًا ، فإذا رقد زوجها ، تصير حرة يحق لها أن تتزوج من أى رجل تريده ، إنما فى الرب فقط ، (٤٠) ولكنها برأى تكون أسعد

إذا بقيت على حالها ، وأظن أن عندى ، أنا أيضًا روح الله [1] » [ا كورنثوس ٧ : ٣٩ - ٤٠] .

وقد جعل بولس سبب الزواج هو للدعوة للدين « إنما فى الرب فقط » ولكن بولس رسول الرب سيكون أسعد لو لم تتزوج الأرملة وهذا رأى شخصى » ولكنه يظن أنه بوحى من الله . ويقول البابا يوحنا ذهبى الفم [2] :

توضح هذه المقارنة أن الزواج الثانى ليس فى قائمة الشرور بل نعتبره شرعيًا واختياريًا وبالأحرى نكرم بل نغبط الحالة الأسمى من ذلك . لماذا نفعل ذلك ؟ لأن المرأة التى لها زوج واحد ليست كالمرأة التى لها زوجان ، لأن المرأة التى تقنع بزوج واحد تظهر أنها كان يمكن ألا تختاره فى البداية لو كانت تعرف حقًا خبرة الزواج » ولكن تلك التى تقود زوجًا ثانيًا إلى فراش الزوجية الأول تقدم دليلاً قويًا على حبها الشديد للعالم والأشياء الأرضية ، والمرأة الأولى حين كانت تعيش مع زوجها لم يكن يثيرها أى رجل آخر ، ولكن الثانية حتى وإن لم ترتكب الخطية فعلاً مع الآخرين عندما كانت تعيش مع زوجها،إلا أنها أعجبت بأناس كثيرين غير زوجها .

يقول ترتليانوس [3] :

« والشهوة فى الحقيقة هى سبب الزنا ، ألا يوجد مظهر من مظاهر الزنا فى الزواج حيث إنه متضمن فيه حيث إن نفس الأفعال تحدث فى الاثنين ؟ والرب نفسه قال « من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » [متى ٥ : ٢٨] .

وقد يسأل أحدهم : « هل أنت بذلك تهدم أساس الزواج بامرأة واحدة أيضًا؟» نعم ولكن ليس دون سبب وجيه ، لأنه حتى هذه الزيجات أساسها نفس هذا الخزى وهو الزنا ، ولذلك « حسن للرجل ألا يمس امرأة » [ا كورنثوس الأولى ٧ : ١] ، ولهذا السبب فإن قداسة العذراء فى غاية الأهمية ، لأنها بعيدة عن كل ما يمت للزنا بصلة ، وبما أن هذه النقاط يمكن أن تثار للحضّ على العفة وضبط النفس حتى فى حالات الزواج مرة واحدة فكم بالأحرى تحفزن لكى نرفض الزواج الثانى ؟ فلتشعر بأنك فى مركز أفضل إذا أتاح لك الله فرصة

---

(١) هذا دليل على أن رسائل بولس رسائل شخصية وليست بوحى إلهى .

(٢) إليزابيث.أ. كلارك : الآباء والمرأة ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، دار الثقافة بمصر .

(٣) كاتب مسيحى كتب كتاب « الحض على العفة » سنة ٢٠٠ م .

الزواج مرة واحدة وإلى الأبد!وأنت مدين بالشكر إذا علمت أنه لم يدعك تتورط مرة أخرى، وإلا فإنك تسيء لنفسك بالانغماس حيث إنك تستعمل الزواج بدون اعتدال » وكلمة (اعتدال) يفهم منها أنها تأتى فى كلمة (modus) أى مقياس أو حد معين، أفلا يكفيك أن تسقط من قمة مرتبة البتولية الطاهرة إلى مرتبة أدنى بالزواج ؟ إنك بلا شك سوف تنحدر إليه هوة سحيقة بالزواج الثالث أو الرابع ، أو ربما أكثر بعد أن رفضت كبح جماح نفسك بالزواج الثانى (بعد الزواج الأول) لأن الرجل الذى لم يمتنع عن الاتجاه للزواج الثانى كان على استعداد لزيجات أكثر. لذلك دعنا نتزوج كل يوم حتى يأتينا اليوم الأخير كسدوم وعمورة [تكوين ١٩ : ٢٤ ـ ٢٥] .

ففى ذلك اليوم عندما يتم النطق بكلمة (ويل) على الحبالى والمرضعات [مرقس ١٣ : ١٧، ومتى ٢٤ : ١٩ ، ولوقا ٢١ : ٢٣] سوف يتم حدوث ذلك، أى أن « الويل » قيل عن المتزوجين وغير الطاهرين ، لأن الزواج يعطى دوراً للأرحام والأثداء والرضع ! ومتى سيتوقف الزواج ؟ أعتقد أن ذلك سوف يكون بعد انتهاء الحياة .

ثم يتحدث عن كيفية التصرف إذا كان الرجل فى حاجة إلى شريكة لإدارة حياته :

« والآن قد تكون محتاجًا لشريك لا غنى عنه للقيام بالأعباء المنزلية ، إذن فخذ لك واحدة اتخذ لك زوجة روحية من بين الأرامل ، جميلة بإيمانها ، نصيبها من إرث زوجها هو الفقر ، مزينة بوقار السن ، فهذا زواج حسن وحتى لو كان لك عدة زوجات من هذا النوع فهو أمر مرض لله » (١) .

وهنا نلاحظ أن المسيحية ساوت بين الزواج والزنا وجعلت البتولية هى قمة الطهارة ، وكأن الله خلقنا لا لنكون بشراً ، ولكن لنكون ملائكة وهو القائل للإنسان والأمر « (٧) فأثمروا وتكاثروا وتوالدوا فى الأرض » [تكوين ٩: ٧] .

وعلى ذلك فرضت الكنيسة عقوبات على الزواج الثانى (٢) وما بعده تجاه من يتزوج ثانية بعد وفاة زوجته الأولى :

---

(١) اليزابيث . آ. كلارك : الآباء والمرأة ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) البابا شنودة الثالث : شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية ص ٦٤ ـ ٦٧ .

١ـ فرض عقوبة على المتزوج ثانية :

بأن تبعده عن الكنيسة وعن تناول الأسرار المقدسة مدة من الزمن ، شرحها القديس باسيليوس الكبير فى القانون الرابع من وسالته القانونية الأولى ، فقال : « الذين تزوجوا للمرة الثانية ، يوضعون تحت عقوبة كنسية لمدة سنة أو سنتين . والذين تزوجوا للمرة الثالثة لمدة ثلاث سنين أو أربع . ولكن لنا عادة أن الذى يتزوج للمرأة الثالثة يوضع تحت عقوبة لمدة خمس سنوات، ليس بقانون وإنما بالتقاليد (١) » .

٢ ـ لا بركة إكليل لهذا الزواج بل صلاة استغفار :

وقد ورد فى البند الحادى عشر من الباب الرابع والعشرين من كتاب المجموع الصفوى لابن العسال من يأتى : « وأما الزيجة الثانية فدون الأولى . ولهذا رسم فى القوانين ألا يكون لها بركة إكليل بل صلاة استغفار » (٢) .

فما الذى يحدث إن كان أحد طرفى هذا الزواج بكرًا أى بتولاً والطرف الآخر أرملاً ؟ للإجابة على هذا السؤال ورد فى البند ٨٧ من الباب السابق ذكره « وإن كان أحد المتزوجين بكراً ،فليبارك وحده . وهذه السنة للرجال والنساء جميعًا»(٣) .

٣ـ ولا يحضر القس وليمة هذا الزواج :

يقول القانون السابع من قوانين مجمع قيسارية الجديدة « لا يجلس القس فى وليمة زيجة المتزوج ثانيًا . وذلك من حيث إن المتزوج ثانيًا يجب عليه أن يلتمس التوبة ، فما عساه يكون أمر القس الذى بواسطة اتكائه فى الوليمة قد يذعن مرتضيًا فى تلك الزيجة » (٤) .

ويعلق العالم هيفيليه Hefele على ذلك القانون بقوله : « إن المتزوج ثانيًا ، المفروض فيه أن يأتى إلى الكاهن ليخبره بعقوبته التى يمارسها. فكيف يقف القس نفسه فى الوليمة كأنه يشترك معه فى الإساءة » (٥) .

---

(١) يقصد بالتقليد ما وضعه الآباء من قوانين قديمة تم توريثها .

(٢) المجموع الصفوى ـ طبعة جرجس فلتاؤوس عوض ص ٢٢٣ .

(٣ ، ٤) المجموع الصفوى ـ طبعة جرجس فلتاؤوس عوض ص ٢٤١ .

(٥) قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية « المطبوع بمصر سنة ١٨٩٤م » .

٤- المتزوج ثانية لا يدخل فى شرف الكهنوت :

ومن أهم النقط التى تبين نظرة الكنيسة إلى الزواج الثانى من حيث إنه علامة على عدم التعفف ، كونها تحرم ممارسه من الدخول فى شرف الكهنوت فى أية درجة من درجاته الثلاث الأساسية : الأسقفيه (١) ، والقسيسية والشماسية .

وقد ورد هذا الأمر فى رسالة بولس الرسول إلى تيطس [٢ : ٦] ، وفى رسالته الأولى إلى تيموثاوس [٣ : ٢ ، ١٢] حتى الشماس لا يستطيع أن يتزوج ثانية بعد وفاة زوجته ، لأن مستوى هذا الزواج الثانى لا يتفق وسمو رتبته الكهنوتية كشماس .

وتنص قوانين الكنيسة على أنه إذا تزوج أحد من رجال الكهنوت بعد وفاة زوجته فإنه يقطع درجته الكهنوتية (٢) .

حتى الذى سبق له هذا الزواج الثانى قبل المعمودية ، لا يجوز أيضًا أن يصير كاهنًا على الرغم من أن المعمودية تغفر فيها جميع الخطايا السابقة ويولد الإنسان منها ولادة ثانية فى نقاوة تامة وطهر . وفى ذلك يقول القديس باسيليوس: إن المسألة ليست مسألة خطية ، وإنما مسألة قانون ونظام . «فالذى تزوج ثانية لا يحسب له ذنب ، ولكنه غير مؤهل للكهنوت» ويقول فى كتاب آخر : « ولكن يجب أن نعرف أنه فى المعمودية تغفر الخطية ، ولكن لا يلغى القانون) .

حتى التى تخدم أرملة فى الكنيسة : على الرغم من أن وظيفتها ليست خدمة كهنوتية فإنها أيضا لا تقبل إلا إذا كانت أرملة لزوج واحد ، فهكذا يأمر بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس [٥ : ٩] .

الزيجات الأكثر من هذه :

فإن كانت هذه هى نظرة المسيحية إلى من تزوج ثانية بعد وفاة زوجته الأولى ؟ فماذا يقال عن نظرتها إلى المتزوج ثالثة بعد وفاة الزوجة الثانية ، أو إلى المتزوج رابعة بعد وفاة الزوحة الثالثة ؟

---

(١) قال القديس جيروم (إيرونيموس) تعليقًا على قول الرسول عن الأسقف : إنه يكون بعل امرأة واحدة «ليس الزواج شرطًا للأساقفة ، لأن نفس الرسول الذى تكلم عن زواج الأساقفة لم يكن متزوجًا » (١ كو ٧: ٧) .

(٢) كمثال لذلك القانون ٤٢ من قوانين باسيليوس .

تقول الدسقولية (١) : « الزيجة الثالثة هى علامة الغواية لمن لم يقدر أن يضبط نفسه، والأكثر من الثالثة هى علامة الزنا الظاهر والنجاسة التى لا تذكر » .

ويقول القديس أغريغوريوس الناطق بالإلهيات فى تتابع الزيجات : « الأولى هى شريعة ، والثانية تسامح ، والثالثة تعد . . . وكل ما يزيد على ذلك هو شبيه بالخنازير » .

ويقول القديس باسيليوس فى قانونه الحادى عشر عمن تزوجوا لثالث مرة : « لم يأمر المجمع بأن يبقوا خارجًا عن الكنيسة ، بل قالوا إنهم مثل إناء وسخ فى الكنيسة(٢) . أما الذين يتزوجون للمرة الرابعة أو الخامسة فقد أمر القديس فى نفس القانون أن « يطردوا خارجًا مثل الزناة » .

خاتمة :

وبعد ، فإن كانت هذه هى نظرة المسيحية إلى تعدد التزوج ـ مع الاحتفاظ بزوجة واحدة فى كل مرة ـ فماذا يمكن أن يكون رأيها فى تعدد الزوجات والجمع بينهن فى وقت واحد .

إن كان الذى توفيت زوجته فتزوج غيرها ـ وقد تكون فترة الزواج الأولى أو الزواجين الأولين قصيرة ، والرجل ما يزال شابًا ، وقد ذاق لونًا من الحياة ولم يستطع الامتناع ـ إن كان هذا تنظر إليه الكنيسة هكذا ، ولا تباركه ،ولا تحضر وليمته ، وتفرض عليه العقوبات الكنسية ،وتحرمه من الكهنوت ، وتنظر إليه كضعيف ، فهل يمكن لديانة تدعو إلى هذه الدرجة من التعفف ، أن تسمح بتعدد الزوجات؟! لا يستطيع أحد أن يجيب بنعم .

رابعًا : التبتل فى المسيحية :

معنى التبتل : الإضراب عن الزواج نهائيًا والعلاقات الجنسية الغير مشروعة كنوع من الزهد للتكرس للعبادة ، وقد يلجأ البعض من الرجال لإزالة عضو التناسل والإخصاء رغبة فى قطع طريق الشهوة نهائيًا .

والمسيحية انفردت به دون الأديان الأخرى كاليهودية والإسلام بالحض على التبتل واعتبارة دليل صلاح وسبب للقداسة والرقى فى درجات الإيمان أو

---

(١) الدسقولية : الباب ١٩ ص ١٣٩ .

(٢) مخطوطة رقم (١٠١ قوانين) بدير السريان .

الكنيسة.

وقد قرر بولس أن الأصل هو التبتل أو الزواج فهو لضرورة فقط .

« . . . (١) فإنه يحسن بالرجل ألا يمس امرأة ، ولكن تجنبا للزنا ، ليكن لكل رجل زوجته ولكل امرأة زوجها » [ا كورنثوس ٣ : ١] .

« (٦) وإنما الآن أقول هذا على سبيل النصح لا الأمر (٧) فأنا أتمنى أن يكون جميع الناس مثلى عدا أن لكل إنسان موهبة خاصة به من عند الله فبعضهم على الحال وبعضهم على تلك » [ا كورنثوس ٧ : ٦، ٧] .

« على أن أقول لغير المتزوجين وللأرامل : إنه يحسن بهم أن يبقوا مثلى (٩) ولكن إذا لم يمكنهم ضبط أنفسهم فليتزوجوا ، لأن الزواج أفضل من التحرق » [اكورنثوس ٧: ٨ ، ٩] .

« (٢٥) وأما العزاب » فليس عندى لهم وصية خاصة من الرب ، ولكنى أعطى رأيا باعتبارى نلت رحمة من الرب لأكون جديرًا بالثقة ،فلسبب الشدة الحالية ما أظن أنه يحسن بالإنسان أن يبقى على حاله » [ا كورنثوس ٧ : ٢٥] .

تبرير بولس لدعواه بعدم الزواج :

« (٣٢) فأريد لكم أن تكونوا بلا هم ، إن غير المتزوج مهتم بأمور الرب (٣٣) وهدفه أن يرضى الرب ، أما المتزوج فيهتم بأمور العالم وهدفة أن يرضى زوجته (٣٤) فاهتمامه منقسم لذلك غير المتزوجة والعزباء تهتمان بأمور الرب وهدفهما أن تكونا مقدستين جسدًا وروحًا ، أما المتزوجة فتهتم بأمور العالم وهدفها أن ترضها زوجها» [ا كورنثوس ٧ : ٣٢ ـ ٣٤] .

وهذه الأفكار البوليسية « نسبة إلى بولس» تأثر بها دعاة المسيحية فى كافة العصور .

« يرى بعض الكتاب [١] أيضا بأن حياة التبتل تعتبر وسيلة بها يستطيع البشر استعادة طهارة الفردوس ، تلك الطهارة التى فقدها آدم وحواء عن طريق الخطية الأصلية ، وتورط نسلهما فيما بعد فى الزواج والإنجاب » .

والمسيحية ترى أن التبتل أكثر رقيا من الزواج وما يشمله من علاقة جنسية بين

(١) إليزابيث. آ. كلارك : الآباء والمرأة ص ٩٥ ، دار الثقافة .

الزوج وزوجته ، وأن نعمة التبتل هى نعمة إلهية مقدسة جاءت بوحى إلهى وأوامر رسولية .

« حقًا إنه لمن سخاء الله وفضله العظيم أن أرسل إلى البشر بذور التبتل من السماء » (١) .

وقد غالت المسيحية فى إثبات قدسية التبتل فجعلته أمرًا مقدسًا مرتبطا بقداسة الثالوث المقدس .

يقول « غريغوريوس النيصى وهو أحد اللاهوتيين البارزين فى ق ٤ « إن الطهارة البشرية جُعلت على حظ العلاقات القائمة بين الأب والابن والروح القدس فى اللاهوت ، فكما أن اللاهوت غير متغير فإن اتخاذ طريق التبتل هنا على الأرض يجعل الإنسان مشاركًا فى السمة السماوية « لعدم الفساد » أى عدم القدرة على التغير أو الذبول » . . . نحتاج للكثير من الذكاء حتى نفهم من هذه النعمة ، نعمة الارتباط بالأب عديم الفساد . . . » (٢) .

ويوضح سبب عدم فساد الآب أى الله فيقول عنه الله « . . . له ابن ولده بلا شهوة » .

كما يقول عن ابن الله « أى المسيح » .

« ترى أيضا فى الإله الابن الوحيد أى الابن قائد جوقه عدم الفساد ، من حيث إنه قد نبع مع الطهارة وعدم الألم عند ولادته ، فعن طريق العذراوية يولد الابن » وبنفس الطريقة يمكن التفكير فى الطهارة الطبيعية وعدم الفساد الذى يتسم به الروح القدس .

فوائد البتولية :

« (٣) فقوة البتولية إذن فى أنها تسكن فى السموات مع أبى والأرواح ، إنها فى خدمة القوى السماوية » وهى توائم نفسها مع خلاص البشر ، وبقوتها يأتى الله ليشاركنا الحياة البشرية [فى تجسد يسوع وقد ولد من عذراء] بينما تغطى البشر أجنحة حتى أنه فى البتولية تكون لنا رغبة فى الأشياء السماوية،فكأن البتولية

(١) الآباء والمرأة ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٦ ، ٩٧ ونقصد بالآب الله أو المسيح .

(٣) المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨ .

نوع من الرابطة فى علاقات البشر مع الله » .

إن الفقرات توضح أن عدم الزواج يسمو بالنفس البشرية فيجعلها نقية طاهرة، عازفة عن الدنيا وزخارفها ، طامعة فى ما عند الله فى السماء ، والقدوة فى ذلك أن المسيح كان بتوليًا .

ويؤكد ذلك ويشرحه القديس إيروينموس فيقول(١) :

« والمسيح بالجسد بتول » وبالروح تزوج مرة واحدة ، لأن له كنيسة واحدة ، هى التى قال عنها الرسول : أيها الرجال أحبوا نساءكم ، كما أحب المسيح أيضًا الكنيسة ، وأسلم نفسه لأجلها » [أفسس ٥ : ٢٥] .

فكما أن المسيح مثال يقتدى به البتوليون ، فى حياته البتولية حسب الجسد ، كذلك هو مثال أيضًا للمتزوجين ، وفى علاقته الروحية بالكنيسة التى سار فيها على شريعة « الزوجة الواحدة » .

ويقول القديس إيروينموس أيضًا فى رسالته إلى أجيروشيا : « إن بولس فى شرح هذا الفصل من أفسس ، يشير إلى المسيح والكنيسة بقوله : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا . هذا السر العظيم، ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » [أفسس ٥: ٣١، ٣٢] .

فجعل آدم الأول صاحب زوجة واحدة فى الجسد ، وآدم الثانى (المسيح) صاحب زوجة واحدة فى الروح ، كما أنه توجد حواء واحدة هى أم كل الأحياء كذلك توجد كنيسة واحدة هى أبو كل المسيحيين .

وقد يتساءل البعض : إذا آمن الجميع بالبتولية وعزف الكل عن الزواج فما هو مصير الإنسان ؟

يجيب عن ذلك البابا يوحنا ذهبى الفم فيقول (٢) :

« إن للبتولية مزايا عملية ، فالعذراء تهرب من المشاغل والأحزان التى تشغل المرأة المتزوجة وتقلقها على عائلتها ».

كما رد على من قالوا : « إن البتولية تتنافى مع الهدف من خلق آدم وحواء

---

(١) البابا شنودة الثالث : شريعة الزوجة الواحدة ص ٤٨ .

(٢) إليزابيث. أ . كلارك :الآباء والمرأة ص ١٠٠ .

حيث قال لهم الله أثمروا واكثروا » [تكوين ١ : ٢٨] .

وأنه بدون التوالد فإن الجنس البشرى ينقرض، قال: « إنها دائمًا إراده الله ، وليس النشاط الجنسى البشرى هو الذى يخلق شعبًاجديداً » .

كما يرى البعض أن فى البتولية يصعب بل يستحيل مقابلة مشاكل الزواج ، بينما فى الزواج يصعب عدم وجود مشاكل .

والملاحظ أن الجميع يتمسك بوصايا بولس الرسول رغم ما تحمله من أفكار خاطئة ومبادئ هدامة ، لا يقبلها عقل قويم أو فكر مستنير هل كل الزواج مشاكل وبلايا ، ألا توجد سعادة زوجية حقيقية ؟! وهل يمكن للبشر التكاثر بطرق أخرى غير الزواج (١) ؟ نعم إن إرادة الله غالبة ، ولكن إرادته كانت فى خلق آدم وحواء ونسلهما للزواج وأعطاهما الأعضاء المناسبة لذلك كما أعطاهما العواطف المؤدية لذلك وهل عدم الزواج عديم المشاكل ؟ إن عدم الزواج هو المشاكل نفسها ، فأين تذهب المودة والرحمة والسكن ؟ وكيف تطفأ الشهوة الجنسية وهى بلا خلاف أقوى شهوة فى الوجود ؟! وهل تنظيم الأسرة ومزاولة كل من الرجل والمرأة لمهمته فى الحياة تخلق مشاكل (٢) ؟! .

ومن العجيب أن بولس الرسول يرى أن إرضاء الزوج لزوجتة خطيئة ؛ لأنها تؤدى إلى عدم الاهتمام بالدين والعبادة .

« وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته » [ا كورنثوس ٧ : ٣٣].

ولنا أن نتساءل: هل الله خلقنا لنكون ملائكة على الأرض ، نعبده ليلا ونهاراً ولا نفتر عن عبادته ؟

وأخيراً لنا أن نتساءل: ألا يوجد مضار صحية نتيجة التبتل وعدم التعبير عن الشهوة وإفراغها بصورة سليمة جسديًا وعاطفيًا؟ (٣) .

---

(١) حتى لو وجدت طرقًا أخرى كطرق التلقيح والاستنساخ الحالية ، فإنها لابد أن تكون فى حدود الشرع ؛ لأنها لا تمنع البنوة ، وبالطبع لم تكن هذه فى عهد ذهبى الفم ؟!

(٢) أثبت علميًا أن سن الزواج المتأخر له مضار صحية كالتهابات الجهاز البولى والتناسلى عند الرجل والأمراض الخبيثة عند المرأة ، ومرجع ذلك لاختلال وظائف الغدد وكبت عمل الأعضاء المخصصة للتناسل.

(٣) الأباء والمرأة ص ٧-١ .

وترى المسيحية أن أصل الطهارة هو التبتل وبالتالى فهو طريق الطهارة ، حيث إن آدم وحواء كانا طاهرين فى الفردوس « جنة عدن . قبل الخطيئة ، وأنهما طردا خارج االجنة ولم يتزوجا إلا بعد الطرد من الجنة ، وأن المسيح حسب الجسد كان بتوليًا أى لم يتزوج ، وتزوج مرة واحدة زواجًا روحيا مع الكنيسة « أيها الأزواج أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة » [أفسس ٥ : ٢٥] .

وقد اشتكت إحدى النساء إلى « جيروم » أن ابنتها تريد التبتل فأرسل لها مهنأ قائلا : « هل يحرث الحارث كل يوم » [أشعياء ٢٨ : ٢٤] ، ألا يستمتع أيضًا بثمرة تعبه. إن الزيجات مكرمة لأن ما يولد نتيجة الزواج (١) يصير محبوبًا فلماذا أيتها الأم تحملين ضغينة لابنتك ؟ لقد رضعت لبنك ، وخرجت من رحمك ، وتربت فى حجرك ، وقد حفظتيها سالمة برعايتك اليقظة ، فهل يُسئك أنها لا تريد أن تكون زوجة جندى لا بل ملك لقد كرَّمتك إكراما عظيمًا ، لقد بدأت فى أن تصيرى حماة الله . . . » .

ويرى المسيحيون أن التبتل لم يفرض فى الديانة السابقة لسبب وهو « لأن الجنس البشرى كان مازال صغيرا فى العدد ،وكان لا بد من زيادة عدد البشر أولاً ثم كمالهم ، ولهذا السبب لم ير القدماء أي عيب فى أن يتخذوا الأخوات كزوجات حتى جاء الوقت الذى بين فيه الموقف ، وحرم هذه الممارسات التى كانت تبدو صحيحة سليمة أولا ، معلنا بوضوح أنها خطية قائلا : « ملعون الرجل الذى يكشف عورة أخته » [اللاويين ١٨ : ٩] .

---

(١) يقصد بالزواج :زواج البنت بالكنيسة أى بالله .

المبحث الثالث

تعدد الزوجات فى القرآن والديانة الإسلامية

كثر الهجوم على الإسلام باعتباره يهين المرأة وإنسانيتها حتى ظن الكثيرون أنه الدين الوحيد الذى انفرد بتعدد الزوجات وابتدعه ، ونسوا أو تناسوا أن كل الأديان السابقة والحضارات والمجتمعات قد زاولت التعدد ، الذى لا حد فيه لعدد الزوجات ، والذى قيده الإسلام بعدم السماح بالجمع بين أكثر من أربعة نسوة ، كما حاول البعض من أعداء الإسلام بث فكرة أن من شروط الإسلام واكتمال الدين الزواج بأكثر من واحدة ، وكل ذلك كسراب شيد من أوهام .

والواقع أن الإسلام نظم تعدد الزوجات كضرورة قد تلجأ إليها الحكومات والمجتمعات والأفراد فى ظروف خاصة ، لا كفضيلة يجب التمسك بها فالإسلام أباح التعدد ولم يدع إليه، ولو أن الضرورات لا تبيح المحظورات لنهى عنه وحرمه .

وهناك أسباب كثيرة قد تدعوا للتعدد منها .

* تقلص واختصار عدد الذكور نتيجة الحروب أو الأوبئة وبالتالى زيادة عدد الإناث المضاعف ، والذى لا بد من إشباع رغباتهن الجنسية والاجتماعية وغيرها بالزواج ، وبدلا من نشر الرذائل والعلاقات الجنسية المحرمة والغير مشروعة ، وهذا الأمر لجأت إليه الحكومات كثيراً ، كما سنت قوانين تنظيمه بهدف تشجيع الإنجاب ، وإعادة بناء الأمم على أكتاف جيل جديد من مواليد اليوم وهم شباب وشابات المستقبل .

هذا وقد تتقبله بعض المجتمعات لنفس الأسباب أو لغيرها بدون تشريع حكومى ويصبح ذلك من العرف السائد المعترف به والذى لا يستهينه أحد ، ويلاحظ ذلك فى المجتمعات الصحراوية المنعزلة والتى ترى الزواج من خارج القبيلة عاراً يجب نبذه ، كقبائل سيناء وسيوة وعرب الصحراء ، فالمرأة هناك ترى أن من واجبها ومن أخلاق المروءة والشهامة أن تخطب هى لزوجها زوجة ثانية ، وربما لو لم يفعل لظنت به السوء وعدم اكتمال الرجولة .

* وقد يكون التعدد لضرورة اجتماعية أو إنسانية أو جنسية ، مع تداخل هذه

الضرورات ، كالذى يتزوج بأخرى لعدم الإنجاب من الزوجة الأولى ، فالإبقاء على الأولى يحمى المجتمع بإضافة مطلقة إليه، وبإنقاص عانس من نسائه ولا يجب أن ننسى أن هناك من الرجال من لا تكفيهم الزوجة الواحدة وهم قلة - فبدلاً من الزنا وإطلاق العنان للمغامرات العاطفية والجنسية الأفضل له هو الزواج.

وهناك حقيقة يجب ألا تغيب عن الأذهان ، وهى أن الإسلام جاء وتعدد الزوجات موجود ويزاول عند العرب وهو من مواريث الجاهلية ، فقد أسلم غيلان رضي الله عنه وتحته عشرة من النسوة ، فأمره الرسول ﷺ بإمساك أربع ، وأن يخلى ما تبقى ، وأسلم قيس بن الحارث الأسدى وتحته ثمانى نسوة، فأمره الرسول ﷺ أن يختار أربعا منهن ويخلى الباقين ، فالإسلام نظم التعدد وقيده ، ولم يبتدعه ويطلقه .

مشروعية التعدد فى الإسلام :

ثبت إباحة التعدد وفقا للأسباب الموجبة له بالقرآن والسنة وعمل به الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم :

القرآن الكريم :

يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا (٣) ﴾ [النساء]

يقول الإمام محمد عبده فى ذلك (١) : « قد أباحت الشريعة المحمدية للرجل الاقتران بأربع نسوة » إن علم فى نفسه القدرة على العدل بينهن ، وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ ، فإن الرجل إذا لم يستطع إعطاء كل منهن حقها، اختل نظام المنزل وساءت معيشة العائلة».

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ يوضح التشدد في التعدد، والنصح أن من يري أنه لا يستطيع الوفاء بحقوق أكثر من واحدة فلا يُقدم نهائيًا على التجربة . وظهر ذلك جليًا واضحًا فى قوله تعالى ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ

(١) الاستاذ الدكتور محمد عمارة : شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ص ٣ / ٨٦ .

حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء : ١٢٩] ، ثـم أمـر الله بتوخى العدالة بين النساء فقـال جـل شأنـه ﴿ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ .

السنة المطهرة وعمل الصحابة :

الثابت أن الرسول ﷺ تزوج أكثر من واحدة وجمع بين أكثر من أربع ، وهو ميزة خاصة لرسول الله دون المسلمين ، وقد قابله أمر الله لرسوله بعدم الزواج من نساء أخريات غير ما كن معه وهذا الأمر لم يقيد به الله المسلمين « لقوله جل وعلا ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٢] .

وقد كان الرسول ﷺ يميلفى آخر عهده إلى عائشة أكثر من باقى نسائه ، ولكنه لم يخصها بشيء دونهن ، أو بغير رضاهن وإذنهن وكان يقول « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك » .

ويقصد بذلك ميل القلب لعائشة ، فقد كان النبى ﷺ فى أشد حالات مرضه، يُطاف به على بيوت زوجاته ، محمولاً على الأكتاف ، حفظا للعدل ، ولم يرض بالإقامة فى بيت عائشة إلا برضى باقى زوجاته حتى قبضه الله وكان يقرع بينهم فى السفر .

هذا وقد حذرنا من عدم إقامة العدل بين الزوجات فقال : « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهن دون الأخرى - وفى رواية: لم يعدل بينهما - جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » .

والعدل فرض فى البيتوتة ، وفى الملبوس والمأكول والصحبة ، وحقوق الزوجية ، وسائر حقوق الزوجة .

المبحث الرابع

الإسلام وواقعيته فى أحكام النساء وتفوقه على اليهودية والمسيحية

تميز الإسلام بالواقعية الشديدة فى أحكامه ، وبمراعاة واقع الناس والحياة فلم يدع مادية مفرطة ، أو روحانية كاذبة ، ادعت ملائكية البشر على الأرض ، ونسيت أنهم من تراب :

١ـ بالنسبة لتعدد الزوجات :

أجازته اليهودية والمسيحية فى أول عهدها وكلاهما ألغاه بقوانين وضعية ووليس بقوانين سماوية ، فنتج عن ذلك إشاعة الفاحشة ، وتفشى الزنا ، حتى اعترف فى لغرب المسيحى واليهودى ، بالانفصال المدنى ، ثم اتخاذ الصديقات والأصدقاء « العشيقات» فكان عدم الواقعية ومراعاة حاجات المجتمع أولاً ثم الإنسان ثانيًا أن تعارفت هذه الأديان والأمم على استصواب الفاحشة .

أما الإسلام كدين فهو واقعى فى أحكامه ، فأباح التعدد ولم يشجع عليه ، فانعدمت فيه أسباب الفاحشة وأغلقت به أبواب الرذيلة ، وزاول الإنسان حاجاته الضرورية تحت سمع وبصر الشرع والمجتمع والقانون .

٢ـ وبالنسبة للزواج الثانى :

أقرته التوراة والديانة اليهودية ولكنها حرمت رجوع الزوجة لزوجها إذا تزوجت بآخر ، وقد أجازت الزواج بأكثر من واحدة .

أما المسيحية فنظرت إليه كأنه جريمة أقرب إلى الزنا واعتبرته من الرذائل حتى إنها فرضت عقوبات كنيسة علي من تتزوج ثانية بعد ترملها » واعتبرت من تقوم به من محبات الدنيا المبغوضات ، ومن لمعلوم أن الزواج الثانى بغير طلاق إلا لعلة الزنا لا تعترف به المسيحية وتنظر إليه بإعتباره خطيئة أكبر من الزنا .

أما فى الإسلام فقد راعت الشريعة الإسلامية واقع الناس ، فأقرت للمرأة أن تتزوج مرة ومرات بحيث تكون فى كنف زوج يحميها من الوحدة الجنسية والنفسية

والاجتماعية .

والإسلام فى ذلك راعى مصالح الناس ومتطلبات الحياة ووسائل حفظ النفس والشهوة والمجتمع .

٣ـ بالنسبة للتبتل والحض على العفاف وعدم الزواج :

كلا من اليهودية والإسلامية لم يأمرا بذلك ولم يشجعا عليه بل اعتبر الخصاء للرجال مذمة وليس بمكرمة .

أم المسيحية فقد غالت جداً جداً فى التبتل حتى أنها اعتبرت الزواج استثناءً من فضيلة ، وجعلت درجة البتولية أفضل من درجة الزواج ، ونظر آباء الكنيسة إلى المرأة المتزوجة والرجل المتزوج نظرة شك وارتياب . وكأنه أقام فاحشة .

وعلى ذلك فالإسلام أكرم الزواج وكان واقعيًا فى السماح بتعدد الزوجات وكذلك السماح للأرامل والمطلقات بإعادة حظهن فى الزواج مرة ثانية ومرات أخرى فالحياة بلذاتها المشروعة لا تكون إلا مرة واحدة اغتنم منها يابن آدم ما شئت فى حدود شرع الله وما أحله الله .

الفصل الثامن

العبادة وجزاء الأعمال فى الكتب والأديان السماوية

المبحث الأول

العبادة وجزاء الأعمال [1] للمرأة فى التوراة والديانة اليهودية

العبادة فى الأديان هدفها التقرب إلى الله والطمع فى خيرات الدنيا وإن كانت زائلة، وأيضا الطمع والرغبة الشديدة الملحة فى ثواب الآخرة ، حيث إنها الدائمة ، وكذلك طلب نصر الله فى الدنيا والوقاية من العذاب فى الآخرة .

وحيث إن الله هو الخالق للذكر والأنثى وليس لأيهما اختيار وكل يُسر لما خلق له ، وأعطاه الله من المواهب ما يكفل له تحقيق هدف الله من خلقه ، فإن المساواة فى التكليف والمساواة فى الجزاء بين كل من البشر هو عين العدالة .

وقد بدأ ذلك واضحًا فى التوراة ،حيث إن كلاً من الرجل والمرأة قد نالا عقاب المعصية، كلٌ وفق ما أعطاه الله من مزايا طبيعية فالرجل كان عقابة العمل بمشقة ،والمرأة عقابها الحمل والولادة والرعاية ويلاحظ أن أول تكليف إلهى كان لآدم قبل حواء ـ حسب التوراة الحالية .

وأمر الرب الإله آدم قائلا : « كل ما تشاء من جميع أشجار الجنة (١٧) ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتما تموت» [التكوين ٢] .

فحواء لم تكن قد خلقت بعد ومع ذلك دخلت فى التكاليف ،وهذا يوضح أن آدم وحواء أمام الله متساويان فى فرض التكاليف والعبادة وفى الجزاء سواءً كان إيجابيًا أو سلبيًا .

كذلك الأمر بالنسبة لذرية آدم وحواء فعندما طغت خطايا البشر وزادت الحد وأراد الله الفناء فى عهد نوح للعاصين ـ حسب التوراة الحالية، فإنه أراد نجاة عدد

---

(١) القيامة وجزاء الأعمال فى الآخرة من الأمور الغير واضحة فى التوراة والديانة اليهودية فطائفة القرائين تؤمن بها وطائفة الربانيين لا تؤمن بها .

من الذكور والإناث للإنسان والحيوان بالتساوى حتى يبدأ الحياة الجديدة للبشر بعدالة وبلا ظلم لجنس دون آخر « (٩) دخلت مع نوح إلى الفلك زوجين زوجين، ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحًا » [التكوين ٧ : ٩] .

وما جاء فى التوراة كجزاء للعاص أو ثواب للمصلح ساوى بين الرجل والمرأة فها هو أيوب صبر على ابتلاء الله ، فشفاه وأعطاه المال الوفير والعمر المديد[١] .

وها هى حنة زوجة القانة تُحسن إلى الله فى العبادة والدعاء ونذرت للرب إن ولدت تجعل ابنتها نذيراً للرب ، فأعطاها الله النبى صموئيل [٢].

وها هو الملك داود يخطئ إلى الرب ويزنى بامرأة أوريا ويخطط لقتله فكان عقاب الرب له :

« (١٠) لن يفارق السيف بيتك إلى الأبد . . . (١١) سأثير عليك من أهل بيتك من يُنزل بك البلايا ، وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطهن لقريبك ، فيضاجعهن فى وضح النهار » [٢ صموئيل ١٢] .

وعثليا التى ملكت يهوذا ست سنوات وقتلت النسل الملكى إنتقاما لمقتل ابنها الملك أخزيا ،وقد عاقبها الرب،فقتلت فى ساحة مدخل الخيل بالقصر » [٣] .

والملك آمون ملك سنتان على يهوذا «(٢٠) وارتكب الشر فى عينى الرب مثل أبيه . . . (٢٣) وتآمر عليه رجاله واغتالوه فى قصره » [٢ الملوك ٢١ : ٢٠، ٢٣].

وهاهى مريم النبية أخت هارون وموسى تنتقد موسى لزواجه من كوشيه فتنال العقاب وهو الإصابة بالبرص [٤] .

وميكال زوجة داود وابنه الملك شاول سخرت من داود لأنه رقص احتفالاً للنصر وعودة تابوب الرب ، فنالت جزاءها وهو « ولم تنجب ميكال بنت شاول ولدًا إلى يوم موتها [٢ صموئيل ٦ : ٢٣] .

(١) انظر : سفر أيوب.
(٢) انظر سفر صموئيل الأول ، الإصحاح ٢ ، ٣ والباب الأول من هذا الكتاب .
(٣) أخبار الأيام الإصحاح ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) سفر العدد الإصحاح ١٢ .

ومع ذلك فهناك تفرقة دينية بين الرجل والمرأة فى التوراة والتلمود [1] منها :

١ـ لا يصح صلاة الجماعة عند اليهود إلا بحضور عشرة من الرجال على الأقل أو عشرة من الأولاد الذين زادت أعمارهم عن الثلاث عشرة سنة بينما لا تصح الجماعة مهما كان العدد من النساء كذلك لا تكمل صلاة الجماعة بهن[2] .

٢ـ الذكور مفضلون فى الحصول على جزء من لحم القرابين بما يخص شريعة التقدمة وهى تخصيص جزء من اللحوم المقدمة كقرابين الأكل الذكور من الناس دون النساء وقد جاء فى سفر اللاويين بخصوص ذلك التفضيل بين الذكور والنساء ما يأتى يقدم بنو هارون أمام الرب إلى قدام المذابح. . . والباقى منها يأكله هارون وبنوه فصيرا يؤكل فى كل منها مكان مقدس فى دارخيمة الاجتماع يأكلونه . . . كل ذكر من بنى هارون يأكل منها فريضة دهرية فى أجيالكم وجاء أيضًا عن ذبيحة الخطيئة أو ذبيحة الإثم وكل ذكر من الكهنة يأكل منها أنها قد قدس » [3] [اللاويين الإصحاح ٦] .

٣ ـ موقف المرأة من النذر : لا تتساوى المرأة اليهودية مع الرجل فى الحل من الخطيئة وجاء فى سفر اللاويين ما يأتى « فإذا نذر رجل نذرا للرب أو قسما أن يلزم فلا ينقض كلامه حسب كل ما خرج من فمه يفعل وأما المرأة فإذا انذرت نذرا للرب والتزمت بلازم فى بيت أبيها فى صباها وسمع أبوها نذرها واللازم الذى ألزمت نفسها به فإن سكت أبوها لها تثبت كل نذورها وكل لوازمها التى ألزمت نفسها بها تثبت وإن نهاها أبوها يوم سمعة فكل نذورها ولوازمها لا تثبت .

« وإن كانت لزوج ونذرها عليها أو نطق شفتيها الذى ألزمت نفسها بها وسمع زوجها فإن سكت فى يوم سمعه تثبت نذورها ولوازمها وإن نهاها رجلها فى يوم سمعه فسخ نذرها الذى عليها ونطق شفتيها الذى ألزمت نفسها به والرب يصفح عنها » [اللاويين ٣٠ : ٢ ـ ٨] .

فالمرأة دائمًا لها ولى أمر نهى فى وصاية أبيها فى صباها وفى وصاية زوجها وبإمكان أى من أبيها وزوجها أن يحلها من نذرها وهو صاحب الكلمة العليا عليها[4].

---

(١) التلمود هو الكتاب المقدس الثانى لليهود بعد التوراة وهو شارح للتوراة وموضح لها .

(٢) السيد محمد عاشور : مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ص ٩٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٩ .

(٤) المرجع السابق ص ١٠٠ .

٤ـ مدة نجاسة المرأة إذا ولدت بنتا ضعفها إذا ولدت ذكراً عندما تضع الأم ولدا تكون مدة النجاسة أربعين يوما أما إذا وضعت بنتا فمدة النجاسة ثمانون يوماً كما فى التوراة إذا تقول : «وكلم الرب موسى قائلا (٣) كلم بنى إسرائيل قائلا إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها كل شىء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجىء حتى تكتمل أيام طهرها . وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ثم تقيم ستة وستين يومًا فى دم تطهيرها » [1] .

٥ـ للزوج أن يرث زوجته وليس لها أن ترثه .

٦ـ قيمة نذر البنت نصف قيمة نذر الولد .

٧ـ لم يكن مسموحًا للمرأة دراسة التوراة [2] « وكان استبعاد المرأة من دراسة التوراة هو رأى الأغلبية وكان « إليزر » يقول بأن من يعلم ابنته التوراة فإنه يعلمها الفسق والدعارة ، إلا أنه كان هناك اتفاق عام على أن المرأة ليست مضطرة إلى دراسة التوراة نتيجة لذلك تعلمها القليل من النساء .

وتقول دائرة المعارف اليهودية عن الحالة الشرعية والمشاركة الدينية للمرأة « ثم الاعتراف بحالة المرأة باعتبارها كائن إنسانى ،وكان صاحب الثور يدفع نفس الغرامة إذا قتل حيوانه رجلاً أو امرأة أو طفلاً ،وقد أعطى اهتمام خاص للضرور الذى كانت تعانيه المرأة الحامل أثناء مشاجرة الرجال ،وكان هناك اعتراف أيضًا بالفرق بين الرجل والمرأة ،وكانت الحجات السنوية الثلاث مفروضة على الرجال فقط ، ولكن الرجال غالبًا ما اصطحبوا زوجاتهم ،وكان الاحتفال بإجتماع العام السابع يتطلب حضور النساء والأطفال،ولكن قدرة المرأة على التراتيل الدينية كانت مقيدة، وتكون صالحة فقط ومسموح بها إذا كان كافلها الأب،والزوج لم يتدخل .

وعلى ذلك لم تكن المساواة بين الرجل والمرأة من الناحية الدينية مطلقة أو عادلة ،فكانت المرأة مهضومة الحق ، حتى إن الكثير من العلماء اعتبرها مصدراً للغواية والإغراء وسبب كل شر ، لدرجة أن كتاب الصلوات الرسمى جاء فيه «بوركت يا إلهى يا من لم تخلقنى امرأة» .

(١) مركز المرأة فى الشريعة اليهودية ص١٠٠.

(٢) دائرة المعارف اليهودية .

المبحث الثانى

العبادة وجزاء الأعمال فى الإنجيل والديانة المسيحية

المسيحية لم تفرق نهائيًا بين الرجل والمرأة فيما يختص بما فرض فيها من عبادة وأيضا من جزاء الأعمال ، فكلاهما خلق الله .

ويقول بولس عن ذلك :

« ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعًا واحد فى المسيح يسوع » [غلاطية ٣: ٢٨] فالرجل والمرأة لهما نفس القيمة الروحية . . إنهما متشابهان فى كل شىء، فلهما المياه واحدة ، والطعام واحد ، والتنفس واحد ، والحواس واحدة . . . إلخ فكيف لا تكون لهما أيضًا نفس قيمة روحية واحدة » .

ولهما نفس المزايا من ثواب وعقاب فى الآخرة ، ولكن لا زواج ولا علاقات جنسية فسيسموا الناس كالملائكة . « (٣٤) أبناء هذا الدهر يُزوِجون ويُزَوَجَون (٣٥) ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات ، فلا يزوجون ولا يزوجون (٣٦) بل يكونون كالملائكة وهم أبناء الله إذ هُم أبناء القيامة » [لوقا ٢٠ : ٣٤ ـ ٣٦] .

ومع ذلك فهناك فروق جوهرية فى أداء العبادة والدعوة إلى الله وآداب حضور الكنائس :

أ ـ فروق آداء العبادة :

فالصلاة مفروضة عليهما معًا والتكريم للرجل فى هيئة الأداء .

« فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة دون غضب ولا جدال ، وكذلك النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب » [اتيموثاوس ٢ : ٨] .

ومع ذلك فقد أعطى الرجال ميزة تكريم وهى.

« (٧) فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده . . . »

وعن المرأة يقول بولس .

« (١) وأما كل من تصلى أوتتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها» [ا كورنثوس ١١ : ٧ ، ٥] .

والفقرات توضح أن كشف رأس الرجل لأنه أفضل من المرأة حيث إنه صورة الله ومجده ، وتغطية رأس المرأة ليس بهدف الحشمة ولكن لأنها أقل من الرجل .

ب ـ الفروق فى الدعوة إلى الله :

إن العبادة ليست صلاة وصيام وغيرها ،ولكن من أهمها والسبيل الأعظم لاستمرار الدعوة الدينية بعد انتهاء عصر الرسالات والأنبياء هو الدعوة إلى الله ، والمرأة فى المسيحية ممنوعة نهائيًا من هذه العبادة القويمة ولذلك فيحرم عليها :

*** تعليم الرجال :**

يقول بولس « (١٢) لست أسمح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل ، بل عليها أن تلزم السكوت (١٣) ذلك لأن آدم كون أولاً ، ثم حواء (١٤) ولم يكن آدم هو الذى انخدع « بمكر الشيطان » ، بل المرأة انخدعت فوقعت فى المعصية » [ا تيموثاوس ٢ : ١٤] .

فهنا أوضح بولس سبب عدم السماح للمرأة فى أن تكون مُعلمة ،وهو أنها حاولت تعليم آدم فضلت وأضلته .

ويجوز لها أن تعلم النساء فى البيوت وفقًا لتعاليم الرسل الدسقولية (٢) .

«يجب أن تكون المرأة الداعية « مؤمنة طاهرة لأجل خدمة النساء ، لأنك لا تقدر أن ترسل . شماسات إلى المنازل للنساء ، بسبب غير المؤمنين . وبسبب فكر الناس الأشرار » .

*** العمل كرجال دين « قسوس »:**

يقول القديس إبيفانيوس أسقف قبرص [٣١٥ ـ ٤٠٣] ميلادية لم يحدث قط أن أختيرت امرأة لتكون « صاحبة درجة » بين القسوس والأساقفة » ولكن قد يقول واحد إنه كانت توجد أربع عزارى ، بنات فيلبس المبشر كن يتنبأن ، هذا

---

(١) الأب متى المسكين: المرأة حقوقها وواجباتها ص ٥٥ ، دير الأنبا مقار برية شيهيت .

(٢) يطلق عليه إسلاميا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

صحيح ولكن لم يقمن بممارسة الكهنوت ، وأنه حقا توجد فى الكنيسة درجة الشماسات ، ولكن غير مسموح لهن أن يعملن كقسوس ، أو يقمن بأى عمل له علاقة بهذه الوظيفة (١).

كما يحرم عليها السؤال الدينى فى الكنيسة :

يقول بولس عن ذلك « (٣٥) ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن يتكلمن فى كنيسة » [١ كورنثوس ١٤ : ٣٥] .

جـ ـ آداب حضور الكنيسة :

ممنوع الكلام للمرأة فى الكنيسة : « (٣٤) ليصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذونا أن يتكلمن ، بل يخضعن كما يقول الناموس (٢) » [اكورنثوس ١٤ : ٣٤] .

وبالطبع طالما هناك صمت كامل فلا مجال للتعليم أو التعلم . « ... ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن أزواجهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن يتكلمن فى كنيسة » والمسيحية ترى أن صوت المرأة عورة ولا ينبغى لها الكلام وسط جماعة حتى لمن تنبأن (٣) من نساء يقول « أوريجانوس » (٤).

« إن بنات فيلبس كن يتنبأن [أ . ع ٢١ : ٩] ، غير أنهن لم يكن يتكلمن وسط الجماعة ... وإن دبورة كانت نبية [القضاة ٤:٤] وكذلك مريم أخت هارون كانت تقود تسبيح النساء ، ماسكة الدف فى يديها [خروج ١٥ : ٢٠ ـ ٢١ ، ولكننا لا نرى دبورة (٥) تكلم الشعب كما فعل أشعياء وأرمياء » .

وعلى ذلك بالرغم من تساوى الرجل والمرأة فى العبادة وجزاء الأعمال إلا أن المرأة أقل منه درجة فغير مسموح لها تعليم الرجل أو التعلم داخل الكنيسة أو العمل كقسيسة .

---

(١) المرأة حقوقها وواجباتها ص ٧٢ ، ٧٣ ويقصد بالشماسة « المرأة القسيسة » ولكن درجتها الكنسية أقل بكثير من القسيس .

(٢) الناموس شريعة موسى .

(٣) التنبؤ : بمعنى أن الله يوحى لرجل أو امرأة بنبوءات عن المستقبل وليس شريعة أو دين كالمفهوم الإسلامى.

(٤) عالم مسيحى كبير المرجع السابق ص ٦٢ .

(٥) دبورة : كانت تحكم وتفصل فى المنازعات تحت شجرة أى أنها كانت تكلم الشعب .

المبحث الثالث

العبادة وجزاء الأعمال فى القرآن والديانة الإسلامية

نقصد بالعبادة ما فرضه الله على المؤمنين به من أوامر يجب أداؤها والقيام بها وتنفيذها ، كالصلاة والصيام والحج ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتمسك بفضائل العادات ، والإلتزامات بكريم الأخلاق ، ومن نواهٍ يجب أجتنابها ونبذها وعدم فعلها ، مهما كلف ذلك من نفس ونفيس ، وكاجتناب الزنا وما يلحق به ومقدماته ، والبعد عن الربا وشروره وموبقاته ،والنهى عن السرقة ؛ النظرة الحرام ؛ قطيعة الرحم شهادة الزور . . . إلخ .

والمقصود بجزاء الأعمال، ما أعطاه الله من فضل وثواب ورحمة ومغفرة للمطيع ، ومن عذاب وعقاب للعاصى فى الدنيا والآخرة وكلما زادت رقعة المساواة بين الرجل والمرأة من الناحية الدينية كلما كان ذلك دليلاً على سمو الديانة ورفعة شأنها .

وسنوضح فيما يلى بعض ما جاء بالشريعة الإسلامية من مبادئ تبين حقيقة المساواة بين الرجل والمرأة ومدى ذلك :

المبدأ الأول :المساواة فى الإنسانية :

ونعنى بذلك عدم الانتقاص من قيمة المرأة لكونها أنثى أو الارتفاع بقيمة الرجل عن المرأة لكونها أنثى أو الارتفاع بقيمة الرجل عن المرأة لكونه ذكرًا .

والحقيقة الثابتة التى لا خلاف عليها ، وهى أن الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة مساواة كاملة حيث يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [النساء : ١] .

فالخلق من نفس واحدة ، وإعمار الأرض بنسل جديد مرجعه رجل وامرأة آدم وحواء ، ويقول جل ذكره : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] وربما تظهر أسمى آيات الإنسانية الكاملة الراشدة فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم] وفى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات] فالنداء لكل البشر وسبب التفصيل بينهم هو التقوى لا الذكورة أو الأنوثة .

هذا ولم يغفل الإسلام تكريم المرأة وحقها الإنسانى فى التبجيل والاحترام كأم، وزوجة ،وبنت ، ورحم.

* «(١) فهى كأم موضع التكريم والتبجيل ، والقرآن الكريم ما فتئ يذكر الإنسانية بجميل الأم الذى أسدته لها ،وبمتاعبها التى تحملتها من أجلها ، يقول تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان : ١٤] كما يقول الله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ ﴾ [الاحقاف : ١٥] ، وهى بذلك نالت التكريم الذى تسبق الأب فيه ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ،من أحق الناس بحسن صحباتى ؟ قال : «أمك» . قال: ثم من ؟قال : «أمك» . قال: ثم من قال ؟ «أمك »، قال: ثم أى قال : « ثم أبوك » (٢) .

بل الأمر أبعد من ذلك وأكرم،فقد جعل الإسلام الجنة تحت أقدام الأمهات ، وحين جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك . فقال : «هل لك من أم» ؟ قال :نعم.قال : « فالزمها فإن الجنة عند رجليها ».

* وهى كزوجة ،توصف فى كتاب الله بأنها سكن للرجل ومثابة ، وأن علاقتها به هى علاقة مودة ورحمة ، وما أعمق هاتين الكلمتين إذا تؤمل فيهما ، يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ [الروم] ويصفها الرسول الكريم بأنها أهل للخيرية ، فيقول : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » (٣).

* وهى كابنة وذات رحم ، نالت المنزلة الرفيعة ـ كذلك ـ من عناية الإسلام بها ، فهذا رسول الله ﷺ يقول : « من ابتلى من هذه البنات بشىء كن له سترًا

---

(١) عبد الرب نواب الدين : عمل المرأة وموقف الإسلام منه ص ٢٣ ، ٢٤ ، دار الزهراء بالرياض .

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة .

(٣) رواه النسائى عن معاوية السلمى ٦ / ١١ .

من النار » (١) فجعل الإحسان إلى البنات من أسباب النجاة يوم القيامة .

ثم لم يزل الإسلام يوصى بالنساء خيرا » ويوجب الصلة ، ويحرم القطيعة ، يروى ﷺ عنربه سبحانه أنه قال للرحم : « من وصلك وصلته ، ومن قطعك قطعته » ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى أخريات أيامه بالدنيا : «استوصوا بالنساء خيراً » (٢).

إن سمو الإسلام لتكريم المرأة أوصلها إلى ذروة الاحترام الإنسانى والتقدير .

المبدأ الثانى :المساواة فى التكليف :

المرأة كالرجل تماما فى التكليف إلا ما استثنى،لقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران ١٥٩] .وقوله ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال » (٣) ، فهى مطالبة بعبادة الله وإقامة دينه ،وأداء فرائضه،واجتناب محارمه ، والوقوف عند حدوده، والدعوة إليه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وكل خطابات الشارع تشملها ،إلا ما دل دليل معين على أنه خاص بالرجال ، فإذا قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فالمرأة داخلة فيه بلا نزاع .

ولهذا لما سمعت أم سلمة ﵂ النبى ﷺ يقول : « أيها الناس » وكانت مشغولة ببعض أمرها،هرعت لتلبية النداء ، حتى استغرب بعضهم سرعة إجابتها ، فقالت لهم : أنا من الناس (٤) .

ويقول سبحانه مقرراً هذه المساواة فى صور شتى من ألوان العبادة ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ [الأحزاب] كما قال : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ

(١) رواه البخارى عن عائشة ٢ /١٣٦ ، ومسلم ٤ /٢٠٢٧ .
(٢) رواه البخارى عن عائشة ٨ / ٦ ، ومسلم عنها ٤ / ١٩٨١ .
(٣) رواه الترمذى وأحمد وأبو داود .
(٤) رواه أبوداود والترمذى وأحمد .

وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة] .

ويقول جل شأنه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]

وعن المساواة فى الآداب والأخلاق يقول تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور] فإذا جميع التكاليف شرعية من عبادة وطاعة وغيرها يتساوى فيها الرجل والمرأة وإن كان هناك استثناءً خاصا للتخفيف فى بعض العبادات فهو من رحمة الله للمرأة ، مثل تحريم الصوم وهى نفساء أو أثناء الدورة شهرية ، وأيضا عدم الصلاة فى هذه الحالات. ولها أن تستوفى أيام إفطارها فى رمضان من أيام أخر ، ولكن الصلاة لا تقضيها بعد زوال الحيض أو النفاس ، ولا ينقص ذلك من أجرها من شيء .

المبدأ الثالث : المساواة فى الثواب أو العقاب :

إن الله لا يظلم مثقال ذرة ،ويتساوى فى عدله الذكر والأنثى ، فلا خالق لهم سواه ، فالذكورة والأنوثة ليست سببا فى الفوز بثواب الله ،أو الخسران ونيل عقاب الله .

أ ـ ففى مجال الفوز بثواب الله :

يقول تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) ﴾ [النساء] . كما قال جل شأنه ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [التوبة] ويؤكد الحق تبارك وتعالى المساواة التامة فى العبادة والأجر فيقول جل شأنه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ

وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) ﴾ [الأحزاب] .

وفى استجابة الدعاء للتوفيق فى العبادة ونيل رحمة الله ومغفرته ثم جنته يقول تعالى عن أولى الألباب من ذكور وإناث : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) ﴾

[آل عمران]

ثم تكون الجائزة الكبرى للمؤمنين والمؤمنات بلا تفرقة فى الجنس أو اللون أو شكل أو الذكورة أو الأنوثة يوم القيامة والتى يصورها خير تصوير مفيد القرآن الكريم فيقول : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) ﴾

[الحديد]

ب ـ وفى مجال المساواة فى الجزاء والعقاب فى الدنيا :

يتساوى الذكر والأنثى بلا تفرقة ففى حد السرقة يتساووا فى العقاب ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) ﴾ [المائدة] .

وفى الزنا : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾

[النور]

ويلاحظ أن الله فى هذه الجرائم قدم الرجل أولاً فقال : السارق . . . لزانى . . . كأنه تبارك وتعالى يستنكر أن تأتى النساء بهذه الذنوب.

وحد شرب الخمر يتساوى فيه الرجل والمرأة وجزاؤه الجلد .

وحد الردة : يتساوى فيه الرجل والمرأة وجزاؤه القتل ، إذا لم يستتب المرتد توب .

وأيضًا فى القصاص يتساوى الرجل والمرأة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ قِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ لْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ يمٌ (١٧٨) ﴾ [البقرة] .

أما بالنسبة للدية وهى عن القتل الخطأ فدية المرأة نصف دية الرجل ، وليس لك لانتقاص بشأن المرأة ، ولكن الدية أصلا تعويض ، لا عن خسارة نفس حسب ، بل على خسارة نفس وتعويض ما يترتب على هذه الخسارة من مضار خرى ، ولا شك أن المضار الناشئة عن فقد رجل هو المكلف بالسعى والعمل كسب العيش والإنفاق على زوجه أكبر من المضار الناشئة عن فقد المرأة ، وهذا لأمر تراعيه القوانين الوضعية الحالية والسابقة:

أ - أما عن المساواة فى العقاب فى الآخر فيقول : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٣) ﴾ [الأحزاب] كما يقول تعالى عمن يدعون المؤمنين والمؤمنات إلى الفتنة غض النظر عن جنسهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾ [البروج] .

ويقول عن حال الناس جميعًا يوم القيامة الذين عصوا :

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى (٣٦) ﴾ [النازعات] .

كما يقول جل وعلا : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) ﴾ [النبأ] .

والآيات أشارت إلى الإنسان بغض النظر عن ذكورة أو أنوثة ، ووصفت الضالين المكذبين « بالطاغين » بلا تفرقة بين الذكر والأنثى منهم .

وعلى ذلك يتساوى الرجال والنساء فى كل ما يخص العبادة وجزاء الأعمال من ثواب أو عقاب، ومعيار التفرقة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات] .

المبحث الرابع

مساواة المرأة بالرجل فى العبادة وجزاء الأعمال فى الإسلام وتفوقه فى ذلك على الأديان الأخرى

بدراسة ما سبق عرضه فى هذا الفصل يتبين لنا ما يلى :

كل الأديان السماوية الثلاث تساوى بين الرجل والمرأة فى فرض العبادة وفى جزاء الأعمال من ثواب أو عقاب وأن انفراد المرأة ببعض الأمور نظراً لطبيعتها «أيام الحيض والنفاس ومما يختص بها » فهذا لا يعنى القصور فى العبادة . ومع ذلك هناك أمور مرتبة بالعبادة ، أساءت إلى المرأة فى اليهودية والمسيحية وهى ليست فى الإسلام منها :

١ ـ فى صلاة الجماعة فى اليهودية لا تصح الصلاة بالنساء فقط أو بإكمال نصاب الجماعة وهو عشرة رجال ، من النساء . وهذا لا نظير له فى الإسلام.

٢ ـ ضرورة إذن المرأة من وليها حتى تنذر نذراً لله ، وذلك ليس فى الإسلام، كما أن قيمة نذر البنت نصف نذر الرجل .

٣ ـ نجاسة المرأة إذا ولدت ولداً « النفاس » لمدة ٤٠ يوما ، وإذا ولدت بنتا ٨٠ يومًا ، وليس ذلك فى الإسلام .

٤ ـ ليس للمرأة دراسة التوراة ، أما فى الإسلام فللمرأة دراسة القرآن الكريم وحفظه وتجويده وتفسيره .

٥ ـ ليس للمرأة فى المسيحية أن تعلم الرجل ، أما فى الإسلام فيجوز ذلك وكم من أئمة تعلموا على يد نساء ،ونسبة كبيرة من الأحاديث النبوية روتها نساء .

٦ـ ليس للمرأة فى المسيحية الكلام فى الكنيسة حتى للسؤال الدينى ، أما فى الإسلام ، فللمرأة أن تسأل فى المسجد وغيره ، وهناك امرأة صححت فتوى للفاروق عمر ، وهى بشأن مهر المرأة ، وردته فى المسجد .

٧ ـ ليس للمرأة فى المسيحية الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أما الإسلام فلا يمنع ذلك بل ويشجع عليه .

وعلى ذلك نستطيع القول: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى أعلى شأن المرأة دينيا ولم ينقص من قدرها شيئا.

الخاتمة

كما سبق الإيضاح فإن ما يؤمن به أصحاب الدين مما جاء فى كتبهم المقدسة و المرآة الصادقة الواضحة لأفكار أهل هذا الدين ، فالأوامر والنواهى والحلال الحرام والأفكار العقائدية ـ الصحيح منها والسقيم ـ والثقافات الدينية كلها منبعها لأصلى هو الكتاب الدينى الذى يؤمن به متبعوه أنه الحق المنزل من الله ـ بغض نظر عن حقيقة ذلك .

وعليه فإن احترام المرأة أو امتهانها فمرجعه حتمًا للكتب الدينية والتى يفترض وهيتها وصدقها .

وبالنظر إلى ما عرضناه من نساء التوراة يتضح ما يلى :

* شملت الدراسة ٣٤ امرأة .

* المخلصات والحكيمات بغض النظر عن دينهن أو درجه إيمانهن ١١ .

* المخطئات والزانيات والماكرات الخادعات وقاسيات القلوب الحاقدات ٢٣ مرأة .

* ومن الخاطئات وعلى رأسهن حواء أم البشر ، أول خاطئة وصاحبه أول خطيئة أوردت زوجها والبشرية بأكملها مورد الهلاك فأخرجته من الجنة .

* ومن الخاطئات من ارتكبن الفاحشة مع أبيها وهما ابنتا لوط ، وكذلك من سلقت وأكلت ابنها واتفقت على أكل ابن صديقتها التى أكلت معها ابنها .

* ومنهن من تـآمرت بشهادة زور لاغتصاب أرض أحد الرعية فتسببت ظلما ى قتله رجمًا بالحجارة ثم حصلت مجانا هى وزوجها الملك على أرض هذا القتيل لمسكين .

وعلى ذلك لم يعرض أى كتاب مقدس مخازى المرأة وعيوبها مثلما عرضت لتوراة ، ولذلك استحيى علماء التوراة من تدريسها للنساء وقالوا :

« [1] من يعلم ابنته التوراة ، فإنه يعلمها الفسق والدعارة » ، وكذلك كانت

(١) الموسوعة اليهودية : فصل النظر إلى المرأة .

نظرة اليهود إلى المرأة ، إنها الغاوية الشريرة التى تبحث عن غواية الشباب البرىء كما وصفت بأنها « [1] إبريق ملئ بالقاذورات وفمها ملئ بالدم ،ومع ذلك يجرى وراءها الجميع » .

وعلى هذا كان من أدعية كتاب الصلوات الرسمى « [2] بوركت يا إلهى يا من لم تخلقنى امرأة » .

نظرة الإنجيل إلى المرأة :

من واقع ما قدمناه من دراسة يتضح ما يلى :

* عدد النساء اللائى أهانهن الإنجيل من خاطئات وزانيات ٦ نساء ، باعتبار أن مثل العذارى العشر وحده واحدة ، والأرملة وقاض الظلم مثل لا ذنب للمرأة فيه ولكن سوء المثل هو العبرة .

* أما من ذكرهن الإنجيل كفاضلات ومساعدات لرسل وحاضرات صلب ودفن وإقامة المسيح وأصحاب المعجزات اللائى أجريت لهن أو لذويهن معجزات شفاء فهن كثير ، كذلك هناك أكثر من امرأة ساعدت بولس الرسول ، فمن حيث العدد كان الإنجيل أكثر إشراقًا واحترامًا وتبجيلاً للمرأة وقد تضمنت تعاليمه على أن خطيئة حواء قد محيت ببعثة المسيح .

ولكن الطامه الكبرى هى ما احتواه الإنجيل من إهانات لا يمكن لعقل قويم أو فكر سليم أو ذوق رفيع أن يتقبلها ، لأنها تخص السيدة العذراء مريم ، حيث صورها الإنجيل كزوجة ليوسف النجار وأن لها أبناء إخوة للمسيح ، وهذه حقيقة إنجيلية واضحة ، ولذلك آمن بها البروتستانت واعتنقوها ، أما غيرهم فلم يستطيعوا الدفاع عن خطأ هذه النظرية من الكتاب المقدس ، والأغرب والأعجب أن البعض تغالى فى احترامها وتقديرها وتقديسها حتى جعلوها إلهًا يعبد .

فهل بعد ذلك توجد إهانات للمرأة والبشرية كلها ؟!

نظرة القرآن الكريم للمرأة :

لم يسئ القرآن لكريم الشرف أو كرامة أية امرأة ، ولكن ذكر نسوه واتهمهن بالضلال ومقاومة دعوة الأنبياء ، ولكن لم يمس شرفهن ، وهن امرأة نوح وامرأة

(١ ، ٢) الموسوعة اليهودية : فصل النظر إلى المرأة .

لوط » وامرأة أبى لهب عم الرسول ﷺ أما فيما عدا ذلك فكان التوقير التشريف للمرأة .

وفى النهاية نقول :

مخازى التوراة عن المرأة لا حصر لها وكأنها « المرأة » أعدى أعداء التوراة.

أما مخازى الإنجيل عن المرأة فهى أقل وطأة ، ولكن للأسف جمعت المخازى كلها ـ نعوذ بالله من ذلك ـ فى السيدة مريم التى أهانها ابنها ولم يقل لها مرة واحدة يا أمى ، والتى أهانها كتبة الإنجيل فجعلوها إلها يعبد ، وآخرون جعلوها زوجة وأمًا لأبناء إخوة للرب الإله يسوع .

أما القرآن الكريم » فهو بحق من شرف المرأة وأعلى قدرها وصان كرامتها وجعلها شريكة كاملة للرجل فى أول خطايا البشرية .

قد يظن البعض أن المرأة هى نصف المجتمع كما يقال ، ولكن الحقيقة المؤكدة أن المرأة هى غالبية المجتمع ، فهى غالبًا أكثره عددًا ، وأعظم تأثيرًا على سلوك الأفراد والجماعات بل والأمم والحضارات ، فقوتها فى ضعفها ، وهى إن كانت أقل من الرجل قوة وبأسًا ، إلا أنها تفوقه دهاءً ومكرا وتنظيم الأديان والعقائد لعلاقة الرجل بالمرأة ، لهو الدليل الساطع على سموالدين واكتمال شرائعة وصدق منهجه .

ومن الخصائص التى انفرد بها الإسلام عن سائر الأديان الأخرى فى مجال المرأة .

١ـ لم يسئ للمرأة الأولى وأصل البشر « حواء » ويدعى أنها سبب الخطيئة الزولى فى الجنة » وبالتالى سبب شقاء الإنسان فى الأرض ، ومن ثم فهى أصل كل ذلة ومنبع كل خطيئة » وفمها سلة مملوءة بالدم والقاذورات كما ادعت اليهودية ، فهى فى الإسلام الشق المكمل للرجل « بعضكم من بعض ، وكما قال الرسول ﷺ « النساء شقائق الرجال» ، وعلى ذلك نظر الرجل» للمرأة نظرة تقديس واحترام لها كزوجة وأم وابنه وأخت .

٢ ـ لم تتأثر الديانة الإسلامية بالثقافات والحضارات السابقة عليها أو المعاصرة لها ، والتى كان تحقير المرأة والحط من قدرها هو السمة المميزة لها ، وذلك لأن الشريعة الإسلامية منزلة بوحى خالص من السماء ، وليست كالتوراة ـ الحالية ـ

تاريخ لأساطير شعبية ، أو كالإنجيل الحالى تأريخ لأفكار دينية مقتبسة من الثقافات والحضارات السابقة والمعاصره له ، أو محاولة إدعاء الروحانيات العالية التى ليست إلا للملائكة وكأن الإنسان لم يخلق ليكون إنسانًا !

٣ ـ تميز التشريع الإسلامى بالواقعية وتلبية متطلبات الإنسان « لتحقيق رغباته وملذاته وسعادته ـ فى غير معصية ـ فاعتبر كمال الإنسانية بالزواج وإعمار الأرض بالإنجاب ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وجعل الزواج سببًا فى السكن والمودة والرحمة ، أما المسيحية فاعتبرت الزواج خطأ يقترب من الخطيئة ، ونظرت للمترملة أو المطلقة التى تتزوج ثانية ، نظرة تقرب من نظرتها للزانية ، فاعتبرت ذلك يقدح فى كمالها وإيمانها » بل أوجبت عقوبات كنسية على ذلك .

٢ ـ تميز التشريع الإسلامى بالعدالة المطلقة فى تنظيم العلاقة الزوجية واستمرارها أو إنهائها ، لا ينبغى أن يؤدى إلى ضياع حقوق المرأة ، ولذلك تكرر كثيرا لفظ﴿تلك حدود الله﴾ ، ولفظ ﴿ولا تعضلوهن﴾ ولفظ ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ ولفظ ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ، حتى لا يؤدى الطلاق إلى أضرار خطيرة ، قد شرع أصلا ـ زعم كراهيته ـ للقضاء عليها .

٥ ـ تحقيق سعادة المرأة وتوفير حياة هنيئة مستقرة لها فى جميع مراحل حياتها، وهى رضيعة « وصبية ، وزوجه ، وأم ، وأرمل ومطلقة، بحيث تجد دائما من يتكفل بالإنفاق عليها ورعايتها واحترامها .

ونلاحظ إن الإسلام كعقيدة وشريعة ومنهج ، تفوق على الأديان الأخرى فى كافة الأحكام التى تخص المرأة وتحفظ حياتها وكرامتها وشرفها وتعلى من قدرها وذلك فى كافة مجالات الحياة المختلفة .

ففى مجال القوامة :

القوامة فى الإسلام تعنى حق الرجل فى رعاية الأسرة ، كربان لسفينتها ، بلا استبداد أوقهر أو إكراه ولكن بعد التشاور ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ [البقرة:٢٣٣] ، وتحت ظل المبدأ الإنسانى القويم ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم : ٢١] .

وأما القوامة فى المسيحية فهى فرض المذلة والهوان والخزى على المرأة ، حتى إنه لا ينبغى لها ترأس الرجل أو حتى تعلمه « بل لست آذن للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت لأن آدم جُبل أولاً ، لم يغو ولكن المرأة غويت » [١ تيموثاوس ٢ :٩] .

المسيحية تؤمن بأن المساواة فى الكرامة تجلب الصراع « أيها الزوجات اخضعن لأزواجكن] « أفسس ٥ : ٢٢] .

وفى اليهودية القوامة تعنى حق التسخير والقهر والإكراه « التسلط » .

حتى كان للأب أن يبيع ابنته ، وكان للزوج لواط زوجته بلا رضاها ، والمرأة لا تحتفظ باسم عائلتها بعد الزواج ، وليس لها ذمة مالية مستقلة .

وفى مجال عمل المرأة :

اتفقت الأديان الثلاثة على أن أشرف عمل للمرأة والتى خلقت له ومن أجله هو الزوجة الصالحة والأم الرؤوم والمربية الفاضلة ، وذلك داخل بيتها أما خارج المنزل فعمل المرأة لا يكون إلا لضرورة ، وفيما يناسبها من أعمال تتفق مع طبيعتها وأنوثتها ، والإسلام أباح للمرأة ترأس المرأة للرجل إن كانت تستحق ، وأن تُعَلم الرجل،وأجاز لها الدعوة للدين « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، ولم يحرم عليها إلا القضاء ـ بخلاف بين الفقهاء والإمامة العظمى « رياسة الدولة».

أما المسيحية فلا ترى رئاسة المرأة للرجل مهما كانت الظروف ، وليس لها أن تُعَلمه ، بل لا ترفع صوتها فى حضرة الرجال ، ويحرم عليها الدعوة للدين إلا لمثلها من النساء ، ويحرم عليها المناصب الكنسية التى يشغلها الرجل .

وفى اليهودية كانت الأفكار أكثر تطور عن المسيحية فقد عملت المرأة فى كافة المجالات حتى إنها عملت كقاضية « دبورة » وكنبية كمريم أخت موسى وهارون وكحاكمة كـ« عثليا » .

وفى مجال الإرث :

أكرم الإسلام المرأة فلم يجعل حصتها فى الميراث كبنت نصف أخيها أونصف الرجل بصفة عامة إلا فى حالات محددة ومحدودة ، أما باقى الحالات فهى تأخذ أكثرمن الرجل ، كما أن الزوجة ترث الزوج،والأم ترث الأولاد ، وأيضًا الجدة .

أما فى المسيحية فلا يوجد نظام للميراث ولذلك أباحت القوانين الغربية ترك كافة الأقرباء من أصول وفروع وغيرهم ذكر وأنثى، وتوريث الكلاب والقطط . . !

وفى اليهودية ظلمت المرأة فى الميراث فالبنت لا ترث إذا كان لها أخ ذكر إلا لو كانت صغيرة ولم تبلغ سن الرشد فلها $\frac{١}{١٠}$ التركة ،وإن كانت منفرده بلا أخ ، لا بد لها أن تتزوج من عائلة أبيها وإلا سقط حقها فى الإرث ، وفى ذلك حجر على حق اختيار الزوج وتقييد له والزوجة لا ترث زوجها . كما أن الابن البكرى يرث ضعف نصيب أى أخ له .

ومع كل هذه العيوب فى المسيحية واليهودية ، فالإسلام هو المتهم الوحيد بظلم المرأة !!

وفى مجال الختان :

الأديان الثلاث اتفقت على ختان الرجل ، والإسلام يراه سُنه ، والمسيحية جعلته سُنة بعد أن كان عهداً أبديا فى اليهودية ، أما اليهودية فالختان فيها من شروط الإيمان وهو عهد خاص يميز اليهود عن باقى الأمم ، ميثاق بين الله وشعبه المختار .

والإسلام هو الدين الوحيد الذى سَنَّ ختان البنات ، وذلك بهدف حماية المرأة من طغيان الرغبة الجنسية ، مما قد يؤدى لعدم التحكم فى الشهوة ، نتيجة لسهولة وسرعة الإثارة مما يسهل طريق الوقوع فى الخطيئة وهدف الختان لخصه الرسول ﷺ « أسرى للوجه ، وأحظى للزوج » ، فالهدف لم يكن لقتل رغبة أو شهوة والتفريط فى إحساس لذة ، ولكن ضبط وتقويم كل ذلك .

وفى مجال الحجاب :

اتفقت الأديان السماوية الثلاث على ضرورة حجاب المرأة داخل منزلها وحجابها وعدم إبداء الزينة خارجه ، حماية لعرض المرأة وصونا لكرامتها وحتى لا تكون مصدر غواية ، إلا أن الإسلام جعل له شروطًا خاصة فى الزى .

ولكن المسيحية رأت فى عدم تزين المرأة عقوبة ، لأنها تستحق الخزى والعار لما فعلته أمها الأولى « حواء» من خطيئة أدت لشقاء البشرية واليهودية : لم يتبع أكثر نسائها اؤامر وامر الرب فى حفظ الحياء والمروءة وللأسف تضمنت التوراة من المخازى والفضائح ، ما جعل تدريسها للنساء حرامًا أو مكروهًا .

وفى مجال الأحوال الشخصية :

أ ـ الطلاق : وقد أباحته أصلاً الأديان الثلاثة ولكن اليهودية والمسيحية حرمته بقوانين وضعية ، وبعض البلاد الإسلامية قد احتذت حذوها .

والطلاق فى الإسلام هو مكروه استعماله إلا فى حالة التأكد من فشل العلاقة الزوجية ، والتيقن من استحالة عدم استمرارها ، وقد حدده الإسلام بثلاث مرات حتى لا تصبح المرأة مضغة فى فم زوجها ، وحيث إنه من حق الزوج ، فقد أعطى الإسلام المرأة حق الخلع ـ أى طلب الطلاق من الزوج ولكن بتضحية ماليه، وإلغاء حق الطلاق فى اليهودية والمسيحية أدى إلى آثار اجتماعية ودينية سيئة ، حتى أصبح من المتعارف عليه اليوم ، انفصال الزوجان وقيام حياة «جنسية» جديدة لكليهما « بلاطلاق للزواج السابق أو إقامة زوج جديد فعمت الفاحشة ، وزادت الأمراض الجنسية ، حتى أصبح الأطفال يولدون ولا يعرف لهم أب « لكثرة العلاقات الجنسية فى آن واحد ، واعترف المجتمع بذلك ولم يعد يرى ذلك رذيلة ، ومما ساعد على ذلك انفراد المسيحية بكراهية الزواج الثانى للأرملة أو المطلقة، مما ضخم عدد المطلقات الذين زاول أكثرهن حياتهن الخاصة بعيدا عن قيد الزواج . وكذلك ساعد على ذلك إلغاء تعدد الزوجات فى اليهودية والمسيحية . فعدد الرجال ما شاؤوا من النساء بعيداً عن الشرع والنساء أيضا عددن العشاق فى ظل نظام الصداقة الجديد « العشق » ، فعادت النساء لنظام الجوارى كالقديم ، ولكن الجوارى العام المشاع للجميع .

أما فيما يخص العبادة وجزاء الأعمال :

فقد ساوت الأديان السماوية فى فرض التكليف على الذكر والأنثى ، وأيضا فى جزاء الأعمال ومع ذلك فقد تسلل الفكر اليهودى عدة مساوئ ورثتها عن خطيئة المرأة الواردة فى سفر التكوين ومن ذلك : أن صلاة الجماعة لا يكتمل عددها بنساء مهما بلغ عددهن ، وأن نجاسة ولادة البنت ضعف ولادة الذكر وكأن الأنثى لعنة أو نقمة ، كما أن المرأة حتى يصح نذرها لا بد من موافقة وليها على ذلك ، والأكثر من ذلك حُرم عليها دراسة التوراة وحيث إن الفكر المسيحى هو امتداد للتوراة واليهودية ، فكما سبق الإشارة حُرمت المرأة من تعلمُ الدين حتى فى الكنيسة لا ينبغى لها أن تسأل عن شيء ، وإن كان لديها علوم دينية أو غيرها ، فيحرم عليها تعليمها للرجل ، كما أنها فى مجال العمل الدينى الكنسى أى فى

الكنيسة هى مساعدة فقط وتحت سيطرة الرجال .

أما الإسلام فهو الدين السماوى الوحيد الذى أكرم المرأة فى كل أحكامه إيمانًا بقوله تعالى : ﴿ بعضكم من بعض﴾ .

فهنيًا للمرأة المسلمة بدينها الإسلامى ، وهنيئًا للعالم بأسره لو اتبع الإسلام كدين وشريعته كمنهج إلهى قويم أنزله لينير الدنيا ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) ﴾ [الأحزاب] .

صدق الله العظيم .

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الآباء والمرأة : إليزابيث . أ . كلارك . دار الثقافة .

٣ ـ الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة : للمؤلف ، دار الوفاء بالمنصورة ، مصر .

٤ ـ أضواء على قانون الميراث : المستشار عزت حسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م .

٥ ـ تفسير العهد الجديد : وليم باركلى ، ترجمة الدكتور عزت زكى ، دار الثقافة بمصر .

٦ ـ تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، دار الحديث بالقاهرة .

٧ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير : ابن عساكر ، دار المسيرة ، لبنان ١٩٧٩م ، الطبعة الثانية .

٨ ـ حقوق المرأة وواجباتها : الأب متى المسكين ، دير الأنبامقار .

٩ ـ الختان في المسيحية : الأنبا غريغوريوس ، دار النشر للثقافة القبطية .

١٠ ـ الدر المنثور : الإمام السيوطى ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

١١ ـ رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا : الدكتور عبد الرحمن عميرة ، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٢ .

١٢ ـ رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا : الدكتور عبد الرحمن عميرة ، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٢ .

١٣ ـ سنن ابن ماجه : الإمام ابن ماجه ، المكتبة العلمية ، لبنان .

١٤ ـ سنن أبي داود : الإمام أبو داود السجستانى ، دار الكتب العلمية ، لبنان.

١٥ ـ سنن الترمذى : الإمام الترمذى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٩٨٧م، الطبعة الأولى .

١٦ ـ سنن الدارمى : الإمام الدارمى ، دار الريان للتراث بالقاهرة ، ودار الكتاب العربى لبنان .

١٧ ـ سنن النسائى : الإمام النسائى ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، سوريا ، ١٩٨٨ الطبعة الثالثة .

١٨ - سنوات مع أسئلة الناس : البابا شنودة الثالث ، الملكية الاكليريكية بالقاهرة.
١٩ - شبهات و إجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام : الدكتور محمد عمارة ، وزارة الأوقاف بمصر .
٢٠ - شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية : البابا شنودة الثالث ، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية .
٢١ - صحيح البخارى : الإمام البخارى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٢٢ - صحيح مسلم : الإمام مسلم ، دار الحديث بالقاهرة .
٢٣ - عمل المرأة وموقف الإسلام منه : عبد الرب نواب الدين ، دار الوفاء بالمنصورة ، مصر .
٢٤ - الفكر الدينى الإسرائيلى : حسن ظاظا .
٢٥ - فقه السنة : الشيخ السيد سابق ، دار الفتح الإعلامى العربى بالقاهرة .
٢٦ - قضايا المرأة : الشيخ محمد الغزالى ، مكتبة الأسرة .
٢٧ - قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية ، طبعة مصر ، ١٨٩٤.
٢٨ - مجلة منار الإسلام : جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ .
٢٩ - مجلة الأزهر : جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ .
٣٠ - مجلة الوعى الإسلامى : ذو القعدة سنة ١٤١٩هـ .
٣١ - مركز المرأة فى الشريعة اليهودية : السيد محمد عاشور .
٣٢ - المستدرك : الإمام الحاكم ، لبنان .
٣٣ - مسند الإمام أحمد : الإمام أحمد ، المكتب الإسلامى للطباعة .
٣٤ - مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام : اللواء أحمد عبد الوهاب ، وزارة الأوقاف بمصر .
٣٥ من أجل تحرير حقيقى للمرأة : محمد رشيد العويد ، دار حواء، الكويت.
٣٦ - الموسوعة اليهودية .
٣٧ - النساء الداعيات : الدكتور توفيق يوسف الواعى ، دار الوفاء بالمنصورة، مصر.
٣٨ - نساء الكتاب المقدس : القس إلياس مقار ، دار الثقافة بالقاهرة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة الكتاب	٧
خطة الكتاب	٩
الباب الأول	
نساء ذكرن فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم	
الفصل الأول : نساء ذكرن في التوراة	١٩
المبحث الأول : صاحبة المعصية الأولى للبشرية حواء .	٢٢
المبحث الثانى : نساء عبدن الأوثان .	٢٧
المبحث الثالث : نساء زانيات	٣٠
المبحث الرابع : نساء المكر والخديعة	٣٧
المبحث الخامس : نساء ماتت قلوبهن .	٤٧
المبحث السادس : نساء حاقدات .	٤٨
المبحث السابع : نساء ظلمهن الرجال .	٥٦
المبحث الثامن : نساء مخلصات .	٦١
المبحث التاسع : نساء حكيمات .	٧٠
الفصل الثانى : « نساء ذكرن فى الإنجيل »	٧٥
المبحث الأول : نساء أهانهن الإنجيل	٧٧

المبحث الثاني : نساء خاطئات غفر لهن المسيح ٩٢
المبحث الثالث : نساء أجريت لهن أو لذويهن معجزات ٩٥
المبحث الرابع : نساء صالحات فى حياة المسيح ٩٨
المبحث الخامس : نساء فى حياة بولس الرسول ١٠٢
الفصل الثالث : نساء أنزل الله فيهن أو بسببهن قرآنا ١٠٥
المبحث الأول : النساء الصالحات فى القرآن الكريم ١٠٦
المبحث الثاني : العاصيات فى القرآن الكريم ١٤٠

الباب الثانى

بعض أحكام المرأة فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم

الفصل الأول : القوامة فى الكتب والأديان السماوية ١٤٨
المبحث الأول : القوامة فى التوراة والديانة اليهودية ١٤٨
المبحث الثاني : القوامة فى الإنجيل والديانة المسيحية ١٥٣
المبحث الثالث : القوامة فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ١٥٨
المبحث الرابع : أكاذيب ومطاعن عن قوامة الرجل فى الإسلام ١٦٥
المبحث الخامس : فضائل القوامة فى الإسلام ومخازى القوامة فى اليهودية والمسيحية ١٨٤
الفصل الثانى : عمل المرأة فى الكتب والأديان السماوية ١٨٧
المبحث الأول : عمل المرأة فى التوراة والديانة اليهودية ١٨٧
المبحث الثانى : عمل المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية ١٩٣
المبحث الثالث : عمل المرأة فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ١٩٧
المبحث الرابع : سمو الإسلام فى تشريع عمل المرأة وتفرع مجالاته

مقارنة باليهودية والمسيحية ٢٠٣
الفصل الثالث : إرث المرأة فى الكتب والأديان السماوية ٢٠٥
المبحث الأول : ميراث المرأة فى التوراة والديانة اليهودية ٢٠٥
المبحث الثانى : ميراث المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية ٢١٢
المبحث الثالث : ميراث المرأة فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ٢١٥
المبحث الرابع : أفضلية ميراث المرأة فى الإسلام مقارنة باليهودية والمسيحية ٢٢٨
الفصل الرابع : الختان فى الكتب والأديان السماوية ٢٣١
المبحث الأول : الختان فى التوراة والديانة اليهودية ٢٣١
المبحث الثانى : الختان فى الإنجيل والديانة المسيحية ٢٣٤
المبحث الثالث : الختان فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ٢٣٩
المبحث الرابع : إنسانية الختان فى الإسلام وسموه مقارنة باليهودية والمسيحية ٢٤٢
الفصل الخامس : الحجاب فى الكتب والأديان السماوية ٢٤٣
المبحث الأول : الحجاب فى التوراة والديانة اليهودية ٢٤٣
المبحث الثانى : الحجاب فى الإنجيل والديانة المسيحية ٢٤٧
المبحث الثالث : الحجاب فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ٢٥١
المبحث الرابع : مزايا الحجاب فى الإسلام مقارنة باليهودية والمسيحية ٢٥٨
الفصل السادس : الطلاق فى الكتب والأديان السماوية ٢٥٩
المبحث الأول : الطلاق فى التوراة والديانة اليهودية ٢٥٩
المبحث الثانى : الطلاق فى الإنجيل والديانة المسيحية ٢٦٢
المبحث الثالث : الطلاق فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ٢٦٨

المبحث الرابع : الخلع فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ٢٧٦
المبحث الخامس: واقعية الإسلام فى الطلاق والخلع مقارنة باليهودية والمسيحية. ٢٨٠
الفصل السابع : تعدد الزوجات فى الكتب والأديان السماوية ٢٨٣
المبحث الأول : التعدد فى التوراة والديانة اليهودية ٢٨٣
المبحث الثانى : التعدد فى الإنجيل والديانة المسيحية ٢٨٩
المبحث الثالث : تعدد الزوجات فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ٣٠٩
المبحث الرابع : الإسلام وواقعيته فى أحكام النساء وتفوقه على اليهودية والمسيحية. ٣١٢
الفصل الثامن : العبادة وجزاء الأعمال للمرأة فى الكتب والأديان السماوية ٣١٥
المبحث الأول : العبادة وجزاء الأعمال فى التوراة والديانة اليهودية ٣١٥
المبحث الثانى : العبادة وجزاء الأعمال فى الإنجيل والديانة المسيحية ٣١٩
المبحث الثالث : العبادة وجزاء الأعمال فى القرآن الكريم والديانة الإسلامية ٣٢٢
المبحث الرابع : مساواة المرأة بالرجل فى العبادة وجزاء الأعمال فى الإسلام وتفوقه فى ذلك عن الأديان الأخرى ٣٢٩
الخاتمة ٣٣١
فهرس المصادر والمراجع ٣٣٩
الفهرس ٣٤٣

رقم الإيداع : ٢٨٩٣/ ٢٠٠٣م
I.S.B.N:977-15-0913-4

هذا الكتاب

* يتحدث عن **المرأة** ذلك المخلوق الذى احتار الفلاسفة فى فهمه وتعريفه ؛ فأسراره لا تنقضى وعجائبه لا تنتهى ، وسبر أغواره محال . فهو الكائن الوحيد فى العالم القوى فى ضعفه ، والرقيق فى شعوره ووجدانه ، المتجبر بدهائه ، والفياض فى حنانه .
* ويبين أن المرأة فى حياة الرجل أهم مخلوق: فهى **الزوجة** ، أى : السكن والمودة والرحمة . . وهى **الأم** الحنون الرؤوف التى لو اجتمع كل رجال العالم لما استطاعوا القيام بمهمتها كأم . وهى **الابنة** الرقيقة التى والديها كملوك وهى صغيرة ثم ترعاهم فى الكِبَر كأبناء . . وهى **الأخت** الحنون التى تربى إخوتها .
* ويبين أن نظرة أهل كل دين للمرأة من احترام وتبجيل وإعلاء قدر وتشريف ومنح حقوق وفرض واجبات أو العكس يتوقف على ما جاء فى كتابهم السماوى عن المرأة من إكرام أو مهانة .
* ونظرا لأهمية الدراسة والمحاولة الجادة لتحرى الدقة فقد ضَمَّنَهَا الكاتب - أعزَّه الله - موضوعات عديدة ،منها: بعض النساء اللائى ذُكرن فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم. أيضا بعض أحكام المرأة فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ،مثل: القوامة . . عمل المرأة . . إرث المرأة . الختان . . الحجاب . . الطلاق والخُلع . . تعدد الزوجات . . العبادة وجزاء الأعمال للمرأة . . . إلى آخر هذه الموضوعات التى تتعلق بالمرأة .
* وإننا وإذ نقدم هذا الكتاب لقرائنا الكرام نرجوا من الله أن يعم به النفع .

المؤلف

توزيع
الوفاء للطباعة
دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ج.م.ع - المنصورة
الإدارة :ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص.ب: ٢٣٠
ت: ٢٢٥٦٢٢٠/ ٢٢٥٦٢٣٠ - فاكس : ٢٢٦٠٩٧٤/ ٠٥٠
المكتبة : امام كلية الطب ٢٢٤٩٥١٣ / ٠٥٠
E-Mail:DAR ELWAFA @ HOTMAIL . COM